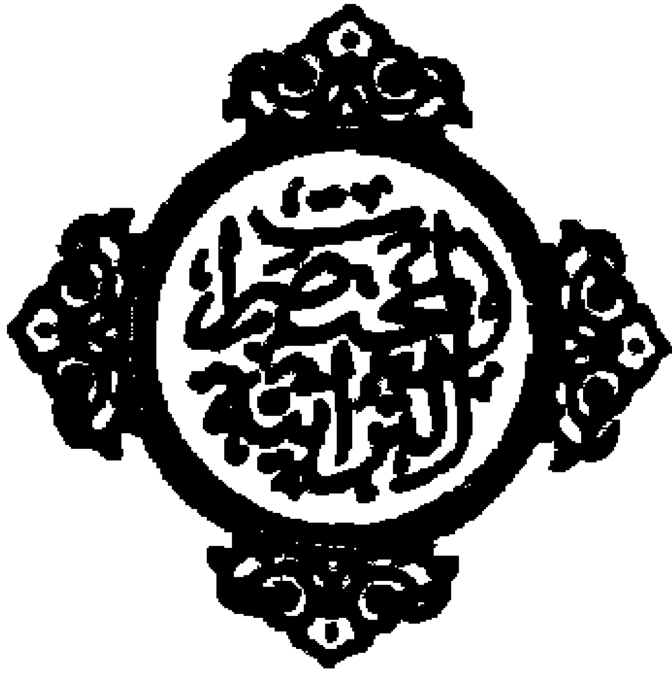

المختصرات التراثية

مختصر كتاب
عجائب الآثار في التراجم والأخبار
للجبرتي

الجبرتي، عبد الرحمن بن الحسن بن إبراهيم، ١٧٥٤ . ١٨٢٢ .
مختصر كتاب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار/
للجبرتى؛ اختصار وتقديم : عصام أحمد عيسوى. ـ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
٢٠٠ ص ؛ ٢٤ سم . ـ (المختصرات التراثية).
تدمك ٨ ٢٥١ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ التأريخ .
(أ) ـ العنوان .
(ب) ـ عيسوى، عصام أحمد (مختصر ومقدم) .
رقم الإيداع بدار الكتب ٤٦٧٢/ ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 251 - 8

ديوى٢, ٩٠٧



مختصر كتاب

عجائب الآثار في التراجم والأخبار

للجبرتي

اختصار وتقديم

دكتور عصام أحمد عيسوي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

المختصرات التراثية

● الكتاب: مختصر كتاب «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»
● اختصار وتقديم : د. عصام عيسوى
● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg
● الغلاف : عمرو الكفراوى
● الخطوط : أوس الأنصارى
● الإخراج الفنى : صبرى عبد الواحد

● يقع الكتاب الأصلى فى مجلدين كبيرين.

مقدمة جديدة
سلسلة المختصرات التراثية

لا شك أن النجاح الذى تحقق لهذا النشاط التراثى المتمثل فى (سلسلة التراث) ونظيرتها الجديدة الوليدة (سلسلة المختصرات التراثية) أثلج الصدر، وأراح الفؤاد، لما أحدثته من طفرة حقيقية من حيث نوعية الكتب المقدمة فى فروع المعرفة، وكذلك من حيث الكميات المطبوعة، ونفادها حتى أن هناك بعض الكتب نفدت فور طرحها فى الأسواق.

وإذا كان التراث يمثل الجذور الحقيقية لثقافتنا وفكرنا، فإن الإقبال عليه بهذه الطريقة يؤكد لنا بلا شك اعتزاز وحنين القارئ تجاه هذه الجذور التى حين تُروى وتراعى تثمر وتفيض خيرًا ومعارف. ولا أخفى سرًّا حين أقول: إننى سعيد جدًّا بهذه التجربة المفيدة، الممتعة، تجربة إصدار (سلسلة المختصرات التراثية) التى قَدَّمتُ لتجربتها الأولى بمقدمة ضافية حول أهمية التراث واختصاره، وأرى أنه من الطبيعى هنا أن أعيد الخطة الأولى التى أوضحت فيها فكرة الاختصار وضرورته لزمننا هذا، بما يبدو فيه من التداخل، وبما يتشابك فيه من المصالح والعلاقات التى جعلت تقدير هذه الظروف الحياتية، ومراعاتها أمرًا واجبًا وضروريًا، الأمر الذى كان له بعيد الأثر فى أن يجعل من هذه الكتب صورة الرؤية الثقافية الجديدة التى تُقدَّم لتسد فراغًا هائلاً عند الكثيرين.

فكانت كتب الخطة الأولى هى :

١ - (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) ، للقلقشندى، الأصل فى أربعة عشر مجلدًا، وقد اختصره أ. مصطفى موسى، وطبع فى جزأين.

٢ - (نهاية الأرب فى فنون الأدب) ، للنويرى، الأصل فى ثلاثة وثلاثين مجلدًا، وقد اختصره أ . مرزوق على إبراهيم، وطبع فى ثلاثة أجزاء.

٣ - (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، لابن تغرى بردى، الأصل فى ستة عشر مجلدًا، وقد اختصره أ . محمد الفيل، وطبع فى جزأين.

٤ - (الفتوحات المكية) ، للشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربى، الأصل فى أربعة مجلدات، واختصره د. صلاح الدين التجانى، وطبع فى جزأين.

٥ - (عيون الأخبار) ، لابن قتيبة، الأصل فى أربعة أجزاء فى مجلدين، اختصره د. محمد سالمان، وطبع فى جزء واحد.

٦ - (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) ، للمقريزى، الأصل فى مجلدين كبيرين، اختصره أ . محمد السيد عيد، وطبع فى جزء واحد.

٧ - (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) ، لابن إياس، الأصل فى ستة مجلدات، اختصره د. مدحت الجيار، وطبع فى جزء واحد.

٨ - (الكامل فى اللغة والأدب) ، للمبرد، الأصل فى ثلاثة مجلدات، اختصره د. محمد يونس، وطبع فى جزء واحد.

٩ - (الكامل فى التاريخ) ، لابن الأثير الجزرى، الأصل فى اثنى عشر مجلدًا، اختصره أ . محمد دبوس، وطبع فى جزأين.

١٠ - (تاريخ الخلفاء) ، لأبى بكر عبد الرحمن السيوطى، الأصل فى مجلد كبير، وقد اختصرأ.سعيد عبد الفتاح، وطبع فى جزء واحد.

١١ - (القانون فى الطب) ، لأبى الحسين على بن سينا، الأصل فى خمسة مجلدات اختصرته د. سماح سامى، وطبع فى جزء واحد.

١٢ ـ (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) ، للمقرى، الأصل فى ثمانية مجلدات اختصره أ . أحمد مهدلى، وطبع فى جزأين.

ودفعنا هذا بالتالى إلى أن نستكمل طباعة ما نفد من هذه الكتب ثم نعيد معها طبع كثير غيرها من كتب التراث الأخرى. كما أود هنا أن أعرض كتب الخطة الثانية التى بدأنا فى طباعة جزء كبير منها فعلاً، وسوف تلتقون بها قريبًا وهى:

١ ـ مختصر كتاب (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى، الأصل فى ٢٤ مجلدًا وقد اختصرته د. مى يوسف خليف فى ثلاثة أجزاء.

٢ ـ مختصر كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبى، الأصل فى خمسة مجلدات، وقد اختصره د. عبدالله التطاوى فى جزء واحد فقط.

٣ ـ مختصر كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لابن مسكويه، الأصل فى خمسة مجلدات، وقد اختصره د. عبد الرحمن الشيخ فى جزء واحد فقط.

٤ ـ مختصر كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوى، الأصل فى مجلدين كبيرين، وقد اختصرته د. سحر سامى فى جزء واحد فقط.

٥ ـ مختصر كتاب (المواقف الروحية والفيوضات السبُّوُحية) للأمير عبدالقادر الجزائرى، الأصل فى ثلاثة مجلدات، وقد اختصره د. أحمد كمال الجزار فى جزء واحد فقط.

٦ ـ مختصر كتاب (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) الأصل فى ثمانية أجزاء، وقد اختصره د. عصام عيسوى فى جزء واحد فقط.

٧ ـ مختصر كتاب (مجمع الأمثال) للميدانى، الأصل فى مجلدين كبيرين، وقد اختصره أ . أحمد سويلم فى جزء واحد فقط.

٨ ـ مختصر كتاب (اتعاظ الحُنفا بأخبار الفاطميين الخُلفا) الأصل فى ثلاثة مجلدات كبيرة، وقد اختصره أ. خالد محمد فتحى أبو بكر فى جزء واحد فقط.

٩ ـ مختصر كتاب (تاج العـــروس) للزبيدى ، الأصل فى أربعين مجلدًا، وقد اختصره د. محمد حماسة عبد اللطيف فى أربعة أجزاء.

١٠ ـ مختصر كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون، الأصل فى ثلاثة كتب كبيرة، وقد اختصره فى جزء واحد فقط أ . محمد حسن عبدالحافظ.

١١ ـ مختصر كتاب (جامع الأحاديث) للسيوطى، الأصل فى ثلاثة عشر مجلدًا وقد اختصره د. صلاح الدين التجانى فى جزأين فقط.

١٢ ـ مختصر كتاب (المثنوى) لجلال الدين الرومى، الأصل فى ستة مجلدات، وقد اختصره د. رمضان بسطاويسى فى جزء واحد فقط.

وهذه الخطة كاملة الآن قيد الطباعة، لتصدر بالتوالى خلال الموسم الثقافى القادم.

د. ناصر الأنصارى

مقدمة

الحمد لله القديم الأول الذى لا يزول ملكه ولا يتحول. خالق الخلائق وعالم بالحقائق مفنى الأمم ومحيى الرمم ومعيد النعم ومبيد النقم وكاشف الغمم وصاحب الجود والكرم لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وأشهد أن لا إله إلا الله تعالى عما يشركون وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين المنزل عليه نبأ القرون الأولى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الليالى والأيام وتداولت السنين والأعوام.

وبعد، فقد تعرضت حركة التأليف التاريخى فى مصر خلال العصر العثمانى إلى حالة من التدهور الذى أصابها ضمن ما أصاب معظم عناصر المجتمع آنذاك، وهو ما أدى إلى عدم الاهتمام بكتابة التاريخ ودراسته، على الرغم من ظهور بعض المؤرخين الذين حاولوا التأريخ للعصور التى عاشوا فيها ، ولكن الاهتمام الثقافى بهذا الفرع من العلوم لم ينل حقه من الرعاية والتقدير، وحتى أنه خلال القرن الثامن عشر الميلادى وتحديداً منذ منتصفه انقطعت الكتابة التاريخية فلم نر مؤلفًا تاريخيًا بعد كتاب (الدرة المصانة فى أخبار الكنانة) لأحمد الدمرداش كتخدا عزبان ، حتى بدأ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ومعاصروه فى الكتابة التاريخية لتلك الفترة الصعبة من تاريخ مصر، وهى فترة شهدت العديد من الصراعات انتهت أولاً بنزول الفرنسيين إلى أرض مصر، وما

شهدته تلك الفترة من إحياء الروح القومية المصرية التى هبت فى مواجهة المستعمر الفرنسى ، فقد قاوم أبناء مصر الجيش الفرنسى خلال فترة وجودهم فى مصر ، وعندما خرج الفرنسيون بدأت الصراعات الداخلية تتحدد ما بين المماليك والعثمانيين على حكم البلاد مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية والسياسية والأمنية فى المجتمع المصرى .

وقد حاول كل من الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ الأديب إسماعيل الخشاب وهما من المشايخ الذين اتصلوا بعلماء الحملة الفرنسية، أن يكتبوا فى تاريخ مصر قبل وبعد دخول الفرنسيين إلى مصر.

وقد عرض الجبرتى تأريخه للأحداث فى ترتيب زمنى، حيث عرضها متتالية فى الأعوام والأشهر والأيام المتعاقبة، وهو بذلك قد استخدم طريقة الحوليات فى سرده التاريخى، وهى طريقة تخل أحيانًا بنظام الربط والتدليل والاستنتاج، وقد تُفقد المُطلع على تاريخه تسلسل الأحداث فى بعض المواضع، ولذلك فقد فضلت أن أتناول فيه عدة موضوعات مهمة منها الحوادث التاريخية المتفرقة التى مرت بها مصر، والوثائق الرسمية الواردة بالكتاب، وببليوجرافيات العلماء التى أوردها الجبرتى، والتراجم عند الجبرتى، وحوادث أهل الذمة كما يرويها الجبرتى، والحج والمحمل والحجاج وروايات الجبرتى عنهم فى السنين المختلفة، ووفاء النيل وما أرتبط به من النواحى الاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من الموضوعات التى تناولها الجبرتى، ولكنها جاءت فى هذا الكتاب مُجمعة معًا موضوعيًا وزمنيًا ليتمكن القارئ العادى من متابعة موضوع ما خلال سنواته المختلفة، وكذلك فإن الباحثين يستطيعون أن يصلوا إلى ضالتهم فى الكتاب من خلال الموضوع المُختار عندما تتحدد السنة بداخله.

والمتتبع لتاريخ الجبرتى يمكنه أن يقسم مصادره التى اعتمد عليها إلى:

١- الوثائق الرسمية التى وصلت ليديه، والنقوش على المقابر.

٢- أقوال الشيوخ والمسنين من علماء عصره.

٣- المشاهدات التى رآها أو سمعها فى عصره ودوّن مذكراته عنها وخاصة فى الفترة من عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م إلى عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م.

وبدأ الجبرتى كتابة تاريخه بدايةً من القرن الثانى عشر الهجرى، بعد أن أجمل تاريخ مصر أيام الدولة الإسلامية فى لمحات موجزة، ثم يتبسط فى سرد الحوادث كلما اقترب من عصره.

وهو يستمر فى تدوين حوادث عصره حتى نهاية سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢١م)، وهو يسمى كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار)، وقد نقل المؤلف إلى الفرنسية وطبع فى القاهرة سنة ١٨٨٨م، وهذا بالإضافة إلى الترجمة التى أعدها كاردان للقسم المتعلق بالحملة الفرنسية.

وقد قسم الجبرتى كتابه زمنيًا إلى ثلاثة أجزاء فى الفترة ما بين عامى ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤ م إلى عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فشمل الجزء الأول الفترة حتى عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧ م، والثانى من عام ١٢١٣هـ / ١٧٨٩ حتى عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م والثالث من عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م إلى عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م م وهو يتناول فى هذه الفترة الأخيرة عصر محمد على بشىء من الاختصار الشديد لأنه لم يكن من رجال الباشا ولم يكن متصلاً بالسلطة فى أى أشكالها آنذاك.

والجبرتى بذلك قد أرخ لثلاثة عصور متعاقبة أولها كان لمصر العثمانية ثم الحملة الفرنسية ثم عصر محمد على وبدايات حكمه لمصر.

والكتاب على هذا الوضع له قيمة اجتماعية كبيرة لأنه يعطى صورة مفصلة عن حياة الشرقيين وعاداتهم وأحداثهم وعلمائهم وغير ذلك فى فترة مهمة من تاريخ مصر لم تشهد الكثير من المؤلفات التى ترقى لهذا العمل النافع المفيد للباحثين والمثقفين على وجه العموم.

وللجبرتى مؤلف تاريخى آخر عنوانه (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس) خصصه لحوادث الاحتلال الفرنسى، وقد استخرجه من مذكراته، ووضعه عقب جلاء الفرنسيين عن مصر، بإشارة من الوزير يوسف باشا ورفع إلى السلطان سليم الثالث فنال استحسانه، وتُرجم إلى التركية ونشر فى سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) فى حياة مؤلفه، وقد عاد الجبرتى فأدمجه فى تاريخه مع زيادات وتعليقات كثيرة.

ويُعد كتاب (عجائب الآثار) أو تاريخ الجبرتى من أهم و أكبر أعمال الجبرتى، لذلك فقد وصف فى دائرة المعارف الإسلامية «بأنه أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشرالهجريين، وهو ما دعى الكثيرين للقيام بنسخه وطبعه وتحقيقه، حيث توجد فى دار الكتب المصرية إحدى عشرة نسخة، بعضها كامل وبعضها غير مكتمل، كما توجد بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة نسختان، هذا بالإضافة لوجود العديد من النسخ المخطوطة الموزعة على مكتبات العالم فى العراق ودول أوربا المختلفة والهند.

وقد طبع هذا الكتاب ست مرات فى مصر وفى غيرها من الدول منها طبعة مطبعة جريدة مصر عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧م التى اشتملت على الجزء الثالث فقط، و طبعة مطبعة بولاق عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م التى اعتمد عليها الكثيرون فى أبحاثهم وأعمالهم خلال قرن كامل من الزمان وهى الطبعة الثانية، والطبعة الثالثة كانت بهوامش كتاب (الكامل فى التاريخ لأبن الأثير) فى اثنى عشر جزءًا، بالمطبعة الأزهرية عام ١٣٠١-١٣٠٢هـ/ ١٨٨٢م، والطبعة الرابعة طبعت فى المطبعة الشرقية بالقاهرة فى أربعة أجزاء عام ١٣٢٢-١٣٢٢هـ / ١٩٠٣م، أما الطبعة الخامسة فهى طبعة محققة قامت بها لجنة البيان العربى وحققها الأساتذة حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى وإبراهيم سالم، ونشرت فى القاهرة مابين عامى ١٩٥٨-١٩٦٧م، ثم عاد الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم فى إعادة تحقيق ونشر الكتاب فى عام ١٩٩٧م، وهى الطبعة السادسة التى نشرتها دار الكتب المصرية فى أربعة أجزاء، وقدم لها الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان، وهى أفضل هذه الطبعات السابقة تحقيقًا وطباعة، وهى التى اعتمدت عليها فى اختصار وانتقاء الحوادث والموضوعات من العجائب والآثار والتراجم المختلفة.

وقد قمت باختصار وإعداد هذا العمل التاريخى الرائع على هذا الشكل واضعًا فى اعتبارى أن جُل الباحثين الآن يريدون أن يطلعوا على المعلومات التاريخية مباشرة، كما أنهم يريدون أن يستجمعوا كل المعلومات عن الموضوع الواحد فى أقل وقت ممكن، لذلك فقد اخترت من الكتاب عدة موضوعات بحيث

يغطى أكبر قدرمن المعلومات التى يمكن أن يستفد منها أكبر عدد من الباحثين وخاصة فى مجالى التاريخ والوثائق.

■ المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى :

هو عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الجبرتى ـ الشهير بعبد الرحمن الجبرتى ـ ولد بالقاهرة فى عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٤ م، ومات فى عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥ م، وهو ينتسب إلى عائلة نزحت من إقليم جبرتى من إقليم زيلع فى بلاد الحبشة إلى مصر فى القرن العاشر الهجرى .

عاش الجبرتى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر، وهى الفترة التى شهدت انحلالاً فى النظام العثمانى المملوكى، ومحاولات المماليك التمرد على السلطة العثمانية الناتج عن اختلال قبضة الجند العثمانيين، مما أدى إلى فقد النظام لأسس توازنه، وخاصة الأمنية التى انتهت بمجىء الحملة الفرنسية على مصر.

تلقى عبد الرحمن الجبرتى من التربية والعلوم ما كان يسمح بتلقيه فى عصره، فقد حفظ القرآن الكريم وهو طفل وكان مُعلمه الأول هو والده الشيخ حسن برهان الدين، وهو من أكبر علماء عصره، حيث اشتهر بتضلعه فى المعقولات والعلوم الرياضية، وقد درس عبد الرحمن كذلك على أيدى أشهر علماء عصره، فبرع فى علوم الدين واللغة، والحساب والهندسة والفلك، وهى العلوم التى تلقاها عن والده، وأبدى فيها تفوقًا واضحًا ينم عن ذكاء شديد، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى تراجم الكثير من علماء عصره أفضالهم على علمه الذى تعلمه.

تولىّ المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى التدريس بالجامع الأزهر قلعة العلم فى مصر آنذاك، وكان يلقى دروسه فى الفقه والرياضة و الفلك، وعندما دخل الفرنسيون إلى مصر عام ١٢١٣ هـ / ١٧٨٩ م سافر الجبرتى إلى بلدة إبيار فى شمال الدلتا حيث كانت توجد أملاكه، معتزمًا الإقامة هناك، مؤثرًا بسكون الريف على اضطرابات العاصمة على أنه لم يقم هنالك إلا قليلاً، وربما يكون السبب فى

تلك العودة هو علمه وبعد نظره للأحداث الفريدة التى وقعت فى مصر عامة، والقاهرة خاصة، حتى يكون بجوارها يلاحظها ويراها عن كثب ويدون عنها مذكراته.

وخلال تلك الفترة المضطربة من تاريخ مصر كانت قد ظهرت فئة اجتماعية استطاعت أن تحافظ على كيانها وتقاليدها سواء فى العلم أو فى السلوك الاجتماعى، وهى فئة تمتعت بالاستقرار النسبى بين فئات المجتمع المصرى آنذاك، هذه الفئة هى فئة العلماء التى امتازت بمكانة خاصة فى هذا المجتمع، والتى كان من أبرز أفرادها الشيخ المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى عاصر الأحداث الجسيمة التى مرت بها البلاد إبان حياته، فقد شهد ـ كما سبق ـ انحلال النظام العثمانى المملوكى فى أواخر القرن الثامن عشر والمظالم التى فرضها العثمانيون على المصريين، كما شاهد الحملة الفرنسية على مصر وضربها للنظام العثمانى المملوكى، كما شاهد أيضًا محاولة هذا النظام الهجين العودة من جديد، ثم الإجهاز عليه تمامًا على يد محمد على، وكان هذا الإجهاز ممهدًا لبناء الدولة الحديثة التى شرع الباشا فى إنشائها.

وفى خضم هذه الأحداث جميعها كان الجبرتى شاهد العيان الذى شاهد وسمع وكتب ما شاهده وسمعه فى مؤلفاته التاريخية، وقد بدأ الجبرتى فى وضع مذكراته التاريخية قبل الاحتلال الفرنسى، حيث ذكر فى مقدمته «أنى قد سودت أوراقًا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر (الهجرى) وما يليه، وأوائل القرن الثالث عشر الذى نحن فيه، جمعت فيه بعض الوقائع إجمالية، وأخرى محققة تفصيلية، وغالبها مما ادركناها وأمور شاهدناها، واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها، و بعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء ، والأمراء المعتبرين وذكر لمعرض أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم»، وهو ما يؤكد على أن الجبرتى أراد أن يكون مؤرخ عصره قبل كل شىء، فدون ما وقع تحت بصره و سمعه ، من الحوادث والمشاهد والأخبار، وهو ما دعاه إلى العودة إلى القاهرة إبان قدوم الحملة الفرنسية إلى

مصر، عائدًا من بلدة (إبيار) ليكون متابعًا للأحداث ليستكمل مذكراته التاريخية التى كان قد بدأها من قبل قدوم الحملة إلى مصر.

وكان الجبرتى متميزًا فى المجتمع المصرى أثناء وجود الحملة فى مصر حيث استُدعى ليُعين عضوًا فى الديوان العام الذى أنشأه نابليون بونابرت قائد الحملة من بعض شيوخ مصر ليستعين به على تهدئة الأحوال، وضبط النظام مستغلاً فى ذلك نفوذ هؤلاء العلماء ومكانتهم الاجتماعية، وبالفعل فقد عُين الجبرتى فى هذا الديوان العام ونال من خلاله احترام قادة الحملة وكبرائها، كما عين عضوًا فى الديوان الذى ألفه الجنرال مينو فى شهر أكتوبر من عام ١٨٠٠م (جمادى الثانية سنة ١٢١٥هـ) والذى تكون من تسعة أعضاء برئاسة الشيخ عبدالله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى كاتب السر، والشاعر إسماعيل الخشاب صديق الجبرتى الذى عُين أمينًا للمحفوظات فى هذا الديوان، فتيسر له كتابة أوراق تاريخية مما وقع تحت يديه من وثائق وسجلات ومحاضر وجلسات الديوان، فسجل منها الحوادث اليومية المهمة، وغيرهم من طائفة العلماء الذين استعان بهم الجنرال مينو فى عضوية هذا الديوان.

وقد استفاد الجبرتى من خلال اتصاله المباشر بسلطات الاحتلال فى كتابة مذكراته التاريخية عبر تلك الفترة، وهى التى ترقى إلى مرتبة الأصول النزيهة فى بعض الأحيان خاصة عندما نعلم أنه من خلال اتصاله بسلطات الاحتلال قد أطلع على كثير من الوثائق والسجلات بما اشتملت عليه من معلومات وإحصاءات استطاع أن يحللها ويستفيد منها فى تدعيم مجهوده التاريخى، ولاسيما فيما يتعلق بالتأريخ لتلك الفترة من تاريخ مصر، كما أن الجبرتى قد استفاد من وضع والده الاجتماعى وعلاقاته الواسعة بأصحاب السلطة من الأمراء والمماليك، والأجناد وكبار العلماء فى التعرف على معظم شخصيات عصره وعلى الاتجاهات الفكرية السائدة فى تلك الفترة، مما جعله أكثر تفهمًا لما يدور حوله.

وتوفى المؤرخ الكبير فى سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) عن عمر يناهز السبعين عامًا، بعد أن فقد بصره وجدًا على ولده الذى توفى قتيلاً سنة ١٨٢٣م، ثم لحقه إلى القبر بعد ذلك بعامين.

■ عائلة الجبرتى:

يذكر الجبرتى أنه «منذ سنة ١١٣٩ هـ استمرت ابنة رمضان جلبى فى عصمة المترجم [الشيخ حسن الجبرتى] حتى ماتت فى المحرم سنة ١١٨٢ هـ وعمرها ستون سنة، وكانت من الصالحات الخيرات المصونات وحجت صحبته فى سنة إحدى وخمسين وكانت به بارة وله مطيعة، ومن جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشترى له من السرارى الحسان من مالها وتنظمهن بالحلى والملابس وتقدمهن له وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك وكان يتزوج عليها كثيرًا من الحرائر ويشترى الجوارى فلا تتأثر من ذلك ولا يحصل عندها ما يحصل فى النساء من الغيرة - ومن الوقائع الغريبة انه لما حج المترجم فى سنة ست وخمسين، واجتمع به الشيخ عمر الحلبى بمكة أوصى بأن يشترى له جارية بيضاء تكون بكرًا دون البلوغ وصفتها كذا وكذا فلما عاد من الحج طلب من اليسرجية الجوارى لينقى منهن المطلوب فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلاه مع من أوصاه بإرسالها صحبته فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك لتعمل لهم ما يجب من الزوادة ونحو ذلك فقالت له إنى أحببت هذه الوصيفة حبًا شديدًا ولا أقدر على فراقها وليس لى أولاد وقد جعلتها مثل ابنتى والجارية بكت أيضًا وقالت لا أفارق سيدتى ولا أذهب من عندها أبدًا فقال وكيف يكون العمل قالت أدفع ثمنها من عندى وأشترى أنت غيرها ففعل، ثم أنها أعتقتها وعقدت عليها وجهزتها وفرشت لها مكانًا على حدتها وبنى بها فى سنة خمس وستين وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولادًا، فلما كان فى سنة اثنتين وثمانين المذكورة مرضت الجارية فقامت الجارية فى ضحوة النهار فنظرت إلى مولاتها وكانت فى حالة غطوسها فبكت وزاد بها الحال وماتت تلك الليلة فأضجعوها بجانبها فأستيقظت مولاتها أخر الليل وجستها بيدها وصارت تقول إن قلبى يحدثنى أنها ماتت ورأيت فى منامى ما يدل على ذلك فلما تحققت ذلك قامت وجلس وهى تقول لا حياة لى بعدها وصارت تبكى وتنتحب حتى طلع النهار وشرعوا فى تشهيلها وتجهيزها وغسلوها بين يديها وشالوا

جنازتها ورجعت إلى فراشها ودخلت فى سكرات الموت وماتت أخر النهار وخرجوا بجنازتها أيضًا فى اليوم الثانى، وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيته ووعيته وكان سنى [الشيخ عبد الرحمن الجبرتى] إذ ذاك أربع عشرة سنة.

واشتغل المترجم [جد المؤلف الأعلى] فى أيام اشتغاله بتجويد الخط فكتب على عبد الله أفندى الأنيس وحسن أفندى الضيائى طريقة الثلث والنسخ حتى أحكم ذلك وإجازه الكتبة وآذنوه أن يكتب الإذن على اصطلاحهم ثم جود فى التعليق على أحمد أفندى الهندى النقاش لفصوص الخواتم حتى احكم ذلك وغلب على خطه طريقته ومشى عليها وكتب الديوانى والقرمة وحفظ الشاهدى واللسان الفارسى والتركى حتى أن كثيرًا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته فى التكلم بلسانهم ولغتهم.

وفى سنة أربع وأربعين اشتغل بالرياضيات فقرأ على الشيخ محمد النجاحى رقائق الحقائق للسبط المرادينى والمجيب والمقنطر ونتيجة اللادقى والرضوانية والدر لابن المجدى ومنحرفات السبط وإلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحى وعند ذلك انفتح له الباب وانكشف عنه الحجاب وعرف السمت والارتفاع والتقاسم والأرباع والميل الثانى والأول والأصل الحقيقى والمعدل وخالط أرباب المعارف وكل من كان من بحر الفن غارف وحل الرموز وفتح الكنوز واستخرج نتائج الدر اليتيم والتعديل والتقويم وحقق أشكال الوسايط فى المنحرفات والبسائط والزيج والمحلولات وحركات التداوير والنطاقات والتسهيل والتقريب والحل والتركيب والسهام والظلال ودقائق الأعمال وانتهت إليه الرياسة فى الصناعة وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة وسلم له عطارد وجمشيد الراصد وناظره المشترى وشهد له الطوسى والأبهرى وتبوأ من ذلك العلم مكانًا عليًا وزاحم بمنكبه العيوق والثريا وقدم القدوة العلامة والحكيم الفهامة الشيخ حسام الدين الهندى وكان متضلعًا فى العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية فنزل بمسجد فى مصر القديمة واجتمع عليه بعض الطلبة مثل الشيخ الوسمى والشيخ أحمد الدمنهورى وتلقوا عنه أشياء فى الهيئة فبلغ خبره المترجم فذهب إليه للأخذ عنه فاغتبط به الشيخ وأحبه وأقبل بكليته عليه فلم يزل به حتى نقله

إلى داره وأفرد له مكانًا وأكرم نزله وقام بأوده-وطالع عليه الجغميني وقاضى زاده عليه والتبصرة والتذكرة وهداية الحكمة لأثير الدين الأبيهرى وما عليها من المواد والشروح مثل السيد والميبدى قراءة بحث وتحقيق وأشكال التأسيس فى الهندسة وتحرير اقليدس والمتوسطات والمبادئ والغايات والاكر وعلم الارتماطيقى وجغرافيا وعلم المساحة وغير ذلك.

ثم أراد أن يلقنه على الصنعة الإلهية وكان من الواصلين فيها فغالطه عن ذلك وأبت نفسه الاشتغال بسوى العلوم المهذبة للنفس وكان يحكى عنه أمورا وعبارات وإشارات تشعر بأنه كان من الكمل الواصلين فى كل شىء ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة وسافر إلى بلاده.

وقدم إلى مصر الإمام العلامة الشيخ محمد الغلانى الكشناوى وسكن بدرب الأتراك فاجتمع عليه المترجم وتلقى عنه علم الأوفاق وقرأ عليه شرح منظومة الجزنائية للقوصونى والدر والترياق والمرجانية فى خصوص المخمس الخالى الوسط والأصول والضوابط والوفق المئينى وعلم التكسير للحروف وغير ذلك وسافر الشيخ إلى الحج وجاور هناك فلما رجع انزله عنده وصحبته زوجته وجواره وعبيده وكمل عنده غالب مؤلفاته ولم يزل حتى مات كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمته ولقى المترجم فى حجاته الشيخ النخلى وعبد الله بن سالم البصرى وعمر بن أحمد بن عقيل المكى والشيخ محمد حياة السندى الكورانى وأبو الحسن السندى والسيد محمد السقاف وغيرهم وتلقى عنهم وأجازوه وتلقوا هم أيضًا عنه ولقنه الشيخ أبو الحسن السندى طريق السادة النقشبندية والأسماء الإدريسية.

وهذه صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ومن خطه نقلت: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى خصوصًا أفضل أنبيائه وعترته الطاهرين وصحابته أجمعين: وبعد فإن مما تطابقت عليه النصوص وتوافقت عليه ألسنة العموم والخصوص أن الباحث عن السنة الغراء لإتباع هدى سيد الأنبياء الموجب لمحبة ذى الآلاء والنعماء هو الفائز بالقدح المعلى والمرفوع إلى المقام الأعلى ومن المعلوم أنه لم يبق فى زماننا ما يتداول

منها إلا التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل الزمان والناد فذو الهمة هو الذى يثابر على تحصيل أعلاه وينافس فى فهم متنه ويفحص عن معناه ويناقش فى رجاله الذين عليهم مغناه ألا وهو الشيخ الأجل الراقى بعزمه المتين من العلم والعمل إلى أعلى محل سيدنا وأستاذنا الشيخ حسن ابن المرحوم إبراهيم بن الشيخ حسن الجبرتى أمده الله بالمدد الإلهى فطلب منى هذا الفقير أن أجيزه فلما لم أجد بدًا من الامتثال قلت سائلاً التوفيق فى الأول والفعال أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوه بذكره أعلى السطور أجزل الله تعالى له الأجور ما يجوز لى وعنى روايته من مقروء ومسموعٍ وأصول وفروع بشرطه المعتبر من تقوى الله والصيانة وضبط الألفاظ وسير الرجال والديانة حسبما أجازنى بذلك شيوخ أكابر عدة هم فى الشدائد عدة ومنهم بل من أجلهم سيدى وجدى لأمى بعد أن قرأت عليه جانبًا كبيرًا من كتب الحديث وغيره قراءة تحقيق وتدقيق وغيره من الشيوخ أهل التوفيق وقد سمع مولانا الشيخ حسن منى أوائل البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجه والموطأ فليروعنى المجاز المذكور متى شاء مما اتصلت بى روايته متى أراد رفع سند أو كتاب لمن هو من أهل الدراية وهو دام أنسه وزكا قدسه فى غنية عن ذلك ولكن جرت العادة بأخذ الأكابر عن الأصاغر تكثيرًا لسوادنا فهى سنة الأوائل والأواخر.

وكذلك أجزت له بالصلاة المشهورة النفع بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وآله كمالا لا نهاية لكمالك وعدكما حسبما أجازنى بها مولانا الشيخ طاهر بن المنلا إبراهيم الكورانى عن شيخه حسن المنوفى مفتى الحنفية بالمدينة سابقًا عن شيخه مولانا الشيخ على الشبراملسى عن بعض إجلاء شيوخه وأمره أن يصلى بها بين المغرب والعشاء بلا عدد معين وبالمواظبة عليها يظهر نتائج فتحها خصوصًا لمبتغى هذا العلم المجد فى طلبه من ذويه نفعه الله تعالى بالعلم وجعله من أهليه وقد أجزت الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور بالأسماء الأربعينية الإدريسية السهروردية بقراءتها وإقرائها لخل صادق إن وجد كما أجازنى بذلك جملة من الشيوخ وقد اتصل سندى بها أيضًا عن مولانا وسيدنا الأمجد مولانا الشيخ أحمد بن محمد النخلى أنزل عليه شأبيب الرحمة والغفران

الواحد العلى وهو يرويها عن الشيخ حجازى الديربى عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن على الخامى الشناوى وأجازه شيخه أيضًا بشرحها للشيخ عثمان النحراوى: قال الشيخ عثمان: أجازنى بالأسماء الإدريسية العظام الشيخ كمال الدين السودانى وهو يرويها عن شيخه أبى المواهب أحمد الشناوى عن السيد صبغة الله أحمد عن السيد وجيه الدين العلوى عن الحاج حميد الشهير بالشيخ محمد الغوث عن الحاج حصور عن أبى الفتح هدية الله سيرمست عن الشيخ قاضن الستارى عن الشيخ ركن الدين حينوورى عن الشيخ يابوتاج الدين عن السيد جلال الدين البخارى عن الشيخ ركن الدين أبى الفتح عن الشيخ صدر الدين أبى الفضل عن الشيخ أبى البركات بهاء الدين زكريا عن شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردى عن سيدى وجيه الدين المعروف بعمويه عن الشيخ أحمد أسود الدينورى عن الشيخ ممشاد الدينورى عن الشيخ أبى القاسم الجنيد البغدادى عن خاله سرى السقطى عن الشيخ معروف الكرخى عن الشيخ داود الطائى عن الشيخ حبيب العجمى عن سيد التابعين حسن البصرى عن إمام المشارق والمغارب سيدنا على بن أبى طالب عن سيدنا ومولانا سيد الخلق حبيب الحق عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله النبى الرسول الحاوى لجميع الكملات الأصلية والفرعية الجامع لكل الصفات السنية والمراتب العلية المبعوث لكل الخلق المتخصص بالقرب من العالم الحق سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم محمد صلى الله عليه وسلم قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوى حفيد مولانا الشيخ عبد الله بن سالم البصرى عفا الله تعالى عنهم أجمعين سائلاً من الشيخ المذكور أن لا ينسانى وأصولى ومشايخى فى الدين وجميع أقاربى من صالح الدعوات فى خلواته وجلواته وحركاته وسكناته وأوصيه بما أوصى به نفسى وسائر المسلمين من ملازمة التقوى وكمال الاستعداد وأتباع سبيل الهدى والرشاد وأسال الله تعالى الكريم المنان أن يوفقنى وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل ويجعلنا من العلماء العاملين والهداة الراشدين وأن يميتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته أجمعين فى كل وقت وحين».

وللمترجم أشياخ غير هؤلاء كثيرون اجتمع بهم وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه مثل على أفندى الداغستانى والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد الفشتالى الفاسى والشيخ عبد اللطيف الشامى والجمال يوسف الكلارجى والشيخ رمضان الخوانكى والشيخ محمد النشيلى والشيخ عمر الحلبى والشيخ حسين عبد الشكور المكى والشيخ إبراهيم الزمزى وحسن أفندى قطعة مسكين وأحمد أفندى الكرتلى والأستاذ عبد الخالق بن وفى وكان خصيصًا به وأجازه بالأحزاب وهو الذى كناه بابى التدانى وألبسه التاج الوفائى والسيد مصطفى العيدروس وولده السيد عبد الرحمن والسيد عبد الله العيدروسى والشيخ على بندق الشناوى الأحمدى وكثير من المشايخ الأزهرية مثل السيد محمد البنوفرى والشيخ عمر الاسقاطى والشيخ أحمد الجوهرى والشيخ أحمد الدلجى بن خال المترجم والشيخ أحمد الراشدى والشيخ إبراهيم الحلبى صاحب حاشية الدر والسيد سعودى محشى ملا مسكين وغيرهم من الأكابر والأخيار وأهل الأسرار والأنوار حتى كمل فى المعارف والفنون ورمقته بالأجلال العيون وعلا شانه على علماء الزمان وتميز بين الأقران وأذعنت له أهل الأذواق وشاع ذكره فى الآفاق ووفدت عليه الطلاب البلدانية والواردون من النواحى الافاقية وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته فمنهم من ينفر بعد إتمام نسكه وبلوغ أمنيته ومنهم من يواظب على الاعتكاف بساحته وكان رحمه الله عذب المورد للطالبين طلق المحيا للواردين يكرم كل من أم حماه ويبلغ الراجى مناه والمقتفى جدواه والراغب أقصى مرماه مع البشاشة والطلاقة وسعة الصدر والرياقة وعدم رؤية المنة على المحتدى ومسامحة الجاهل والمعتدى مع حسن الأخلاق والصفات التى سجدت لها الخناصر كأنها آيات سجدات وكانت ذاته جامعة للفضائل والفواضل منزهة عن النقائص والرذائل وقورًا محتشمًا مهيبًا فى الأعين معظمًا فى النفوس محبوبًا للقلوب لا يعادى أحدا ولا يخاصم على الدنيا فلذلك لا تجد من يكرهه ولا من ينقم عليه فى شىء من الأشياء وأما مكارم الأخلاق والحلم والصفح والتواضع والقناعة وشرف النفس وكظم الغيظ والانبساط إلى الجليل والحقير كل ذلك سجيته وطبعه من غير

تكلف لذلك ولا يرى لنفسه مقامًا أصلا ولا يعرف التصنع فى الأمور ولا دعوى علم ولا معرفة ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة ولا يرضى التعاظم ولا تقبيل اليد وله منزلةٌ عظيمة فى قلوب الأكابر والأمراء والوزراء والأعيان ويسعون إليه ويذهب إليهم لبعض المقتضيات والشفاعات ويرسل إليهم فلا يردون شفاعته ولا يتوانون فى حاجة يتكلم فيها وله عندهم محبة ومنزلة فى قلوبهم زيادة عن نظرائه من الأشياخ لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم ورغبتهم فيما يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف المختص بها دون غيره وخصوصًا أكابر العثمانيين والوزراء وأهل العلوم والفضلاء منهم مثل على باشا ابن الحكيم وراغب باشا وأحمد باشا الكور وغيرهم ويأتون إليه أحيانا فى التبديل وأكرموه وهادوه كل ذلك مع العفة والعزة وعدم التطلع لشىء من أسباب الدنيا بوظيفة أو مرتب أو فائظ أو نحو ذلك.

وكان بينه وبين الأمير عثمان بك ذى الفقار صحبة ومحبة وحج فى أيام إمارته على الحج مرافقًا له ثلاث مرات من ماله وصلب حاله ولم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه على سبيل الهدية وكان منزل سكنه الذى بالصنادقية ضيقًا من أسفل وكثير الدرج فعالجه إبراهيم كتخدا على أن يشترى له أو يبنى له دارًا واسعة فلم يقبل وكذلك عبد الرحمن كتخدا وكان له ثلاثة مساكن احدها هذا المنزل بالقرب من الأزهر وأخر بالإبزارية بشاطئ النيل ومنزل زوجته القديمة تجاه جامع مرزه.

وفى كل منزل زوجة وسرر وخدم فكان ينتقل فيها مع أصحابه وتلامذته وكان يقتنى المماليك والعبيد والجوارى البيض والحبوش والسود ومات له من الأولاد نيف وأربعون ولدًا ذكورًا وإناثا كلهم دون البلوغ ولم يعش له من الأولاد سوى الحقير وكان يرى الاشتغال بغير العلم من العبثيات وإذا أتاه طالب فرح به واقبل عليه ورغبه وأكرمه وخصوصًا إذا كان غريبًا وربما دعاه للمحاورة عنده وصار من جملة عياله ومهم من أقام عشرين عامًا قيامًا ونيامًا لا يتكلف إلى شىء من أمر معاشه حتى غسل ثيابه من غير ملل ولا ضجر.

وأنجب عليه كثير من علماء وقته المحققين طبقة بعد طبقة مثل الشيخ أحمد الراشدى والشيخ إبراهيم الحلبى والشيخ مصطفى أبى الإتقان الخياط والسيد قاسم التونسى والشيخ العلامة أحمد العروسى والشيخ إبراهيم الصيحانى المغربى والطبقة الأخيرة التى أدركناها مثل الشيخ أبى الحسن القلعى والشيخ عبد الرحمن البنانى.

ومن الملازمين على التردد عليه والأخذ عنه الشيخ محمد الجوهرى والشيخ سالم القيروانى ومحمد أفندى مفتى الجزائر والسيد محمد الدمرداش وولداه السيد عثمان والسيد محمد. وممن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ على العدوى تلقى شرح الزيلعى على الكنز فى الفقه الحنفى وكثيرًا من المسائل الحكمية.

ولما قرأ كتاب المواقف فكان يناقشه فى بعض المسائل محققو الطلبة فيتوقف فى تصويرها لهم فيقوم من حلقته ويقول لهم: اصبروا مكانكم حتى اذهب إلى من هو أعرف منى بذلك وأعود إليكم، ويأتى إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة ويقوم فى الحال فيرجع إلى درسه ويحققها لهم وهذا من أعظم الديانة والإنصاف وقد تكرر منه ذلك غير مرة وكان يقول عنه لم نر ولم نسمع من توغل فى علم الحكمة والفلسفة وزاد إيمانه إلا هو رحم الله الجميع.

وممن تلقى عنه من أشياخ العصر العلامة الشيخ محمد المصيلحى والعلامة الشيخ حسن الجداوى والشيخ محمد المسودى والشيخ أحمد بن يونس والشيخ محمد الهلباوى والشيخ أحمد السجاعى لازمه كثيرًا وأخذ عنه فى الهيئة والفلكيات والهداية وألف فى ذلك متونًا وشروحًا وحواشى.

وأما من تلقى عنه من الأفاقيين وأهالى بلاد الروم والشام وداغستان والمغاربة والحجازيين فلا يحصون وأجل الحجازيين الشيخ إبراهيم الزمزى.

وأما ما اجتمع عنده وما اقتناه من الكتب فى سائر العلوم فكثير جدًا قلما اجتمع ما يقاربها فى الكثرة عند غيره من العلماء أو غيرهم.

وكان مسموحًا بإعارتها وتغييرها للطلبة وذلك كان السبب فى إتلاف أكثرها وتخريمها وضياعها حتى أنه كان أعد محلاً فى المنزل ووضع فيه نسخًا من

الكتب المستعملة التى يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة مثل الأشمونى وابن عقيل والشيخ خالد وشروحه والأزهرية وشروحها والشذور وكذلك من كتب التوحيد مثل شروح الجوهرة والهدهدى وشرح السنوسية والكبرى والصغرى وكتب المنطق والاستعارات والمعانى وكذلك كتب الحديث والتفسير والفقه فى المذاهب وغير ذلك فكانوا يأتون إلى ذلك المكان ويأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ومنهم من يهمل التغيير فتضيع الكراريس ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره ومنهم من يهمل أخر الكتاب ويتفق أن الاثنين والثلاثة يشتركون فى الكتاب الواحد والنسخة الواحدة ولا بد من حصول التلف من أحدهم ولا بد من حصول الضياع والتلف فى كل سنة وخصوصًا فى أواخر الكتب عندما تفتر هممهم.

ولما مات حسن أفندى المذكور اشترى جميعها من تركت وكذلك غيرها من الآلات الارتفاعية والميالات وحلق الأرصاد والإسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية وأدوات غالب الصنائع مثل النجارين والخراطين والحدادين والسمكرية والمجلدين والنقاشين والصواغ وآلات الرسم والتقاسيم ويجتمع به كل متقن وعارف فى صناعته مثل حسن أفندى الساعاتى وكان ساكنًا عنده وعابدين أفندى الساعاتى وعلى أفندى رضوان وكان من أرباب المعارف فى كل شئ ومحمد أفندى الإسكندرانى والشيخ محمد الإقفالى وإبراهيم السكاكينى والشيخ محمد الزيدانى وكان فريدًا فى صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان وغير هؤلاء ممن رأيت ومن لم أر وحضر إليه طلاب من الإفرنج وقرأوا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين واهدوا له من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت وأخرجوه من القوة إلى الفعل واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الأثقال واستنباط المياه وغير ذلك. وفى أيام اشتغاله بالرسم رسم ما لا يحصى من المنحرفات والمزاول على الرخامات والبلاط الكدان ونصبها فى أماكن كثيرة ومساجد شهيرة مثل الأزهر والأشرفية وقوصون ومشهد الإمام الشافعى والسادات. وفى الآثار منه ثلاثة واحدة بأعلى القصر وأخرى على البوابة

وأخرى عظيمة بسطح الجامع بقى منها قطعة وكسر باقيها فراشو الأمراء الذين كانوا ينزلون هناك للنزاهة ليمسحوا بها صوانى الأطعمة السفر وكذلك بورد أن بالتماس مصطفى أغا الوردانى وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان جريجى الرزاز رحمه الله ولما تمهر الآخذون عنه والملازمون عنده ترك الاشتغال بذلك وأحال الطلاب عليهم فإذا كان الطالب من أبناء العرب تتقيد بتلميذه الشيخ محمد ابن إسمعيل النفراوى وان كان من الأعاجم والأتراك تقيد بمحمود أفندى النيشى. واشتغل هو بمدارسة الفقه واقرائه ومراجعة الفتاوى والتحرى فى الفروع الفقهية والمسائل الخلاقية وانكب عليه الناس يستفتونه فى وقائعهم ودعاويهم_ وتقرر فى أذهانهم تحريه الحق والنصوص حتى أن القضاة لا يثقون إلا بفتواه دون غيره وتقيد للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشى فانفتحت قريحته وراج أمره وترشح بعده للإفتاء.

وكان المترجم لا يعتنى بالتأليف إلا فى بعض التحقيقات المهمة منها نزعة العينين فى زكاة المعدنين ورفع الأشكال بظهور العشر فى العشر فى غالب الأشكال والأقوال المعربة عن أحوال الأشربة وكشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام والوشى المجمل فى النسب المحمل والقول الصائب فى الحكم على الغائب وبلوغ الآمال فى كيفية الاستقبال والجداول البهية برياض الخزرجية فى علم العروض وإصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار ومآخذ الضبط فى اعتراض الشرط على الشرط والنسمات الفيحية على الرُسالة الفتحية والعجالة على أعدل آلة وحقائق الدقائق على دقائق الحقائق واخصر المختصرات على ربع المقنطرات والثمرات المجنية من أبواب الفتحية والمفصحة فيما يتعلق بالأسطحة والدر الثمين فى علم الموازين وحاشية على شرح قاضى زادة على الجغمينى لم تكمل وحاشية على الدر المختار لم تكمل ومناسك الحج وغير ذلك حواش وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية فى الحكمة والبرزنجى على قاضى زاده وأمثلة وبراهين هندسية شتى. وما له من الرسومات المخترعة والآلات النافعة المبتدعة ومنها الآلة المربعة لمعرفة الجهات والسمت والانحرافات بأسهل مأخذ وأقرب طريق

والدائرة التاريخية وبركار الدرجة. واتفق أنه فى سنة اثنتين وسبعين وقع الخلل فى الموازين والقبابين وجهل أمر وضعها ورسمها وبعد تحديدها وريحها ومشيلها واستخراج رمامينها وظهر فيها الخطأ واختلفت مقادير الموزونات وترتب على ذلك ضياع الحقوق وإتلاف الأموال وفسد على الصناع تقليدهم الذى درجوا عليه فعند ذلك تحركت همة المترجم لتصحيح ذلك وأحضر الصناع لذلك من الحدادين والسباكين وحرر المثاقيل والصنج الكبار والصغار والقرسطونات ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم العملى والوضع الهندسى وصرف على ذلك أموالا من عنده ابتغاء لوجه الله ثم أحضر كبار القبانية والوزانين مثل الشيخ على خليل والسيد منصور والشيخ على حسن والشيخ حسن ربيع وغيرهم وبين لهم ما هم عليه من الخطأ وعرفهم طريق الصواب فى ذلك وأطلعهم على سر الوضع والصنعة ومكنونها وأحضروا العدد وأصلحوا منها ما يمكن إصلاحه وأبطلوا ما تقادم وضعه وفسدت لقمه ومراكزه وقيدوا بصناعة ذلك الأسطا مراد الحداد ومحمد بن عثمان حتى تحررت الموازين وانضبط أمرها وانصلح شانها. وسرت فى الناس العدالة الشرعية المأمورين بإقامتها واستمر العمل فى ذلك أشهرًا وهذا هو السبب الحامل له على تصنيف الكتاب المذكور وهذا هو ثمرة العلم ونتيجة المعرفة والحكمة المشار إليها بقوله تعالى: «يؤتى الحكمة من يشاء» (سورة البقرة آية ٢٦٩).

ولما وصل إلى مصر الشيخ إبراهيم بن أبى البركات العباسى البغدادى الشهير بابن السويدى فى سنة ١١٧٥ هجرية، وكان إمامًا فاضلاً فصيحًا مفوهًا ينظم الشعر بالإملاء ارتجالاً فى أى قافية من أى بحر من غير تكلف فانزله المترجم وأكرمه واغتبط به وصار يتنقل صحبته مع الجماعة بمنازل بولاق والمنتزهات. واتفق أنه تمرض أياما فأقام بمنزله ببولاق المشرف على النيل فقيد به من يعوله ويخدمه ويعلل مزاجه فكان كلما اختلى بنفسه وهبت عليه النسمات الشمالية والنفحات البحرية اخذ القلم ببنانه ونقش على أخشابه وحيطانه فكتب نحو العشرين قصيدة على مواقف عديدة كلها مدائح فى المذكور والرياض والزهور والكوثر والسلسبيل وجريان النيل وتركت بحالها وذهبت كغيرها.

وفى سنة تسع وسبعين توفى ولده أخى لأبى أبو الفلاح على وقد بلغ من العمر اثنتى عشرة سنة. فحزن عليه وانقبض خاطره وانحرف مزاجه وتوالت عليه النوازل وأوجاع المفاصل وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها ونقل العيال من هناك ولازم البيت الذى بالصنادقية واقتصر عليه وفتر عن الحركة إلا فى النادر.

وصار يملى الدروس بالمنزل ويكتب على الفتاوى ويراجع المسائل الشرعية والقضايا الحكمية مع الديانة والتحرى والمراجعة والاستنباط والقياس الصحيح ومراعاة الأصول والقواعد ومطارحات لتحقيقات والفوائد.

وتلقى الوافدين وإكرام الواردين وإطعام الطعام وتبليغ القاصد المرام ومراعاة الأقارب والأجانب مع البشاشة ولين الجانب وسعة الصدر وحسن الأخلاق مع الخلان والأصحاب والرفاق ويخدم بنفسه جلاسه ولا يمل معهم إيناسه ولا يبخل بالموجود ولا يتكلف المفقود ولا يتصنع فى أحواله ولا يتمشدق فى أقواله ويلاحظ السنة فى أفعاله.

ومن أخلاقه أنه كان يجلس بأخر المجلس على أى هيئة كان بعمامة وبدونها ويلبس أى شىء كان ويتحزم ولو بكنار الجوخ أو قطعة خرقة أو شال كشميرى أو محزم ولا ينام على فراش ممهد بل ينام كيفما اتفق وكان أكثر نومه وهو جالس وله مع الله جانب كبير كثير الذكر دائم المراقبة والفكر ينام أول الليل ويقوم أخره فيصلى ما تيسر من النوافل والوتر ثم يشتغل بالذكر حتى يطلع الفجر فيصلى الصبح ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس فيضطجع قليلاً أو ينام وهو جالس مستندا وهذا دأبه على الدوام.

ويحاذر الرياء ما أمكن وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان ولا يقول إنى صائم وربما ذهب بعض الأعيان أو دعى إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات فلا يرد ذلك بل يأخذها ويوهم الشرب وكذلك الأكل ويضايع ذلك بالمؤانسة والمباسطة مع صاحب المكان والجالسين.

وكان مع مسايرته للناس وبشاشته ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيمة الهيبة فى نفوسهم وقوراً محتشماً ذا جلال وجمال. وسمعت مرة شيخنا سيدى

محمودًا الكردى يقول. أنا عندما كنت أراه داخلاً فى دهليز الجامع يداخلنى منه هيبة عظيمة وأدخل إلى رواقنا وأنظر إليه من داخل وأسال المجاورين عنه فيقولون لى هذا الشيخ الجبرتى فأتعجب لما يداخلنى من هيبته دون غيره من الأشياخ فلما تكرر على ذلك أخبرت الأستاذ الحنفى فتبسم وقال لى نعم انه صاحب أسرار. وكان مربوع القامة ضخم الكراديس أبيض اللون عظيم اللحية منور الشيبة واسع العينين غزير شعر الحاجبين وجيه الطلعة يهابه كل من يراه ويود أنه لا يصرف نظره عن جميل محياه. ولم يزل على طريقته المفيدة وأفعاله الحميدة إلى أن أذنت شمسه بالزوال وغربت بعدما طلعت من مشرق الإقبال وتعلل اثنى عشر يومًا بالهيضة الصفراوية فكان كلما تناول شيئًا قذفته معدته عندما يريد الاضطجاع إلى أن اقتصر على المشروبات فقط وهو مع ذلك لا يصلى إلا من قيام. ولم يغب عن حواسه وكان ذكره فى هذه المدة يقرأ الصمدية مرة ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة السنوسية كذلك ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية وهو. يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه هكذا كان دأبه ليلاً نهارًا حتى توفى يوم الثلاثاء قبيل الزوال غرة شهر صفر من السنة وجهز فى صبحة يوم الأربعاء وصلى عليه بالأزهر بمشهد حافل جدًا ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء بجوار الشمس البابلى والخطيب الشربينى ومات وله من العمر سبع وسبعون سنة.

و مات الإمام العلامة مفتى المسلمين الشيخ حسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتى الحنفى وهو جد الشيخ الوالد أخذ عن أشياخ عصره من أهل القرن الحادى عشر كالبابلى والأجهورى والزرقانى وسلطان المزاحى الشبراملسى والشهاب الشويرى وتفقه على الشيخ حسن الشرنبلالى الكبير ولازمه ملازمة كلية وكتب تقاريره على نسخ الكتب التى حضرها عليه ومنها كتاب الأشباه والنظائر للعلامة بن نجيم وكتاب الدرر شرح الغرر لملا خسرو وكلا النسختين بخطه الأصلى وما عليهما من الهوامش ثم جرد ما عليهما فصارا تألفين مستقلين وهما الحاشيتان المشهورتان على الدرر والأشباه للعلامة السرنبلالى وكلتا النسختين وما عليهما من الهوامش موجودتان عندى إلى الآن بخط المترجم ومن تأليفه رسالة على البسملة.

ولما توفى الأستاذ الشرنبلالى فى سنه تسع و ستين وألف تصدر بعده للإفادة والتدريس والإفتاء وأقرأ ولده الشيخ حسن وتقيد به حتى ترعرع وتمهر وتوفى المترجم فى سنة ست وتسعين وألف وترك الجد إبراهيم صغيراً فربته والدته الحاجة مريم بنت المرحوم الشيخ محمد المنزلى حتى بلغ رشده فزوجته ببنت عبد الوهاب أفندى الدلجى وعقد عقده عليها بحضرة كل من الشيخ جمال الدين يوسف أبى الإرشاد والشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى وشهاب الدين أحمد المرحومى والشيخ شهاب الدين أحمد البرماوى والشيخ زين الدين أبى السعود الدنجيهى الشافعى الدمياطى شيخ المدرسة المتبولية والشيخ شمس الدين محمد الأرمناوى وغيرهم المثبتة أسماؤهم فى حجة العقد فى كاغد كبير رومى محرر ومسطر بالذهب وعليه لوحة مموهة بالذهب مؤرخة بغاية شعبان سنة ثمان ومائة وألف وهى محفوظة عندى إلى الآن بإمضاء موسى أفندى بمحكمة الصالحية النجمية وبنى بها فى ربيع أول وحملت منه بالمرحوم الوالد وفات الحد بعد ولادة الوالد بشهر واحد وذلك فى سنة عشر ومائة وألف وعمره ست عشرة سنة لا غير. ولما كانت سنة ١١٨١هـ أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين.

فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيساً فى طائفتهم فتوجه إلى الإسكندرية وركب منها إلى الروم وأبلى فى تلك السفر بلاء حسناً. وبعد مدة أذن لهم بالانصراف فعاد إلى مصر وقد وهنت قواه واعترته الأمراض وزاد شكواه وهو مع ذلك يكتب ويفيد ويجيز ويعيد ويحضر مجالس أهل الخط على عادته. وجلس ملازماً لفراشه مدة حتى وافاه الحمام ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة فجهز وصلى عليه بمشهد حافل فى مصلى المؤمنين ودفن عند ابن أبى جمرة قرب العياشى فى قبر كان أعده لنفسه منذ مدة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله.

ووالى مصر خليل باشا كان محجور عليه ليس له فى الولاية إلا الاسم والعلامة على الأوراق والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بك أبى الذهب والأمراء واعيان الدولة مماليكه واشرقاته والوقت فى هدوء وسكون وأمن والأحكام فى الجملة مرضية والأسعار مرخية وفى الناس بقية وستائر الحياء

عليهم مرخية شعر. وما الدهر فى حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب
ومات فى هذه السنة الإمام العلامة والتحرير الفهامة حامل لواء العلوم على كأهل فضله ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم بتحريره ونقله من تكحلت بحبره عيون الفتوى وتشنفت المسامع بما عنه يروى وارتفع من حضيض التقليد إلى ذرا الفضائل وسابق فى حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل الروض النضير الذى ليس له فى سائر العلوم نظير وهو فى فقه النعمان الجامع الكبير عمدة الأنام وفيلسوف الإسلام سيدى ووالدى بدر الملة والدين أبى التدائى حسن بن برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ العلامة حسن ابن الشيخ نور الدين على بن الولى الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعى الجبرتى العقلى الحنفى وبلاد الجبرت هى بلاد الزيلع بأراضى الحبشة تحت حكم الخطى ملك الحبشة وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة وهم المسلمون بذلك الإقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى لا غير وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب وكان أميرهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى المشهور الذى امن به ولم يره وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الغيبة كما هو مشهور فى كتب الأحاديث وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة فى طلب العلم ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بمكة المشرفة ورواق بالجامع الأزهر بمصر وللحافظ المقريزى مؤلف فى أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم.

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير الشيخ إسمعيل بن سودكين الجبرتى تلميذ الشيخ ابن العربى ويسمى قطب اليمن والشيخ عبد الله الذى ترجمه الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة وهو الذى كان يعتقده الملك الظاهر برقوق وأوصى عند موته بان يدفن تحت قدمه بالصحراء ومنهم الولى العارف الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان الأشرف قايتباى وأرتحل إلى بحيرة أدكو فيما بين رشيد والإسكندرية وبنى هناك مسجدًا عظيمًا ووقف عليه عدة أماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها وفيه إلى الآن بقية صالحة.

وبنى أيضًا مسجدًا شرقى عمارة السلطان قايتباى ودفن به وقد خرب وانطمست معالمه ولم يبق إلا مدفنه وحوله حائط منهدم من غير باب ولا سقف وقبره ظاهر مكشوف يزار وللناس فيه اعتقاد عظيم.

ومن كراماته التى أكرمه الله بها أنه يرى على قبره فى بعض الليالى المظلمة نور مثل القنديل المستنير يرى ذلك سكان العمارة وغيرهم وهو أمر مشهور ومنها أن السفار وقوافل الأعراب ينزلون بأحمالهم حول قبره فى الحوطة ويتركونها من غير حارس ليالى وأياما آمنين فلا يتعدى عليها سارق البتة ويعتقدون العطب للجانى فى بدنه أو ماله وهو أمر مشهور أيضًا مقرر فى أذهانهم إلى الآن.

ومنهم الإمام الحجة المجتهد الفقيه الأصولى الجدلى صاحب التصحيح والترجيح فخر الدين أبى عمر وعثمان الحنفى الزيلعى شارح الكنز المسمى بتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق المدفون بحوطة سيدى عقبة بن عامر الجهنى والشيخ الزيلعى الشافعى المدفون بالقرافة الكبرى وغير هؤلاء كثير ببلادهم وبأرض الحجاز ومصر والقصد بذلك التعريف بالنسبة قال تعالى: «جعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم» (سورة الحجرات ، الآية ١٣).

والنجاشى أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الملوك ولم يره وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبى طالب وزوجه أم حبيبة رضى الله عنها وجهزها من عنده وأرسلها للنبى صلى الله عليه وسلم من الحبشة إلى المدينة ومن أراد الإطلاع على أخبار النجاشى رضى الله عنه مع النبى صلى الله عليه وسلم وهداياه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهدايا النبى إليه وبعض أخبار الحبشة وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار فلينظر فى كتاب الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش للإمام العلامة علاء الدين محمد بن عبد الله البخارى خطيب المدينة المنورة ورفع شأن الحبشان للعلامة جلال الدين السيوطى وتنوير الغبش فى فضائلى السودان والحبش لابن الجوزى وفى تفسير البغوى اخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت لما مات النجاشى كما نحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وفى أزهار العروش فى من عرف اسمه من الصحابة الحبوش ومن عبيدة صلى الله عليه وسلم.

ومنهم أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولى أبى بكر الصديق وهو أول من أذن فى الإسلام وأول من ثوب فى الفجر كما فى الأوائل للسيوطى وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت المال كما فى تهذيب الأسماء واللغات وكان يبدل الشين بالسين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شانه. شين بلال سين عندى وعند الله. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول. كان أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلال.

وروى عنه كثير من كبار الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدرى وكعب بن عرفجة والبراء ابن عازب وغيرهم وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أجمعين. ومنهم شقران بضم الشين المعجمة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما خدامه من الحبشة الأحرار فكثيرون وكذلك الصحابيات من إمائه وأهل بيته.

ومنهم أم ايمن ذات الهجرتين وهى مرضعته وحاضنته وحليمة السعدية وثويبة وبركة جارية أم حبيبة وبريرة مولاة عائشة رضى الله عنها وتبعة جارية أم هانئ بنت أبى طالب وغفرة وسعيرة كذلك عبيد الصحابة.

ومنهم مهجع بكسر الميم وفتح الجيم مولى عمر بن الخطاب وهو أول من استشهد ببدر وكان من المهاجرين الأولين وعده النبى صلى الله عليه وسلم من سادات أهل الجنة وقال فى شانه يوم قتل سيد الشهداء. مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة.

ومنهم أسلم مولى عمر بن الخطاب وأيمن الحبشى المكى والدعبد الواحد ابن أيمن وبسار مولى المغيرة بن شعبة أخرج الحسن بن محمد الخلال فى كرامات الأولياء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال. دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى. يا أبا هريرة يدخل على الساعة من هذا الباب رجل م ن أجل السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى. فإذا حبشى قد طلع من ذلك الباب أقرع أجدع على رأسه جرة فيها ماء. فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم. يا أبا هريرة هو هذا. ثم قال مرحبًا بيسار ثلاث مرات وكان يرش المسجد ويكنسه ومات فى عهده صلى الله عليه وسلم.

وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته فكثيرون جدًا لا يمكن استيعابهم فى هذا الاستطراد ضبطًا وعددًا وكذلك أبناء الحبشيات من قريش من الصحابة والتابعين وأهل البيت الطاهرين والخلفاء العباسيين ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشان مثل صفوان بن أمية بن خلف الجمحى وعمرو بن العاص وغيرهما مثل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهو أول مولود فى الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق وكان يسمى بحر الجود وأخباره فى السخاء والكرم مشهورة والحرث بن حاطب الصحابى ومحمد بن حاطب وعمرو بن أبى سلمة وفى الحبوش أخلاق لطيفة وشمائل ظريفة وفيهم الحذق والفطانة ولطافة الطباع وصفاء القلوب لكونهم من جنس لقمان الحكيم وهم أجناس منهم السحرتى والأمحرى وهم أحسن أجناس الحبوش الموصوفين بالصباحة والملاحة والفصاحة والسماحة والنعومة فى الخد والرشاقة فى القد ولله در الشيخ العلامة القاضى عبد البر ابن الشحنة الحنفى حيث يقول: «فطفقت اسأل عن نعومة ما خفى قالت فما تبغيه جنسى امحرى والامحرية تفوق على السحرتية باللطف والظرف والسحرتية تفوق على الأمحرية بالشدة والعنف فبينهما عموم وخصوص مطلق وقيل إن النجاشى منهم رضى الله عنه ويقال إن بنى أرفده الذين لعبوا بحرابهم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفازوا بخطابه أعنى قوله لهم دونكم يا بنى أرفدة منهم ويقرب من هذين النوعين نوعان آخران نوع الدموات وبلين ونوعان آخران وهما قمو وقتر ونوع أخر يسمى إزاره».

عود وانعطاف أن الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع لجامعه وإليه ينتهى علمنا بالأجداد هو الذى ارتحل من بلاده ووصل إلينا خبره سلفًا عن خلف فقدم من طريق البحر إلى جدة وانتقل إلى مكة فجاور بها، وحج مرارًا وذهب ايضًا إلى المدينة المنورة فجاور بها سنتين ولقى من لقى بالحرمين من الأشياخ وتلقى عنهم ثم رجع إلى جدة وحضر إلى مصر من طريق القلزم فدخل إلى

الجامع الأزهر فى أوائل العاشر وجاور بالرواق ولازم حضور الأشياخ واجتهد فى التحصيل وتولى شيخًا على الرواق والتكلم على طائفته وتزوج وولد له.

فلما مات خلف ولده الشيخ شمس الدين محمد ونشأ على قدم الصلاح والاشتغال بطلب العلم وتولى مشيخة الرواق كوالده وأنجب وقرأ دروسًا فى الفقه والمعقول بالرواق وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن ولا يبيت عند عياله ليلة أو ليلتين فى الجامعة وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة والتهجد أخره.

ومما اتفق له وعد من كراماته أن السراج انطفأ فى بعض الليالى الشتوية فأيقظ النقيب ليسرج له سراجًا فقام من نومه متكرهًا وأخذ قنديلاً وذهب ليسرجه فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نورًا فستر ذلك القنديل ونظر إليه من بعد لينظر من أين أتاه الإسراج فوجده يطالع فى الكراس وهو فى يده اليسار وسبابة يده اليمن رافعها وهى تضىء مثل الشمعة المستنير ويطالع فى نورها.

ثم دخل النقيب بالقنديل فاختفى ذلك الضوء وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاتبه على التجسس وأشار إليه بكتمان سره ولم يغش الشيخ بعد ذلك إلا قليلاً. وتوفى إلى رحمه الله تعالى.

وخلفا ابنه الشيخ على فنشأ أيضًا على قدر أسلافه فى ملازمة العلم والعمل وصار ذا شهرة وثروة وتزوج بزينب بنت الإمام العلامة القاضى عبد الرحمن الجوينى ولم يزل مواظبًا على شأنه وطريقة أسلافه حتى توفى وخلف ولديه الإمام العلامة الشيخ حسن الذى تقديم ذكر ترجمته المتوفى سنة ١٠٩٧ وأخاه الشيخ عبد الرحمن ومات فى حياة أخيه سنة ١٠٨٦ وكان لزينب الجوينية أماكن جارية فى ملكها وقفتها على ولدى زوجها المذكورين.

ولما توفى الشيخ حسن أعقب الجد إبراهيم رضيعًا فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الأنصارى فنشأ أيضا نشوءًا صالحًا حتى بلغ الحلم فزوجوه بستيتة بنت عبد الوهاب أفندى الدلجى

فى سنة ١١٠٨ وبنى بها فى تلك السنة وحملت بالمترجم وولدته فى سنة عشر ومائة وألف ومات والده وعمره شهر واحد وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة وصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشرتى وقرروه فى مشيخة الرواق كأسلافه والمتكلم عند الوصى المذكور فتربى فى حجورهم حتى ترعرع وحفظ القرآن عمره عشر سنين واشتغل بحفظ المتون فحظ الألفية والجوهرة ومتن كنز الدقائق فى الفقه ومتن السلم والرحبية ومنظومة ابن الشحنة فى الفرائض وغير ذلك.

■ هدف تأليف الكتاب ومصادر الجبرتى:

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه: «إنى كنت سودت أوراقًا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه من أوائل الثالث عشر الذى نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمراء المعتبرين وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم.

فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة الصحابة رضى الله عنهم وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك.

ولما كان علم التاريخ علما شريفا فيه العظة والاعتبار وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله فى هذه الدار وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة فى أم الكتاب فقال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب.

وجاء من أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين كحديثه عن بنى إسرائيل وما غيروه من التوراة والإنجيل وغير ذلك من أخبار العجم والعرب مما يفضى بمتأمله إلى العجب. وقد قال الشافعى رضى الله عنه: من علم التاريخ زاد عقله.

ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنسانى تعتنى بتدوينه سلفًا عن سلف وخلفًا من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البطالين وأساطير الأولين ولعمرى أنهم لمعذورون وبالأهم مشتغلون ولا يرضون لأقلامهم المتعبة فى مثل هذه المنقبة فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله وانخرمت قواعده فى الحساب فلا تضبط وقائعه فى دفتر ولا كتاب.

وإشغال الوقت فى غير فائدة ضياع وما مضى وفات ليس له استرجاع إلا أن يكون مثل الحقير منزويا فى زوايا الخمول والإهمال منجمعًا عما شغلوا به من الأشغال فيشغل نفسه فى أوقات من خلواته ويسلى وحدته بعد سيئات الدهر وحسناته.

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ولا تشعبت فروعها منها طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النحاة والحكماء والأطباء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار المغازى وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان. ومنها كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب.

وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدًا ذكر منها فى مفتاح السعادة ألفًا وثلاثمائة كتاب قال فى ترتيب العلوم وهذا بحسب إدراكه واستقصائه وألا فهى تزيد على ذلك لأنه ما ألف فى فن من الفنون مثل ما ألف فى التواريخ وذلك لانجذاب الطبع إليها والتطلع على أمور المغيبات ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنائهم بحسب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك مع ما لهم من الأحوال والسياسات وغير ذلك فمن الكتب المصنفة فيه تاريخ ابن كثير فى عدة مجلدات وهو القائل شعرًا:

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر فلا عائد صفو الشباب الذى مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

وتاريخ الطبرى وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد وتاريخ ابن الأثير الجزرى المسمى بالكامل ابتدأ فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب أخبار الصحابة فى ستة مجلدات.

وتاريخ ابن الجوزى وله المنتظم فى تواريخ الأمم ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى فى أربعين مجلدا وتاريخ ابن خلكان المسمى بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان وتواريخ المسعودى أخبار الزمان والأوسط ومروج الذهب.

ومن أجل التواريخ تواريخ الذهبى الكبير والأوسط المسمى بالعبر والصغير المسمى دول الإسلام وتواريخ السمعانى منها ذيل تاريخ بغداد لأبى بكر بن الخطيب نحو خمسة عشر مجلدا وتاريخ مرو يزيد على عشرين مجلداً والأنساب فى نحو ثمان مجلدات وتواريخ العلامة ابن حجر العسقلانى وتاريخ الصفدى وتواريخ السيوطى وتاريخ الحافظ ابن عساكر فى سبعة وخمسين مجلدا وتاريخ اليافعى وبستان التواريخ ستة مجلدات وتواريخ بغداد وتواريخ حلب وتواريخ أصبهان للحافظ أبى نعيم وتاريخ بلخ وتاريخ الأندلس والإحاطة فى أخبار غرناطة وتاريخ اليمن وتاريخ مكة وتواريخ الشام وتاريخ المدينة المنورة وتواريخ الحافظ المقريزى وهى الخطط والآثار و غير ذلك ونقل فى مؤلفاته أسماء تواريخ لم نسمع بأسمائها فى غير كتبه مثل تاريخ ابن أبى طى والمسيحى وابن المأمون وابن زولاق والقضاعى.

ومن التواريخ تاريخ العلامة العينى فى أربعين مجلداً رأيت منها بعض مجلدات بخطه وهى ضخمة فى قالب الكامل ومنها تاريخ الحافظ السخاوى والضوء اللامع فى أهل القرن التاسع رتبه على حروف المعجم فى عدة مجلدات وتاريخ العلامة ابن خلدون فى ثمان مجلدات ضخام ومقدمته مجلد على حدة من أطلع عليها رأى بحرًا متلاطما بالعلوم مشحونا بنفائس جواهر المنطوق والمفهوم وتاريخ ابن دقاق.

وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى وذكر المسعودى جملة كبيرة منها وتاريخه لغاية سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فما ظنك بما بعد ذلك»

■ منهج الجبرتى فى كتابة التاريخ:

يذكر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى مقدمته «ولما عزمت على جمع ما كنت سودته أردت أن أوصله بشىء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش ألا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلة التهذيب والترتيب وقد اعتراها النقص من مواضع فى خلال بعض الوقائع.

وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع لكنه على نسق فى الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد حلبى بن عبد الغنى مبتدئا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية وينتهى كغيره ممن ذكرناه إلى خمسين ومائة وألف هجرية. ثم أن ذلك الكتاب استعاره بعض الأصحاب وزلت به القدم ووقع فى صندوق العدم.

ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ولم يسطر فى هذا الشأن شيئا يفيد فرجعنا إلى النقل من أفواه الشيخة المسنين وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على أحجار ترب المقبورين وذلك من أول القرن إلى السبعين وما بعدها إلى التسعين أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها ومنها إلى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها وسطرناها إلى أن تم ما قصدنا بأى وجه كان وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا إلى ذلك الأوان.

وسنورد إن شاء الله تعالى ما ندركه من الوقائع بحسب الإمكان والخلو من الموانع إلى أن يأتى أمر الله وأن مردنا إلى الله ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفسانى أو غرض جسمانى وأنا استغفر الله من وصفى طريقا لم أسلكه وتجارتى مقدمة أعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها أحوج بعض الناس إلى بعض فى ترتيب معايشهم ومآكلهم وتحصيل ملابسهم ومساكنهم لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التى تحصل ما تحتاج إليه بغير صنعة».

ويقول فى التراجم «وأما من مات فى هذه الأعوام من الأمراء المشاهير فلنقتصر على ذكر بعض المشهورين مما يحسن إيراده فى التبيين إذ الأمر أعظم

مما يحيط به المجيد فلنقتصر من الحلى على ما حسن بالجيد ما وصل علمه إلى وثبت خبره لدى إذ التفصيل فى أحوالهم متعذر والدواء من غير حمية غير متيسر ولم أخترع شيئًا من تلقاء نفسى والله مطلع على أمرى وحدسى».

■ موضوعية الجبرتى:

تتضح للقارئ موضوعية الجبرتى مما ذكره فى متنه من العبارات والتى جاء فيها: «وسنورد إن شاء الله تعالى ما ندركه من الوقائع بحسب الإمكان والخلو من الموانع إلى أن يأتى أمر الله وأن مردنا إلى الله ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفسانى أو غرض جسمانى وأنا استغفر الله من وصفى طريقا لم أسلكه وتجارتى مقدمة أعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها أحوج بعض الناس إلى بعض فى ترتيب معايشهم ومآكلهم وتحصيل ملابسهم ومساكنهم لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التى تحصل ما تحتاج إليه بغير صنعة».

وبعد، فأرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب كما أُنتفع بأصله من جميع الباحثين فى تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر.

د. عصام أحمد عيسوى

القاهرة - ٢٠٠٧م

■ من نصائح الرشاد لمصالح العباد:

أعلم أن سبب هلاك الملوك أطراح ذوى الفضائل واصطناع ذوى الرذائل والاستخفاف بعظة الناصح والاغترار بتزكية المادح من نظر فى العواقب سلم من النوائب وزوال الدول اصطناع السفل ومن استغنى بعقله ضل ومن اكتفى برأيه زل ومن استشار ذوى الألباب سلك سبيل الصواب ومن استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول من عدل فى سلطانه استغنى عن أعوانه عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان الملك يبقى على الكفر والعدل لا يبقى على الجور والأيمان.

ويقال: حق على من ملكه الله على عباده وحكمه فى بلاده أن يكون لنفسه مالكًا وللهوى تاركًا وللغيظ كاظمًا وللظلم هاضمًا وللعدل فى حالتى الرضى والغضب مظهرًا وللحق فى السر والعلانية مؤثرًا وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه.

ولقد صدق من قال: يا أيها الملك الذى بصلاحه صلح الجميع أنت الزمان فإن عدلت فكله أبدًا ربيع. وقال عمرو بن العاص: ملك عادل خير من مطر وابلو من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه:

موعظة: كل محنة إلى زوال وكل نعمة إلى انتقال: رأيت الدهر مختلفا يدور فلا حزن يدوم ولا سرور وشيدت الملوك به قصورًا فما بقى الملوك ولا القصور

وقال المأمون: يبقى الثناء وتنفد الأموال ولكل وقت دولة ورجال من كبرت همته كثرت قيمته.

لا تثق بالدولة فإنها ظل زائل ولا تعتمد على النعمة فأنها ضيف زاحل. فإن الدنيا لا تصفو لشارب ولا تفى لصاحب.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى: انصحنى فكتب إليه: أن الذى يصحبك لا ينصحك والذى ينصحك لا يصحبك وسأل معاوية الأحنف بن قيس وقال له: كيف الزمان فقال أنت الزمان إن صلحت صلح الزمان وإن فسدت فسد الزمان.

آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة القادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدول قلة الورع وآفة القوى استضعاف الخصم وآفة الجرىء إضاعة الحزم وآفة المنعم قبح المن وآفة المذنب حسن الظن والخلافة لا يصلحها إلا التقوى والرعية لا يصلحها إلا العدل فمن جارت قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته.

ويقال: شيئان إذا صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعية، ومن كلام بعض البلغاء: خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف.

قال وهب بن منبه: إذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته حتى فى التجارات والزراعات وفى كل شىء وإذا هم بالخير أو عمل به أدخل الله البركة على أهل مملكته حتى فى التجارات والزراعات وفى كل شىء ويعم البلاد والعباد.

ولنقبض عنان العبارات النقلية فى أرض الإشارات العقلية المقتطفة من نظم السلوك فى مسامرة الملوك وغرر الخصائص وغرر النقائص وهو باب واسع كثير المنافع وملاك الأمر فى ذلك حسن القابلية وأن تكون مرآة إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع أدب الأديب وقيل: إن الأخلاق وإن كانت غريزية فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب

مفتعل والتطبع مجذوب منفعل تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال.

وقد يكون فى الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الأخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة وتتأنف من المثلبة.

لكن سلطان طبعه يأبى عليه ويستعصى عن تكليف ما ندب إليه يختار العطل منها على التحلى ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلى فلا ينفعه التأنيب ولا يردعه التأديب وسبب ذلك ما قرره المتكلمون فى الأخلاق من أن الطبع المطبوع أملك للنفس التى هى محله لاستيطانه إياها وكثرة إعانته لها.

وأما الذى يجمع الفضائل والرذائل فهو الذى تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الأخلاق من معاشرة الإخلاء أما بالصالح أو بالفساد فرب طبع كريم أفسدته معاشرة الأشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار: وقدْ ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. وقال على رضى الله عنه لولده الحسن: الأخ رقعة فى ثوبك فانظر بمن ترقعه.

وقال بعض الحكماء فى وصيته لولده يابنى احذر مقارنة ذوى الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك طباعهم وأنت لا تشعر وأما إذا كان الخليل كريم الأخلاق شريف الأعراق حسن السيرة طاهر السريرة فبه فى محاسن الشيم يقتدى وبنجم رشده فى طريق المكارم يهتدى وإذا كان سيئ الأعمال خبيث الأقوال كان المغتبط به كذلك ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الأريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه.

وقال بعض الحكماء: النفس عزوف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وإن أصلحتها صلحت وإن أفسدتها فسدت.

اللهم بحرمة سيد الأنام يسر لنا حسن الختام واصرف عنا سوء القضاء وانظر لنا بعين الرضاء وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ عن زهر مجمل التاريخ.

أول خليفة جعل فى الأرض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى: أنى جاعل فى الأرض خليفة.

ثم توالت الرسل بعده لكنها لم تكن عامة الرسالة بل كل رسول أرسل إلى فرقة فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده وملزموهم بتوحيد وامتثال أوامره ونواهيه ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم فى الدنيا وفوزهم بالنعيم السرمدى إذا امتثلوا فى الآخرة إلى أن جاء ختامهم الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والإعلان والتطهير من عبادة الأوثان.

وآمن به من آمن من الصحابة رضوان الله عليهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون.

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ويتعالى ويسمو حتى تم ميقاته وقربت من النبى وفاته.

وأنزل الله عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا.

ولما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه ثم عثمان رضى الله عنه ثم على كرم الله وجهه ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين فى الأمر وبموت على رضى الله عنه تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا عضوضًا وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين وانقرضت بظهور أبى مسلم الخراسانى وإظهاره دولة بنى العباس.

كان أولهم السفاح وظهرت دولتهم الظهور التام وبلغت القوة الزائدة والضخامة العظيمة ثم أخذت فى الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم ولم تزل منحطة وليس للخلفاء فى آخر الأمر إلا الاسم فقط حتى ظهرت فتنة التتار التى أبادت العالم وخرج هولاكو خان وملك بغداد وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد بعد ضعف الخلافة العباسية وفى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضى الله عنه افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية على يد عمرو بن العاص ولم تزل فى النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية وبنى العباس إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل بن المعتصم بن الرشيد سنة سبع وأربعين ومائتين.

وتغلب على النواحى كل متملك لها فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ثم دولة الإخشيد وبعده كافور أبو المسك.

ولما مات قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمى من المغرب فملكها من غير ممانع وأسس القاهرة وذلك فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وقدم المعز إلى مصر بجنوده وأمواله ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة فى توابيت وسكن بالقصرين وأدعى الخلافة لنفسه دون العباسيين.

وأول ظهور أمرهم فى سنة سبعين ومائتين فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدى وهو جد بنى عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض باليمن وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب فنما شأنه وشأن أولاده من بعده إلى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل بن القائم ابن المهدى إلى مصر وهو أولهم فملكوا نيفا ومائتين من السنين إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد وسوء سياسة وزيره شاور فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكى فاجتهد فى قتال الإفرنج واستخلص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين وجهز أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر فحاصرها نحو شهرين فاستنجد العاضد بالإفرنج فحضروا من دمياط فرحل أسد الدين إلى الصعيد فجبى خراجه ورجع إلى الشام.

وقصد الإفرنج الديار المصرية فى جيش عظيم وملكوا بلبيس وكانت إذ ذاك مدينة حصينة ووقعت حروب بين الفريقين فكانت الغلبة فيها على المصريين وأحاطوا بالإقليم برًا وبحرًا وضربوا على أهله الضرائب.

ثم أن الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط فأمر الناس بالجلاء عنها وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين وبعث إليه بشعور نسائه فأرسل إليه جندًا كثيفًا وعليهم أسد الدين شيركوه وأبن أخيه صلاح الدين يوسف فارتحل الإفرنج عن البلاد وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة وصلبه وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين وقلده الأمور ولقبه الملك الناصر فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ فى إظهار السنة وإخفاء البدعة.

فثقل أمره على الخليفة العاضد فابطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد وإخراجهم من بلاده فتفاقم الأمر وانشقت العصا ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا وانجلت الحروب عن نصرتهما فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة وحبس أقاربه وقتل أعيان دولته واحتوى على ما فى القصور من الذخائر والأموال والنفائس بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه.

وخطب للمستضىء العباسى بمصر وسير البشارة بذلك إلى بغداد ومات العاضد قهرًا وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية وطهر الإقليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة وهى عقائد الأشاعرة والماتريدية وبعث إليه أبو حامد الغزالى بكتاب ألفه له فى العقائد فحمل الناس على العمل بما فيه ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع وأظهر الهدى ولما توفى نور الدين الشهيد انضم إليه ملك الشام وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما أقام بيد الإفرنج نيفًا وإحدى وتسعين سنة وأزال ما أحدثه الإفرنج من الآثار والكنائس.

ولم يهدم كنيسة القيامة اقتداء بعمر رضى الله عنه وافتتح الفتوحات الكثيرة واتسع ملكه ولم يزل على ذلك إلى أن توفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولم يترك إلا أربعين درهما وهو الذى أنشأ قلعة الجبل وسور القاهرة العظيم.

وكان المشد على عمائره بهاء الدين قراقوش ثم استمر الأمر فى أولاده وأولاد آخيه الملك العادل وحضر الإفرنج أيضًا إلى مصر فى أيام الملك الكامل بن العادل وملكوا دمياط وهدموها فحاربهم شهورًا حتى أجلاهم وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها وكانت تسمى بالمنشية والكامل هذا هو الذى أنشأ قبة الشافعى رضى الله عنه عندما دفن بجواره موتاهم وأنشأ المدرسة الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث.

وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل حضر الإفرنج وملكوا دمياط وزحفوا إلى فارسكور واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرًا وهو مريض وانحصر جهة الشرق وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ومات بها سنة سبع وأربعين وستمائة والحرب قائمة وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا وانهزمت الإفرنج وأسر ملكهم ريدا وكانوا طائفة الفرنسيس والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندًا كثيفًا وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها وسماهم البحرية ومقدمهم الفارس أقطاى.

والملك الصالح هو الذى بنى المدارس الصالحية بين القصرين ودفن بقبة بنيت له بجانب المدرستين.

ولما انهزم الإفرنج ومات الصالح وتملك ابنه توران شاه استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور و قلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت وهى آخر الدولة الأيوبية ومدة ولايتهم إحدى وثمانون سنة.

ومن الملوك التركية تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ثمان وأربعين وستمائة وهو أول الدولة التركية بمصر.

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره وتولى الملك المظفر قطز وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار فظهر عليهم وهزمهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمورة من

الأرض وقهروا الملوك وقتلوا العباد وخربوا البلاد. وفى سنة أربع وخمسين وستمائة ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف.

فلما فرغوا من ذلك صنيعه نزل هولاكو خان وهو ابن طولون بن جنكيز خان على بغداد وذلك سنة ست وخمسين وهى إذ ذاك كرسى مملكة الإسلام ودار الخلافة فملكها وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين وفيها خليفة رب العالمين وامام المسلمين وابن عم سيد المرسلين فقتلوه وأهله وأكابر دولته وجرى فى بغداد ما لم يسمع بمثله فى الآفاق.

ثم أن هولاكو خان أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة ثم تقدم التتار إلى بلاد الجزيرة واستولوا على حران والرها وديار بكر فى سنة سبع وخمسين ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ثمان وخمسين وستمائة واستولوا عليها وأحرقوا المساجد وجرت الدماء فى الأزقة وفعلوا ما لم يتقدم مثله.

ثم وصلوا إلى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن أيوب فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة ودخل التتار إلى دمشق وتسلموها بالأمان ثم غدروا بهم وتعدوها فوصلوا إلى نابلس ثم إلى الكرك وبيت المقدس فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين تهابهم الأسود وتقل فى أعينهم أعداد الجنود فالتقاهم عند عين جالوت فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار وطمع الناس فيهم يتخطونهم.

ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحًا.

ودخل المظفر إلى دمشق مؤيدًا منصورًا وأحبه الخلق محبة عظيمة وساق بيبرس خلف التتار إلى بلاد حلب وطردهم وكان السلطان وعد بحلب ثم رجع عن ذلك.

فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر وكذلك السلطان وأسر ذلك إلى بعض خواصه فأطلع بيبرس فساروا إلى مصر وكل منهما محترس من صاحبة فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق.

ودخل بيبرس مصر سلطانًا وتلقب بالملك الظاهر وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة وهو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتى عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقه أمير مكة مع التتار.

فلما وصلوا إلى مكة منعوهم من دخول المحمل ومن كسوة الكعبة فقال أمير المحمل لأمير مكة: أما تخاف من الملك الظاهر بيبرس فقال: دعه يأتينى على الخيل البلق.

فلما رجع أمير المحمل وأخبر السلطان بما قاله أمير مكة جمع له فى السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس أبلق وجهزهم صحبة أمير الحج وخرج بعدهم على ثلاث نوق عشاريات فوافاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وأمير مكة فحاربوهم فنصرهم الله عليهم وقتل ملك التتار وأمير مكة طعنه السلطان بالرمح وقال له: أنا الملك الظاهر جئتك على الخيل البلق.

فوقع إلى الأرض وركب السلطان فرسه ودخل إلى مكة وكسا البيت وعاد إلى مصر واستقر ملكه حتى مات بدمشق سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ومدته سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما وحج سنة سبع وستين وستمائة.

ولذلك خبر طويل ذكره العلامة المقريزى فى ترجمته فى تواريخه وفى الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادًا للشرع وله فتوحات وعمارات مشهورة ومآثر حميدة ومنها رد الخلافة لبنى العباس وذلك أنه لما جرى على بغداد وقتل الخليفة وبقيت ممالك الإسلام بلا خلافة ثلاث سنوات حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين فى الواقعة إلى عرب العراق ومعه عشرة من بنى مهارش فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ثم بويع بالخلافة فبايعه السلطان وقاضى القضاة والشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم

الكبار على مراتبهم ولقب بالمستنصر وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلى جامع القلعة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العباس ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ثم صلى بالناس ورسم بعمل خلعة خليفة إلى السلطان وكتب له تقليدا وقرأ بظاهر القاهرة بحضرة الجمع وألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وفوض إليه الأمور وركب السلطان بالخلعة والتقليد محمول على رأسه ودخل من باب النصر وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ورتب له اتابكيًا واستادارًا وخازندارًا وحاجبًا وشرابيًا وكاتبًا وعين له خزانة وجملة مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلاً وعشر قطارات جمال إلى أمثال ذلك.

ثم أنه عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان وشيعه إلى دمشق وجهز معه ملوك الشرق صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار وسافروا حتى تجاوزوا فلاقاهم التتار فحاربوهم فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر.

وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس وكان أيضا مختفيا عند بنى خفاجة فتوصل مع العرب إلى دمشق وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا فأخبر به صاحب دمشق فطلبه وكاتب السلطان فى شأنه فأرسل يستدعيه فأرسله مع جماعة من أمراء العرب فلما وصل إلى القاهرة وجد المستنصر قد سبقه بثلاثة أيام فلم ير أن يدخل إليها فرجع إلى حلب فبايعه صاحبها ورؤساؤها ومنهم عبد الحليم بن تيمية وجمع خلقًا كثيرًا وقصد عانة ولقب بالحاكم.

فلما خرج المستنصر وافاه بعانة فانقاد له هذا ودخل تحت طاعته وخاصته فلما قدم المستنصر قصد الحاكم الرحبة وجاء إلى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر فيه فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعته فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة.

واستمرت الخلافة بمصر وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة وهذه من مناقب الملك الظاهر.

ولما مات الملك الظاهر تولى بعده ابنه الملك السعيد ثم أخوه الملك العادل وكان صغيرًا والأمر لقلاوون فخلعه واستبد بالملك ولقب بالملك المنصور قلاوون الألفى

الصالحى النجمى جد الملوك القلاوونية وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصورى والمدرسة والقبة التى دفن بها وله فتوحات بسواحل البحر الرومى ومصافات مع التتار وغير ذلك.

تولى سنة ثمان وسبعين وستمائة ومات أواخر مدته إحدى عشر سنة.

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وكان بطلاً شجاعًا ذا همة علية ورياسة مرضية خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل لتربته التى أنشأها بالقرب من المشهد النفيسى بجانب مدرسة أخيه الصالح على بن قلاوون. مات فى حياة أبيه وكان هو أكبر أولاده مرشحًا للسلطنة.

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى النجمى.

أقيم فى السلطنة وعمره تسع سنين فأقام سنة وخلع بمملوك أبيه زين الدين كتبغا (الملك العادل) فثار الأمير حسام الدين لاجين المنصورى نائب السلطنة على العادل وتسلطن عوضه ثم ثار عليه طغى وكبرى فقتلاه وقتلا أيضا.

واستدعى الناصر من الكرك فقدم وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية فأقام عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير وسيلار نائب السلطنة فدبر لنفسه فى سنة ثمان وسبعمائة وأظهر أنه يريد الحج بعياله فوافقه الأميران على ذلك وشرعا فى تجهيزه وكتب إلى دمشق والكرك برمى الإقامات وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير فلما تهيأ لذلك أحضر الأمراء تقاد معهم الخيل والجمال ثم ركب إلى بركة الحاج وتعين معه للسفر جماعة من الأمراء.

وعاد بيبرس وسيلار من غير أن يترجلا له عند نزوله بالبركة فرحل من ليلته وخرج إلى الصالحية وعيد بها وتوجه إلى الكرك فقدمها فى عاشر شوال ونزل بقلعتها وصرح بأنه قد ثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة ليستريح وكتب إلى الأمراء بذلك وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشويك

وأعاد من كان معه من الأمراء وسلمهم الهجن وعدتها خمسمائة هجين والمال والجمال وجميع التقادم وأمر نائب الكرك بالمسير عنه وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر وكتب للناصر تقليداً بنيابة الكرك.

فعندما وصله التقليد مع آل ملك أظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك وأنعم على البريد الحاج آل ملك وأعاده فلم يتركه المظفر وأخذ يناكده ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده والخيول التى أخذها من القلعة والمال الذى أخذه من الكرك.

وهدده فحنق لذلك وكتب إلى نواب الشام يشكو ما هو فيه فحثوه على القيام لأخذ ملكه ووعدوه بالنصرة فتحرك لذلك وسار إلى دمشق وأتت النواب إليه: وقدم إلى مصر وفر بيبرس وطلع الناصر إلى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعمائة فأقام فى الملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ومات فى ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وكسور ومدة سلطنته ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام.

وكان ملكا عظيماً جليلاً كفوءاً للسلطنة ذا دهاء محباً للعدل والعمارة وطابت مدته وشاع ومن محاسنه أنه لما أستبد بالملك أسقط جميع المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية وراك البلاد وهو الروك الناصرى المشهود وأبطل الرشوة وعاقب عليها فلا يتقلد المناصب إلا مستحقها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى ولا يقضى إلا بالحق، فكانت أيامه سعيدة وأفعاله حميدة.

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال إن مصر والقاهرة زادا فى أيامه أكثر من النصف وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها وله ولأمرائه مساجد ومدارس وتكايا مشهورة وحضر فى أوائل دولته القان غازان بجنود التتار فخرج إليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين.

وبعض مناقبه تحتاج إلى طول ونحن لا نذكر إلا لمعًا فمن أراد الإطلاع عليها فعليه بالمطولات.

وفى السيرة الناصرية مؤلف مخصوص مجلدان ضخمان ينقل عنه المؤرخون وللصفى الحلى فيه مرثية رائية بليغة نحو ستين بيتا، ولما مات دفن على والده بالقبة المنصورية بين القصرين.

وتولى من أولاده وأولاد أولاده اثنا عشر سلطانا منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك هو الذى ألف باسمه الشيخ بن أبى حجلة التلمسانى كتبه العشرة والتى منها ديوان الصبابة والسكر دان وطوق الحمامة وحاطب ليل وقرع سن.

ومنهم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد وهو الذى أمر الأشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمائمهم وفى ذلك يقول بعضهم: جعلوا لأبناء النبى علامة أن العلامة شأن من لم يشهر نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأخضر وفى أيام الأشرف هذا قدمت الإفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ووصل الخبر إلى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها.

ولهذه الواقعة تاريخ أطلعت عليه فى مجلدين ويقال إن الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط أمه أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة.

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب فأمر بإخراجهم من مصر فتجمعوا وعصوا فحاربهم وقاتلهم فانهزموا فقبض على كثير منهم فقتل منهم طائفة وغرق منهم طائفة ونفى منهم طائفة وبقى منهم بمصر طائفة التجئوا إلى بعض الأمراء وهؤلاء المماليك كانوا من مماليك يلبغا العمرى مملوك السلطان حسن ومنهم صرغتمش واسندمروآلجاى اليوسفى وهم كثيرون مختلفى الأجناس ومنهم من جنس الجركس فلم يزالوا فى اختلاف ومقت وهياج وحقد للدولة إلى أن تحيلوا وتراجعوا وتدخلوا فى الدولة فاستقر أمرهم على أن طائفة منهم سكنوا بالطباق ودخلوا فى مماليك الأسياد أى أولاد السلطان ومنهم من بقى أمير عشرة لا غير ومنهم من انضم إلى المماليك السلطانية ومماليك الأمراء وكانوا أرذل مذكور فى الإقليم المصرى.

فلما عزم الأشرف على الحج وأخذ فى أسباب ذلك انتهزوا عند ذلك الفرصة وكتموا أمرهم ومكروا مكرهم وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم حتى ينقضوا نظام الدولة ويزيلوا السلطان والأمراء.

ولما خرج السلطان من مصر خرج فى أبهة عظيمة وتجمل زائد بعد أن رتب الأمور واستخلف بمصر وثغورها من يثق به وأخذ بصحبته من لا يظن فيه الخيانة ومنهم جملة من الجلبان وأبقى منهم ومن غيرهم بمصر كذلك ولا ينفع الحذر من القدر.

فلما خرج السلطان وبعد عن مصر أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية وفعلوا ما فعلوه ونادوا بموت السلطان وولوا ابنه ووقفوا مستعدين منتظرين فعل أصحابهم الغائبين مع السلطان وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة فانهزم بعد أمور طالا المجىء إلى مصر وصحبته الأمراء الكبار وبعض المماليك ونهبت الخزينة والحج وذهب البعض إلى الشام والبعض إلى الحجاز والبعض إلى مصر صحبة حريم السلطان وجرى ما هو مسطر فى الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ونهبوا بيوت الأموال وذخائر السلطان واقتسموا محاظيه وكذلك الأمراء ووصل كل صعلوك منهم لمراتع الملوك وأزالوا عز الدولة القلاوونية وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ملوك الأرض يجبى إليهم ثمرات كل شىء.

■ الجراكسة:

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الجركسى أحد مماليك يلبغا العمرى واستقراره أميرًا كبيرًا. وكان غاية فى الدهاء والمكر فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل بن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه وهو أول ملوك الجراكسة بمصر. وبالأشرف شعبان هذا وأولاده زالت دولة القلاوونية وظهرت دولة الجراكسة.

وكان أولهم برقوق وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفى أولادهم إلى الأشرف قانصوه الغورى وابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعمائة وانقضاؤها سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فتكون مدة دولتهم مائة سنة وتسعة وثلاثين سنة.

وسبب انقضائها فتنة السلطان سليم شاه ابن عثمان وقدومه إلى الديار المصرية فخرج إليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب وخامر عليه أمراؤه خير بك والغزالى فخذلوه وفقدوه ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية.

وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل فى تواريخ المتأخرين مثل مرج الزهور لابن إياس وتاريخ القرمانى وابن زنبل وغيرهم.

وعادت مصر إلى النهاية كما كانت فى صدر الإسلام ولما خلص له أمر مصر عفا عمن بقى من الجراكسة وأبنائهم ولم يتعرض لأوقاف السلاطين المصرية بل

قرر مرتبات الأوقاف والخيرات والعلوفات وغلال الحرمين والأنبار ورتب للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ومصارف القلاع والمرابطين وأبطل المظالم والمكوس والمغارم.

ثم رجع إلى بلاده وأخذ معه الخليفة العباسى وانقطعت الخلافة والمبايعة وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث إنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة.

ولما توفى تولى بعد ابنه المغازى السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فأسس القواعد وتمم المقاصد نظم الممالك وأنار الحوالك ورفع منار الدين وأخمد نيران الكافرين وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف وتراجمه مشحونة بها التصانيف.

ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الأوان الذى استولوا عليها فيه إلى هذا الوقت الذى نحن فيه وولاة مصر نوابهم وحكامهم أمراؤهم.

وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين وأشد من ذب عن الدين وأعظم من جاهد فى المشركين.

فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم وملكوا أحسن المعمور من الأرض ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض.

هذا مع عدم إغفالهم الأمر وحفظ النواحى والثغور وإقامة الشعائر الإسلامية والسنن المحمدية وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين والتمسك فى الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع.

فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وهابتهم الملوك وأنقاد لهم المالك والمملوك.

ومما يحسن إيراده هنا ما حكاه الأسحاقى فى تاريخه أنه لما تولى السلطان سليم ابن السلطان سليمان المذكور كان لوالده مصاحب يدعى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الأساس فأقر السلطان سليم شمسى باشا العجمى مصاحبًا على ما كان عليه أيام والده وكان شمسى باشا المذكور له مداخل عجيبة وحيل غريبة يلقيها فى قالب مرض

ومصاحبة يسحر بها العقول فقصد أن يدخل شيئا منكرًا يكون سببًا لخلخلة دولة آل عثمان وهو قبول الرشاوى من أرباب الولاة والعمال.

فلما تمكن من مصاحبة السلطان قال له على سبيل العرض: عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن قصده من فيض إنعامكم عليه المنصب الفلانى ويدفع إلى الخزينة كذا وكذا.

فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسى باشا علم أنها مكيدة منه وقصده إدخال السوء بيت آل عثمان فتغير مزاجه وقال له: يا رافضى تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لإزالتها.

وأمر بقتله فتلطف به وقال له: يا باشا لا تعجل هذه وصية والدك لى فإنه قال لى أن السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الأمر فإن جنح إليه فامنعه بلطف فإن امتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها ودعا له بالثبات وخلص من القتل.

فانظر يا أخى وتأمل فيما تضمنته هذه الحكاية من المعانى.

وأقول بعد ذلك يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وليس الحال لمجهول حتى يفصح عنه اللسان بالقول وقد أخرسنى العجز أن أفتح فمًا أفغير الله أبتغى حكمًا.

■ الدولة العثمانية ونوابهم وأمرائهم المصرية :

ظهر في عسكر مصر سُنة جاهلية وبدعة شيطانية زرعت فيهم النفاق وأسست فيما بينهم الشقاق ووافقوا فيها أهل الحرف اللئام في قولهم سعد وحرام وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين و احتزبوا بأسرهم حزبين: فرقة يقال لها فقارية وأخرى تدعى قاسمية ولذلك أصل مذكور وفي بعض سير المتأخرين مسطور لا بأس بإيراده في المسامرة تتميما للغرض في مناسبة المذاكرة وهو أن السلطان سليم شاه لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه وقتل من قتل من الجراكسة وسامهم في سوق المواكسة قال يومًا لبعض جلسائه وخاصته وأصدقائه: يا هل ترى هل بقي أحد من الجراكسة نراه وسؤال من جنس ذلك ومعناه.

فقال له خير بك: نعم أيها الملك العظيم هنا رجل قديم يسمى سودون الأمير طاعن في السن كبير رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين لا يضاهيهما أحد في الميدان ولا يناظرهما فارس من الفرسان.

ثم أحضر ولديه المشار إليهما وأخرجهما من محبسهما فنظر إليهما السلطان فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان وخاطبهما فأجاباه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة ولم يخطئا في كل ما سألهما فيه ولم يتعديا في الجواب فضل التشبيه والتنبيه ثم أحضروا ما يناسب المقام من موائد الطعام فأكل وشرب ولذ وطاب وحصل له مزيد الانشراح وكمال الارتياح.

وقدم الأمير سودون إلى السلطان تقادم وهدايا وتفضل عليه الخان أيضا بالأنعام والعطايا وأمر بالتوقيع لهم حسب مطالبهم. ورفع درجة منازلهم ومراتبهم ولما فرغ من تكرمه وإحسانه ركب عائدًا إلى مكانه وأصبح ثانى يوم ركب السلطان مع القوم وخرج إلى الخلا بجمع من الملا وجلس ببعض القصور ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور فلم يتأخر منهم أمير ولا كبير ولا صغير فطلب الأمير سودون وولديه فحضرا بين يديه فقال لهم: أتدرون لم طلبتكم وفى هذا المكان جمعتكم: فقالوا: لا يعلم ما فى القلوب إلا علام الغيوب فقال: أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ويترامحا ويتسابقا بالخيل فى هذا النهار. فامتثلا أمره المطاع لأنهما صارا من الجند والأتباع فنزلا وركبا ورمحا ولعبا وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون حتى شخصت فيهما العيون وتعجب منهما الأتراك لأنهم ليس لهم فى ذلك الوقت إدراك. ثم أشار إليهما فنزلا عن فرسيهما وصعدا إلى أعلى المكان فخلع عليهما السلطان وقلدهما إمارتان ونوه بذكرهما بين الأقران وتقيدًا بالركاب ولازمًا فى الذهاب والإياب.

ثم خرج فى اليوم الثانى وحضر الأمراء والعسكر المتوانى فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين وينحازوا بأسرهم فريقين قسم يكون رئيسهم ذو الفقار والثانى أخوه قاسم الكرار. وأضاف إلى ذو الفقار أكثر فرسان العثمانيين وإلى قاسم أكثر الشجعان المصريين وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ولمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر فى الملبس والركاب. وأمرهم أن يركبوا فى الميدان على هيئة المتحاربين وصورة المتنابذين المتخاصمين فأذعنوا بالانقياد وعلوا على ظهور الجياد وساروا بالخيل وانحدروا كالسيل وانعطفوا متسابقين ورمحوا متلاحقين وتناوبوا فى النزال واندفعوا كالجبال وساقوا فى الفجاج وأثاروا العجاج ولعبوا بالرماح وتقابلوا بالصفاح وارتفعت الأصوات وكثرت الصيحات وزادت الهيازع وكثرت الزعازع وكاد الخرق يتسع على الراقع وقرب أن يقع القتل والقتال فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال. فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين واقتسموا بهذا اللعبة حزبين. واستمر كل منهم على محبة اللون الذى ظهر فيه وكره اللون الآخر فى كل ما يتقلبون فيه حتى أوانى المتناولات والمأكولات

والمشروبات والفقارية يميلون إلى نصف سعد والعثمانيين والقاسمية لا يألفون النصف حرام والمصريين. وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ويتوارثه السادة والعبيد حتى تجسم ونما واريقت فيه الدماء. فكم خربت بلاد وقتلت أمجاد وهدمت دور وأحرقت قصور وسبيت أحرار وقهرت أخيار. وقيل غير ذلك وأن أصل القاسمية ينسبون إلى قاسم بك الدفتردار تابع مصطفى بك والفقارية نسبة إلى ذى الفقار بك الكبير وأول ظهور ذلك من سنة خمسين وألف والله أعلم بالحقائق.

وأتفق أن قاسم بك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس وتأنق فى تحسينها وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بك أمير الحاج المذكور فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة ثم قال له ذو الفقار بك: وأنت أيضا تضيفنى فى غد وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم صناجق وأمراء واختيارية فى الوجاقات وحضر قاسم بك بعشرة من طائفته واثنين خواسك خلفه والسعاة والسراج فدخل عنده فى البيت وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما إلا بطلب إلى أن فرشوا السماط وجلس صحبته على السماط.

فقال قاسم بك: حتى يقعد الصناجق والاختيارية. فقال ذو الفقار: أنهم يأكلون بعدنا هؤلاء جميعهم مماليكى عندما أموت يترحمون على ويدعون لى وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة لكونك ضيعت المال فى الماء والطين. فعند ذلك تنبه قاسم بك وشرع ينشئ إشراقات كذلك وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم والقاسمية بكثرة المال والبخل.

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخر إذا ركبوا فى المواكب أن يكون بيرق الفقارى أبيض ومزاريقه برمانة وبيرق القاسمية أحمر ومزاريقه بجلبة. ولم يزل الحال على ذلك.

واستهل القرن الثانى عشر وأمراء مصر فقارية وقاسمية: فالفقارية ذو الفقار بك وإبراهيم بك أمير الحاج ودرويش بك وإسماعيل بك ومصطفى بك قزلار وأحمد بك قزلار بجدة ويوسف بك القرد وسليمان بك بارم ذيله ومرجان جوزبك

كان أصله قهوجى السلطان محمد قلدوه صنجقا فقاريا بمصر الجميع تسعة وأمير الحاج منهم والقاسمية مراد بك الدفتر دار ومملوكه ايواظ بك وإبراهيم بك أبو شنب وقانصوه بك وأحمد بك منوفيه وعبد الله بك.

ونواب مصر من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن حسن باشا السلحدار سنة تسع وتسعين وألف وسنة مائة وواحد بعد الألف والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان بن إبراهيم خان وتقلد إبراهيم بك أبو شنب إمارة الحاج وإسماعيل بك الدفتردار وذلك سنة تسع وتسعين.

وفى أواخر الحجة سنة تسع وتسعين وألف حصلت واقعة عظيمة بين إبراهيم بك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين خلف جبل الجيوشى وقتلوا كثيرًا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم وأحضر منهم أسرى كثيرة ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة فقتلوا من الحاج خلقًا كثيرًا وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا إلى العقبة وهرب العربان. وفى أيامه سافر ألف شخص من العسكر والبسوا عليهم مصطفى بك طكوز جلان وسافروا إلى أدرنه فى غرة جمادى الأولى سنة مائة وألف. وفى رابع جمادى الثانية خنق الباشا كتخدا بعد أن أرسله إلى دير الطين على أنه يتوجه إلى جرجا لتحصيل الغلال وذلك لذنب نقمه عليه، وفى شعبان نقب المحابيس العرقانة وهرب المسجونون منها.

وفى أيامه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى أوانه على العادة ثم عزل حسن باشا ونزل إلى بيت محمد بك حاكم جرجا المقتول وتولى قيطاس بك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر.

وفى ثانى عشر رمضان سنة خمس ومائة وألف الموافق الحادى عشر بشنس هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو وكان الناس فى صلاة الجمعة فظن الناس أنها القيامة وسقطت المركب التى على منارة جامع طولون وهدمت دور كثيرة سنة ست ومائة وألف وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الأراضى ووقع الغلاء والفناء.

وفى شهر الحجة سنة خمس ومائة وألف سافر أناس من مكة إلى دار السلطنة وشكوا من ظلم الشريف سعد فعين إليه محمد بك نائب جدة وإسماعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحاج فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة ثم بعد عود الحاج رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله بن هاشم. وفى هذه السنة وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى. وفى ثانى عشر جمادى الآخرة حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطروداً من الشريف سعد. وفى ثامن عشر رجب سنة ألف ومائة وستة ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد.

وفى ثانى عشر شعبان سنة الف ومائة وستة طلع أحمد بك بموكب مسافر على ألف عسكرى إلى أنكروس وطلع بعده أيضًا فى سابع عشرينه إسماعيل بك بألف عسكرى لمحافظة رودس بموكب إلى بولاق فأقام بها ثلاثة أيام ثم سافر إلى الإسكندرية. وفى رابع شعبان ورد مرسوم بضبط أموال نذير أغا وإسماعيل أغا الطواشيين فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها.

وفى خامس شوال سنة ألف ومائة وستة أنهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر إلى على باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد وما يلزم من تعطيل وفى شوال أرسل الباشا إلى مراد بك الدفتردار بعمل جمعية فى بيته بسبب غلال الأنبار فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك فوقع التوافق أن البلاد الشرقى تبقى غلالها إلى العام المقبل وأما الرى فيدفع ملتزموها ما عليهم. وأخذوا أوراقا بيعت بالثمن اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق عن الجراية مائة وخمسون نصفًا وغلق الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات. وفى ثانى عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن إسماعيل التيتلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة.

وفى حادى عشر القعدة سنة ألف ومائة وستة ورد أغا بمرسوم بمبيع متاع نذير أغا وإسماعيل أغا المعتقلين وضبط أثمانها ماعدا الجواهر والذخائر التى اختلسوها من السرايا فانها تبقى بأعيانها وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما وأن يسجنا فى قلعة الينكجرية ففعل بهم ذلك وبلغ أثمان المبيعات ألفا وأربعمائة

كيس خلاف الجواهر والذخائر فأنها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية.

وفى منتصف المحرم سنة سبع ومائة وألف اجتمع الفقراء والشحاذون رجالاً ونساءً وصبيانًا وطلعوا إلى القلعة ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد فرجموا بالأحجار. فركب الوالى وطردهم فنزلوا إلى الرميلة ونهبوا حواصل الغلة التى بها ووكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنًا بالشعير والفول وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى بيع أردب القمح بستمائة نصف فضة والشعير بثلاثمائة والفول بأربعمائة وخمسين والأرز بثمانمائة نصف فضة وأما العدس فلا يوجد.

وفى رجب ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بك فلبس الخلع هو وأرباب المناصب وسافروا فى حادى عشر شعبان.

وفى سابع عشر رجب سنة سبع ومائة وألف تقلد قيطاس بك تابع أمير الحاج ذى الفقار بك الصنجقية عوضا عن ابن سيده إبراهيم بك وورد الإفراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثمانى وخمس جرايات وعشر علائف فى ديوان مصر واستمر رفيقه إسماعيل أغا فى السجن.

وفى رابع رجب ورد أحمد بك من السفر وفى سابعه تقلد أيوب بك إمارة الحج.

وفى ثانى شعبان ورد إسماعيل راجعا من السفر سنة ثمان ومائة وألف وفى ثالث عشر ربيع الأول ورد أمر بتزيين أسواق مصر سرورًا بمولود للسلطان وسمى محمودًا، ـ وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بك.

وفى صفر وردت سكة دينار عليها طرة فجمع الباشا الأمراء وأحضر أمين الضربخانة وسلمها له وأمره أن يطبع بها وأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر درهما وسعر أبى طرة مائة وخمسة عشر نصفًا. وفى ذلك الشهر لبس عبد الرحمن بك على ولاية جرجا وتوجه إليها.

وفى ثانى عشر ربيع الأول قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت مدة إسماعيل باشا سنتين وتقلد مصطفى بك قائمقام مصر إلى أن حضر حسين باشا من صيدا وطلع إلى القلعة فى موكب عظيم سنة تسع ومائة وألف فى منتصف رجب ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفى نفر من العسكر وعليهم يوسف بك المسلمانى فقضى أشغاله وسافر فى تاسع عشر رمضان.

وفى منتصف شهر ذى الحجة خرج إسماعيل باشا إلى العادلية ليسافر - وكان قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف إردب دفع عنها خمسين كيسًا وباع منزله وبلاد البدر شين التى كان قد وقفها وتوجه إلى بغداد.

■ حوادث متفرقة من تاريخ الجبرتى

فى سنة خمس وثمانين ومائة وألف أخرج على بك تجريدة عظيمة وسار عسكرها وأميرها محمد بك أبو الذهب وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة وخرجوا فى تجمل زائد واستعداد عظيم ومهيأ كبير ومعهم الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال وأجناس العالم ألوفا مؤلفة وكذلك انزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن وسافرت من طريق دمياط فى البحر - فلما وصلوا إلى الديار الشامية فحاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة ثم توجهوا إلى باقى المدن والقرى وحاربهم النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على المماليك الشامية إلى حد حلب ووردت البشائر بذلك فنودى بالزينة فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وتفاخروا فى ذلك إلى الغاية وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات وعملوا ولائم ومغناى وآلات وطبولاً وشنكاً وحراقات وغير ذلك وذلك فى شهر ربيع أول من السنة.

وتعاظم على بك فى نفسه ولم يكتف بذلك فأرسل إلى محمد بك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها وأن يستمر

فى سيره ويتعدى الحدود ويستولى على المماليك إلى حيث شاء وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات. ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به.

فعند ذلك جمع محمد بك أمراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر فضاقت نفوسهم وسئموا الحرب والقتال والغربة وذلك ما فى نفس محمد بك أيضا ـ ثم قال لهم: ما تقولون قالوا: وما الذى نقوله والرأى لك فأنت كبيرنا ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به: فقال: ربما يكون رأيى مخالفًا لأمر استاذنا. قالوا: ولو مخالفًا لأمره فنحن جميعًا لا نخرج عن أمرك وإشارتك فقال: لا أقول لكم شيئًا حتى نتحالف جميعًا ونتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا. ففعلوا ذلك وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب. ثم أنه قال لهم: إن أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم فى الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان وكلما فرغنا من شىء فتح علينا غيره فرأيى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع إلى مصر ولا نذهب إلى جهة من الجهات وقد فرغنا من خدمتنا وإن كان يريد غير ذلك من المماليك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم إلى ما يريد ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا وعند عيالنا. فقالوا جميعًا: ونحن على رأيك. وأصبحوا راحلين وطالبين إلى مصر فحضروا فى أواخر شهر رجب على خلاف مراد مخدومهم وبقى الأمر على السكوت. ثم إن على بك قلد أيوب بك إمارة جرجا وقضى أشغاله وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه. وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلى بك مصمم على رجوع محمد بك إلى جهة الشام. وذلك مصمم على خلاف ذلك. وبدت بينهما الوحشة الباطنية. فلما كان ليلة رابع شهر شوال بيت على بك مع على بك الطنطاوى وخلافه واتفق معهم على غدر محمد بك فركبوا عليه ليلاً وأحاطوا بداره ووقف له العساكر بالأسلحة فى الطرق فركب فى خاصته وخرج من بينهم وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى الصعيد ـ فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب وعلى كاشف تابع سليمان أفندى كاشف شرق أولاد يحيى وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات. ولم يزل فى سيره حتى وصل إلى جرجا واجتمع عليه أيوب بك خشداشه أظهر له المصافاة والمؤاخاة وقدم له هدايا وخيولاً

وخيامًا فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بك يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بك بأى وجه أمكنه ويعده إمارته وبلاده وغير ذلك.

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له: تذهب إليه بالكتاب وأثنى بجوابه ولك مزيد الإكرام فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب إلى أيوب بك وطلب منه رد الجواب وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد فى تتميم الغرض ومترقب حصول الفرصة. فحضر به إلى محمد بك. فعند ذلك استعد محمد بك وتحقق خيانته ونفاقه فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب وإنه إذا حضر إليه أيوب بك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم. فلما حضر فى صبحها أيوب بك جلس معه فى خلوة وأخذ كل من الخازندار والكتخدا الجوخدار السلحدار نظراءهم من جماعة محمد بك ثم قال محمد بك يخاطب أيوب بك: يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام قال: نعم وزيادة. قال: ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد قال: يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف فعند ذلك قال له: بلغنى أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بك. فجحد ذلك فقال: لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب ايضًا. قال: لم يكن أبدا ولو أتانى منه جواب لأطلعتك عليه ولا يصح أنى اكتمه عنك أو أرد له جوابًا. فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه وأحضر إليه الرسول فسقط فى يده وأخذ يتنصل ببارد العذر. فعند ذلك قال له: حينئذ لا تصح مرافقتك معى وقم فاذهب إلى سيدك وأمر بالقبض عليه وأنزلوه إلى المركب وأحاط بوطاقه وأسبابه وتفرقت عنه جموعه. فلما صار وحيدًا فى قبضته أحضر عبد الرحمن أغا وكان إذ ذاك بناحية قبلى وانضم إلى محمد بك فقال له: اذهب إلى أيوب بك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك. فأخذ معه المشاعلى وحضر إليه فى السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا فى لسانه سنارة وجذبوه ليقطعوه فتخلص منهم وألقى بنفسه فى البحر فغرق ومات. وكان قصد محمد بك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة إلى سيده بمصر. ثم أنهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه. فعندما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد

بك وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده وقد كانوا متجمعين عن الحضور إليه ويظنون خلاف ذلك. وحضر إليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بك وسلب نعمتهم فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب وهم أيضًا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته. ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر وحضر إليه كثير من مماليك أيوب بك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ إلى محمد بك وأتباعه فعند ذلك نزل بعلى بك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها إسماعيل بك واحتفل بها احتفالاً كثيرًا وأمر بجميع أصناف العساكر واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت وسافروا برًا وبحرًا فى أواخر ذى العقدة. فلما التقى الجمعان غامر إسماعيل بك وانضم بمن معه من الجموع إلى محمد بك وصاروا حزبًا واحدًا ورجع الذين لم يميلوا وهم القليل إلى مصر. فعند ذلك اشتد الأمر بعلى بك ولاحت على دولته لوائح الزوال وكاد يموت من الغيظ والقهر وقلد سبع صناجق والكل مزلقون وسماهم أهل مصر السبع بنات وهم مصطفى بك وحسن بك ومراد بك وحمزة بك ويحيى بك وخليل بك كوسة ومصطفى بك أوده باشه وعمل لهم برقًا وداقمًا ولوزام وطبلخانات فى يومين وضم إليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه إلى جهة البساتين وشرع فى شهيل تجريدة أخرى وأميرها على بك الطنطاوى وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة وأمر بعمل متاريس من البحر إلى جهة الجبل وانقضت السنة.

وفى سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ورد فيها منذ أوائل شهر ربيع الأول أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم فاجتمع الأمراء وتشاوروا فى ذلك فاتفق رأيهم على إحضار إبراهيم طنان فأحضروه من المحلة وقلدوه إمارة ذلك. وفيها فى أوائل شهر جمادى الأولى وقعت حادثة فى طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر وذلك أنه آل إليهم مكان موقوف وجحد واضع اليد ذلك والتجأ إلى بعض الأمراء وكتبوا فتوى فى شأن ذلك واختلفوا فى ثبوت الوقف بالإشاعة ثم أقاموا الدعاوى فى المحكمة وثبت الحق للمغاربة ووقع بينهم منازعات وعزلوا

شيخهم وولوا أخر وكان المندفع فى الخصومة واللسانة شيخًا منهم يسمى الشيخ عباس والأمير الملتجئ إليه الخصم يوسف بك فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير حنق لذلك ونسبهم إلى ارتكاب الباطل فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين فطردوا المعينين وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير فكتب مراسلة إلى يوسف بك تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ومعاندة الحكم الشرعى وإرسالها صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوى وآخرين فعندما وصلوا إليه وأعطوه التذكرة نهرهم وأمر بالقبض عليهم وسجنهم بالحبس. ووصل الخبر إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا فى صبحها وأبطلوا الدروس والآذان والصلوات وقفلوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء.

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت وبلغ الأمراء ذلك فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين وأرسل إبراهيم بك من طرفه إبراهيم أغا بيت المال فلم يأخذ جوابًا وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان وأمر بفتح الحوانيت فبلغ مجاورى المغاربة ذلك فذهب إليه طائفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصى والمسلوق وضربوا أتباع الأغا ورجموه بالأحجار فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار وانجرح منهم كذلك ومن العامة. وذهب الأغا ورجع الفريق الآخر وبقى الهرج إلى ثانى يوم فحضر إسماعيل بك والشيخ السادات وعلى أغا كتخدا الجاويشية وفى أوائله أيضًا أحضر مراد بك شخصًا يقال له سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وضربه علقة بالنبابيت لسبب من الأسباب فحقدها عليه يوسف بك واستوحش من طرفه.

وفى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثانية خرج إسماعيل بك جهة العادلية مغضبًا وسبب ذلك أن مراد بك زاد فى العسف والتعدى خصوصًا فى طرف إسماعيل بك وإبراهيم بك يسعى بينهما فى الصلح واجتمعوا فى آخر مجلس عند إبراهيم بك فتكلم إسماعيل بك كلامًا مفحمًا وقال: أنا تارك لكم مصر

وإمارتها وجاعلكم مثل أولادى ولا أريد إلا المعيشة وراحة السر وأنتم لا تراعون لى حقًا وأمثال ذلك من الكلام.

فحضر فى هذه الأيام إلى إسماعيل بك مركب غلال فأرسل مراد بك وأخذ ما فيها وعلم أن إسماعيل بك يغتاظ لذلك ثم اتفق مع بعض أغراضه أنهم يركبون من الغد إلى إسماعيل بك ويدخلون عليه فى بيته ويقتلونه فعلم إسماعيل بك بذلك فركب فى الصباح وخرج إلى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلاً وجلس بالأشبكية وركب مراد بك ذاهبًا إلى إسماعيل بك فوجده قد خرج إلى الأشبكية وكان إبراهيم بك طلع إلى قصر حسن أغا فنزلوا الأشرفية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع وتمام المطلوب. وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا بمجرد الوعد وطلبوا الجامكية والجراية فركبوا ورجعوا وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه إسماعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر فحضر مع الشيخ السادات وجلسوا بالجامع المؤيدى وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ إبراهيم السندوبى ملخصها أن إسماعيل بك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء حوايجهم وقبول فتواهم وصرف جماكيهم وجراياتهم وذلك بضمان الشيخ السادات له فلما حضر الشيخ إبراهيم بالتذكرة وقراها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارًا وهو قائم على أقدامه أكثروا من الهرج واللغط وترددت الإرساليات والذهاب والمجىء بطول النهار ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع فى أخر النهار وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبًا من دراهم الجامكية.

ومن جملة ما اشترطوه فى الصلح عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شىء.

وعمل إبراهيم بك ناظرًا على الجامع عوضًا عن الأغا وأرسل من طرفه جنديًا للمطبخ وسكن الاضطراب. وبعد مضى أربعة أيام من هذه الحادثة مر الأغا وبعده الوالى كذلك فأرسل المشايخ إلى إبراهيم بك يخبروه فقال: إن الطريق يمر بها البر والفاجر ولا يستغنى الحكام عن المرور.

وفى أوائله أيضًا أحضر مراد بك شخصًا يقال له سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وضربه بانفضاض الجمع وتمام المطلوب.

فذهب إلى مراد بك ولما أشيع خروج إسماعيل بك ركب يوسف بك وخرج عليه وتبعه محمد بك طبل وحسن بك وإبراهيم بك طنان وذو الفقار بك وغيرهم. ووصل الخبر إلى إبراهيم بك ومراد بك ومن انضم إليهم فركبوا وحضروا إلى القلعة وملكوا الأبواب وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم وصحبتهم أحمد بك الكلارجى ولاجين بك وأيوب بك ورضوان بك وخليل بك ومصطفى بك واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين واستمروا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء وتسحب من أهل القلعة جماعة خرجوا إلى إسماعيل بك ويوسف بك ومن معهما وهم إسماعيل أغا أخو على بك الغزاوى وأخوه سليم أغا وعبد الرحمن أغا أغات الينكجرية سابقًا فأرسل أهل القلعة إبراهيم أغا الوالى فجلس بباب النصر وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب فحضر قاسم كتخدا عزبان أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وصحبتهم جماعة إلى باب النصر فأرسلوا إليهم طائفة من عسكر المغاربة فضربوا عليهم بالرصاص وحمل عليهم الآخرون فشتتوهم ورجعوا إلى خلف وقتل من المغاربة أنفار وانجرح منهم كذلك وانتشر البرانيون حوالى جهات مصر وذهب منهم طائفة إلى جهة بولاق وفيهم محمد بك طبل فوجدوا طائفة من الكشاف والأجناد حضروا إلى بولاق لأجل العليق والتبن فوقعت بينهم وقعة فانهزموا إلى قصر عبد الرحمن كتخدا واخذ أولئك العليق والتبن وطلع منهم طائفة إلى الجبل واشتد الحال وعظمت الفتنة فأراد الباشا إجراء الصلح فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب عدم رضاهم بالصلح ثم أرسل إليهم أحمد جاويش المجنون فذهب ولم يرجع والتف عليهم فأرسل الباشا ولده وكتخداه سعيد بك مرارًا.

ثم دخل فى يوم الأربعاء عبد الرحمن أغا من باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه المنادى ينادى على الناس برفع بضائعهم من الحوانيت فرفع الناس بواقى بضائعهم من الدكاكين ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد وجلس به مقدار ساعتين ورتب عسكرًا هناك على السقائف والأسبلة ثم ركب راجعًا وعاد وصحبته إبراهيم بك الطنانى ومعهم عدة أجناد

وعساكر وخرجوا من باب زويلة إلى الدرب الأحمر إلى جامع المرداني فجلسوا عنده إلى بعد الظهر ثم زحفوا إلى التبانة إلى قرب المحجر وعملوا هناك متاريس ورتبوا بها جماعة وكذلك ناحية سويقة العزى فنزل إليهم جماعة من القلعة وتراموا بالرصاص وقطعوا الطرق على من بالقلعة إلى بعد العصر فنزل إليهم خيالة مدرعين فحمل عليهم عسكر المغاربة فوقع منهم أربعة خيالة وانجرح لاجين بك فحملوه إلى بيته في شنف وقتل أنفار من عسكر المغاربة وولى القلعاوية إلى جهة القلعة وبعد الغروب انفصل عنهم عسكر المغاربة ونكسوا أعلامهم وحضروا عند أجناسهم والتفوا عليهم ولاحت لوائح الخذلان على من القلعة ودخل عليهم الليل وانكف الفريقان.

وأصبح يوم الخميس فدخل الكثير من البرانيين إلى المدينة شيئًا فشيئًا وربطوا في جميع الجهات حتى انحصروا بالقلعة وأخذوا ينقبون عليهم فلما شاهدوا الغلبة فيهم نزلوا من باب الميدان وذهبوا جهة البساتين إلى الصعيد فتخلف عنهم أحمد بك الكلارجي وأيوب بك وإبراهيم بك أوده باشه ولاجين بك مجروح وخرج المتخلفون إلى إسماعيل بك ويوسف بك وطلبوا منهما الأمان وانضموا إليهم. وعندما أشيع نزول إبراهيم بك ومراد بك من القلعة هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح على الرميلة ونهبوا خيامهم وعازقهم الذي بها وبالميدان حتى جمال الباشا وخيول الدلاة وذلك يوم الخميس قبل العصر بنصف ساعة فدخل إسماعيل بك ويوسف بك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر وتوجهوا إلى بيوتهم وأصبح يوم الجمعة فشق عبد الرحمن أغا ونادى بالأمان والبيع والشراء وراق الحال.

ولما كان يوم الأحد ثاني عشرين جمادي الثانية طلعوا إلى الديوان فخلع الباشا على إسماعيل بك ويوسف بك خلعتي سمور واستقر إسماعيل بك شيخ البلد ومدبر الدولة وقلدوا حسن بك الجداوي صنجقًا كما كان وكانت الصنجقية مرفوعة عنه من موت سيده على بك وكذلك رضوان بك قرابة على بك قلدوه صنجقية وقلدوا إسماعيل أغا أخا على بك الغزاوي صنجقية أيضًا وسكن ببيت

إبراهيم بك الكبير وقلدوا سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وهو الذى كان ضربه علقة مراد بك بالنبوت كما تقدم صنجقية ولقبه الناس أبا نبوت وقلدوا أيضا سليم كاشف من أتباع إسماعيل بك صنجقية وقلدوا عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان كما كان ومحمد كاشف والى الشرطة.

وفى عشية ذلك اليوم أنزلوا سليمان أغا مستحفظان إلى بولاق وأنزلوه فى مركب منفيًا إلى دمياط بعدما صودر فى نحو أربعين ألف ريال.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه أنزلوا أيضا سليمان كتخدا مستحفظان وعثمان كتخدا باش اختيار مستحفظان المعروف بأبى مسلوق والأمير عبد الله أغا وأنزلوهم إلى المراكب ثم حصل عنهم العفو فردوهم إلى بيوتهم. وفى ذلك اليوم طلعوا إلى الديوان فقلدوا ذا الفقار بك دفتر دار عوضًا عن رضوان بك بلفيا وذلك بإشارة يوسف بك لكونه كان مع مراد بك وإبراهيم بك حتى أنه أراد أن يسلب نعمته فمنعه عنه إسماعيل بك.

وفى يوم الأربعاء ثانى شهر رجب حضر عند يوسف بك حسن بك الجداوى وصحبته إسماعيل بك الصغير وهو أخو على بك الغزاوى وسليم بك الإسماعيلى وعبد الرحمن بك العلوى فجلسوا معه ساعة لطيفة بالمقعد المطل على البركة فجلس حسن بك أمامه وكان جالسًا على الدكة المرتفعة عن المرتبة وجلس تحت شماله على المرتبة إسماعيل بك الصغير وسليم بك وعبد الرحمن بك استمر واقفًا وحادثوه فى شىء وتناجوا مع بعضهم وتأخر عنهم الواقفون من المماليك والأجناد فسحب عبد الرحمن بك النمشاة وضرب بها يوسف بك فأراد أن يهم قائمًا فداس على ملوطة إسماعيل بك فوقع على ظهره فنزلوا عليه بالسيوف وضربوا في وجوه الواقفين طلق بارود فهربوا إلى خلف ونزل الضاربون من القيطون وركبوا وذهبوا إلى إسماعيل بك فركب فى تلك الساعة وطلع إلى القلعة وأرسل إسماعيل كتخدا عزبان إلى الباشا وكان بقصر العينى بقصد التنزه فركب من هناك وطلع إلى القلعة وجلس بباب العزب صحبة إسماعيل بك فلما بلغ الأمراء الذين هم خشداشين يوسف بك ركبوا وحرجوا

من المدينة وذهبوا إلى قبلى وهم أحمد بك الكلارجى وذو الفقار بك ورضوان بك الجرجاوى فركب خلفهم طائفة فلم يدركوهم وأرسلوا إلى محمد بك طبل فكرنك فى بيته ونصب له مدافع وأبى من الخروج لأنه صار من المذبذبين. فلما وقع منه ذلك ذهب إليه حسن بك سوق السلاح وأخذه بالأمان إلى إسماعيل بك بعدما نزل إلى بيته فأمره أن يأخذه عنده فى بيته فلما أصبح استأذنه فى زيارة الإمام الشافعى فأذن له فركب إلى جهة القرافة وذهب إلى جهة الصعيد. وانقضت الفتنة ودفن يوسف بك. وفى يوم الخميس طلعوا إلى الديوان فخلع الباشا على إسماعيل بك الكبير فروة سمور وأقره على مشيخة أبلد وقلدوا حسن بك قصبة رضوان إمارة الحج عوضًا عن يوسف بك وقلدوا عبد الرحمن بك العلوى صنجقًا كما كان وقلدوا إبراهيم أغا خازندار وإسماعيل بك الذى زوجه ابنته صنجقية وتلقب بإبراهيم بك قشطة وسكن ببيت محمد بك وقلدوا حسين أغا خازندار إسماعيل بك سابقًا صنجقية أيضا وسكن ببيت أحمد بك الكلارجى وقلدوا كاشفين أيضا لإسماعيل بك يسمى كل واحد منهما بعثمان صنجقين وسكن أحدهما ببيت مصطفى بك الذى كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل حيث جامع أزبك اليوسفى وهو الذى يسمى بعثمان بك طبل وعثمان الثانى وهو الذى لقب بقفا الثور وسكن ببيت ذى الفقار المقابل لبيت بلغيا وقلدوا على أغا جوخدار إسماعيل بك صنجقية أيضا وسكن ببيت مراد بك عند الكبش وهو ببيت صالح بك الكبير وكان يسكنه سليمان بك أبو نبوت اليوسفى. وأما بيت يوسف بك فسكن به سليم بك وقلدوا يوسف أغا من أتباع إسماعيل بك واليًا ونفوا أيوب بك وسليمان بك إلى المنصورة. وفى صبحها يوم الجمعة رابع شهر رجب الفرد الموافق لرابع مسرى القبطى نودى بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء إلى الخليج وعاد الباشا إلى القلعة. وفى سابعه اتفقوا على إرسال تجريدة إلى الصعيد وسر عسكرها إسماعيل بك الصغير وعينوا للتوجه صحبته حسن بك الجداوى وإبراهيم بك الطنانى وسليم بك الطنانى وسلم بك الإسماعيلى وإبراهيم بك أوده باشا وحسن بك الشرقاوى المعروف بسوق السلاح وقاسم

كتخدا عزبان وعلى أغا المعمار وكان غائبًا بالمنية فلما قبل الجماعة تخلص وترك أحواله وغلاله وحضر إلى مصر وصحبته طائفة من الهوارة والعربان فلما حضر أرادوا أن يقلدوه صنجقية فامتنع من ذلك وشرعوا فى تشهيل التجريدة وطلبوا طلبًا عظيمًا وصرف الباشا ألف كيس من الخزينة لنفقة العسكر وخلعوا على الهوارة ومشايخ العربان ووعدوهم بالخير.

وفيه جاءت الأخبار بان على بك السروجى ساق خلف محمد بك طبل فلحقه عند مكان تجاه البدرشين واحتاط به العربان وقتلوا مماليكه وشرد من نجا منهم وتفرق ونهبوا ما معه وعروه وسلموه لكاشف هناك من أتباع إسماعيل بك فوقع فى عرضه وعرض مشايخ البلد فألبسوه حوائج وهربوه وصحبته اثنان من الأجناد فلما حضر على بك السروجى أخبره العرب بما حصل فأخذ ذلك الكاشف وحضر صحبته إلى إسماعيل بك فضرب الكاشف علقة ونفاه.

وفيه ورد الخبر أيضا عن ذى الفقار بك بأن العرب عروه أيضا فهرب فلحقوه وأرادوا قتله فألقى نفسه فى البحر بفرسه وغرق ومات.

وفى يوم الاثنين رابع عشر رجب برزت عساكر التجريدة إلى جهة البساتين.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب سافرت التجريدة برًا وبحرًا.

وفى يوم السبت سادس عشرين رجب وصلت الأخبار بأن التجريدة تلاقت مع الأمراء القبالى ووقع بينهم معركة قوية فكانت الهزيمة على التجريدة. فلما وصلت هذه الأخبار اضطرب إسماعيل بك وتخبل غزله وكذلك أمراؤه ودخل فى يومها الأجناد مشتتين مهزومين وكانت الوقعة يوم الجمعة فى بياضة من أعمال الشرق فكبسوهم على حين غفلة وقت الفجر فركب على أغا المعمار وقاسم كتخدا عزبان وإبراهيم بك طنان فحاربوا جهدهم فأصيب على أغا وقاسم كتخدا ووقعت خيولهما وذلك بعد أن ساق على أغا وصحبته رضوان أغا طنان وقصد مراد بك وضربه رضوان فى وجهه بالسيف فلمحه خليل بك كوسة الإبراهيمى وضرب على أغا بالقرابينة فأصابته فى عنقه ووقع فرسه وسقط ميتًا. فلما قتل هذان الأميران ولى إبراهيم بك طنان فانهزم بقية الأمراء لأنه لم يكن فيهم أشجع من هؤلاء الثلاثة وباقيهم ليس له دربة فى الحرب وسر

عسكر مقصوب ومريض واحتاط الأمراء القبليون بخيامهم وحملاتهم ومراكبهم بما فيها وكانت نيفًا وخمسمائة مركب وكان كبير العسكر فى قنجة صغيرة فلما عاين الكسرة أسرع فى الانحدار وكذلك بعض الأمراء انحدروا معه وباقيهم وصلوا فى البر على هيئة شنيعة وكان إسماعيل بك بمصر القديمة ينتظر أمراء التجريدة.

وفى يوم الاثنين أرسل إسماعيل بك عدة من الأجناد وصحبهم عسكر المغاربة ومعهم الجبخانة والمدافع فنصبوا المتاريس ما بين التبين وحلوان تجاه الأخصام وركب فى ليلتها إسماعيل بك وأمراؤه وأجناده وأحضر الباشا قليون رومى من دمياط ورئيسه يسمى حسن الغاوى مشهور بمعرفة الحرب فى البحر يشتمل ذلك القليون على خمسة وعشرين مدفعًا فأقلع به ليلاً تجاه العسكر وارتفع حتى تجاوز مراكبهم وضرب بالمدافع على وطاقهم فى البر وعلى مراكبهم فى البحر وساق جميع المراكب ووقع المصاف واشتد الجلاد بين الفريقين فكان بينهم وقعة قوية وقتل فيها من أولئك رضوان بك الجرجاوى وخليل بك كوسة الإبراهيمى وخازنداره وكشاف وأجناد ووقعت على القبالى الهزيمة ولم يظهر مراد بك فى هذه المعركة بسبب جراحته. ثم هجموا على وطاقهم وخيامهم ونهبوها ونزل محمد بك طبل بفرسه إلى البحر وغرق ومات. ورجع إبراهيم بك ومراد بك وهو مجروح ومصطفى بك وأحمد بك الكلارجى وأتباعهم وذهبوا إلى قبلى وساقوا خلفهم فلم يدركوهم. ودخل إسماعيل بك والأمراء والأجناد والعسكر إلى مصر منصورين مؤيدين وكانت هذه النصرة بخلاف المظنون وكان رجوعهم يوم الأربعاء غرة شهر شعبان.

وفى ليلة السبت رابع شعبان حضر كاشف وصحبته جملة من المماليك وكان هذا الكاشف مأسورا عند القبالى فلما انهزموا أذنوا له بالرجوع إلى بيته وانضم إليه عدة مماليك ماتت أسيادهم فلما حضروا عند إسماعيل بك فرقهم على الأمراء.

وفى سابعه احضروا رمة على أغا المعمار إلى بيته فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه فى مشهد حافل ودفنوه بالقرافة. وفيه تقلد حسن بك الجداوى ولاية

جرجا وجاءت الأخبار بان القبليين استقروا بشرق أولاد يحيى وفى أخر شعبان سافر حسن بك الجداوى إلى جرجا وصحبته كشاف الولايات وحكام الأقاليم فضج لنزولهم ساحل البحر بسبب أخذهم المراكب.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان ركب أمراء إسماعيل بك وصناجقه وعساكره فى أخر الليل واحتاطوا ببيت إسماعيل بك الصغير أخى على بك الغزاوى فركب فى مماليكه وخاصته وخرج من البيت فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار وخرج على جهة قنطرة عمر شاه فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق وأصيب بسيف على عاتقه وسقطت عمامته وصار مكشوف الرأس إلى أن وصل إلى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية فلاقاه عثمان بك أحد صناجق إسماعيل بك فرده واحتاطوا به فنزل على دكان فى أسوا حال مكشوف الرأس والدم خارج من كركه فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال وأخذه عثمان بك إلى بيته وتركه وذهب إلى سيده فأخبره فخلع عليه فروة وفرسًا مرختًا وأرسلوا إليه الوالى فخنقه ووضعوه فى تابوت وأرسلوه إلى بيته الصغير فبات به ميتًا وأخرجوه فى صبحها فى مشهد ودفنوه. وكان إسماعيل بك قد استوحش منه وظهر عليه فى أحكامه وأوامره وكلما أبرم شيئا عارضه فيه. وازدحم الناس على بيته وأقبلت إليه أرباب الخصومات والدعاوى وصار له عزوة كبيرة وانضم إليه كشاف واختيارية وحدثته نفسه بالانفراد وتخيل منه إسماعيل بك فتركه وما يفعله وأظهر أنه مرمود فى عينيه وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان ثم سافر فى أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به وقاموا عليه وقتلوا كما ذكر. ولما انقضى أمره شرع إسماعيل بك فى إبعاد ونفى من كان يلوذ به وينتمى إليه فانزلوا إبراهيم بك بلفيا ومحمد أغا الترجمان وعلى كتخدا الفلاح وبعض كشاف إلى بولاق وأراد قتل أخيه سليم أغا المعروف بتمرلنك فافتدى نفسه بثلاثين الف ريال ثم نفوه ثالث شوال ونفى إبراهيم بك بلفيا إلى المحلة. وفى تلك الأيام قرر إسماعيل بك على كل بلد من القرى ثلثمائة ريال وهى أول سيئاته.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين شوال عملوا موكب المحمل وأمير الحاج حسن بك رضوان.

وفى يوم الخميس رابع ذى القعدة تقلد عبد الرحمن بك عثمان صنجقية وكانت مرفوعة عنه وكذلك على بك.

وفى يوم الاثنين ثامنه سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالى لأنهم تقووا واستولوا على البلاد وقبضوا الخراج وملكوا من جرجا إلى فوق وحسن بك أمير الصعيد مقيم وليس فيه قدرة على مقاومتهم ومنعوا ورود الغلال حتى غلا سعرها فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك وعلى الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وحسن بك سوق السلاح.

وفى يوم الأحد حادى عشرين القعدة خرج إسماعيل بك إلى ناحية دير الطين وعزم على التوجه إلى قبلى بنفسه وأرسل الباشا فرمانات لسائر الأمراء والجاقلية وأمرهم جميعًا بالسفر فخرجوا جميعًا ونصبوا وطاقاتهم عند المعادى ونزل الباشا وجلس بقصر العينى وطلبوا طلبًا عظيمًا.

وفى يوم الجمعة عدى إسماعيل بك إلى البر الثانى وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ورضوان بك بلفيا وعثمان بك طبل وإبراهيم بك قشطة صهره وحسين بك ومقادم الأبواب لحفظ البلد فكان المقادم يدورون بالطوف فى الجهات ليلاً ونهارًا مع هدوء سر الناس وسكون الحال فى مدة غياب الجميع.

وفى سادس شهر الحجة وصلت مكاتبات من إسماعيل بك ومن الأمراء الذين بصحبته بأنهم وصلوا إلى المنية فلم يجدوا بها أحدا من القبليين وأنهم فى أسيوط ومعهم إسماعيل أبو على من كبار الهوارة.

وفى سابع عشره حضر الوجاقلية الذين كانوا بالتجريدة وحضر أيضا أيوب أغا وكان عند القبالى فحضر عند إسماعيل بك بأمان واستأذنه فى التوجه إلى بيته ليرى عياله فأذن له وأرسله صحبة الوجاقلية وسبب رجوع الوجاقلية لما رأى إسماعيل بك بعد الأمراء وأراد أن يذهب خلفهم فأمرهم بالرجوع للتخفيف وانقضت هذه السنة.

سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف فى يوم الخميس سابع المحرم حضر إسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناجق إسماعيل بك وفى يوم السبت تاسعه وصل إسماعيل بك وعدى من معادى الخبيرى ودخل إلى مصر وذهب إلى بيته وكثر الهرج فى الناس بسبب حضوره ومن وصل قبله على هذه الصورة. ثم تبين الأمر بان حسن بك الجداوى وخشداشيته وهم رضوان بك وعبد الرحمن بك وسليمان كتخدا وتبعهم حسن بك سوق السلاح وأحمد بك شنن وجماعة الفلاح بأسرهم وكشاف ومماليك وأجناد ومغاربة خامر الجميع على إسماعيل بك والتفوا على إبراهيم بك ومراد بك ومن معهم فعند ذلك ركب إسماعيل بك بمن معه وطلب مصر حتى وصلها فى أسرع وقت وهو فى أشد ما يكون من القهر والغيظ. وأصبح يوم الأربعاء فأرسل إسماعيل بك ومنع المعادى من التعدية. وفى يوم الإثنين طلعوا إلى القلعة وعملوا ديوانًا عند الباشا وحضر الموجودين من الأمراء الوجاقلية والمشايخ وتشاوروا فى هذا الشأن فلم يستقر الرأى على شىء ونزلوا إلى بيوتهم وشرعوا فى توزيع أمتعتهم وتعزيل بيوتهم واضطربت أحوالهم وطلب إسماعيل بك تجار إليها والمباشرين وطلب منهم دراهم سلفة فدخل عليه الخبيرى واخبره بأن الجماعة القبليين وصلت أوائلها إلى البساتين وبعضهم وصل إلى بر الجيزة بالبر الأخر. فلما تحقق ذلك أمر بالتحميل وخرجوا من مصر شيئًا فشيئًا من بعد العصر إلى رابع ساعة من الليل ونزلوا بالعادلية وذلك ليلة الثلاثاء رابع عشر المحرم وهم إسماعيل بك وصناجقه إبراهيم بك قشطة وحسين بك وعثمان بك طبل وعثمان بك قفا الثور وعلى بك الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وإبراهيم أوده باشه وعبد الرحمن أغا مستحفظان وإسماعيل كتخدا عزبان ويوسف أغا الوالى وغيرهم وباتت الناس فى وجل.

وأصبح يوم الثلاثاء وأشيع خروجهم ووقع النهب فى بيوتهم وركبوا فى صبح ذلك اليوم وذهبوا إلى جهة الشام فكانت مدة إمارة إسماعيل بك وأتباعه على مصر فى هذه المرة ستة أشهر وأياما بما فيها من أيام سفره إلى قبلى وجوعه.

وعدى مراد بك ومصطفى بك وآخرون فى ذلك اليوم وكذلك إبراهيم أغا الوالى الذى كان فى أيامهم وشق المدينة ونادى بالأمان وأرسل إبراهيم بك

يطلب من الباشا فرمانًا بالإذن بالدخول فكتب لهم الباشا فرمانًا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه وهو سعيد بك فدخل بقية الأمراء يوم الأربعاء ما عدا إبراهيم بك فإنه بات بقصر العينى ودخل يوم الخميس إلى داره وصحبته إسماعيل أبو على كبير من كبار الهوارة.

وفى يوم الأحد ثامن عشرة طلعوا إلى الديوان وقابلوا الباشا وخلع عليهم خلع القدوم ونزلوا إلى بيوتهم. وفى يوم الخميس حادى عشرينه طلعوا أيضا إلى الديوان فخلع الباشا على إبراهيم بك واستقر فى مشيخة البلد كما واستقر أحمد بك شنن صنجقًا كما كان وتقلد عثمان أغا خازندار إبراهيم بك صنجقية وهو الذى عرف بالأشقر وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا وعلى كاشف أغات مستحفظان وموسى أغا من جماعة على بك واليًا كما كان أيام سيده.

وفى أواخره وردت أخبار بان إسماعيل بك ومن معه وصلوا إلى غزة واستقر المذكورين بمصر علوية ومحمدية والعلوية شامخة على المحمدية ويرون المنة لأنفسهم عليهم والفضيلة لهم بمخامرتهم معهم ولولا ذلك ما دخلوا إلى مصر ولا يمكن المحمدية التصرف فى شىء إلا بإذنهم ورأيهم بحيث صاروا كالمحجوز عليهم لا يأكلون إلا ما فضل عنهم.

وفى يوم الخميس ثامن شهر من جمادى الأولى حضر إلى مصر إبراهيم بك أوده باشه من غزة مفارقًا لإسماعيل بك وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن فى الحضور فأذنوا له وحضر وجلس فى بيته وتخيل منه رضوان بك وقصد نفيه فالتجأ إلى مراد بك وانضم إليه.

وفى سنة إحدى ومائتين وألف فى يوم الاثنين سابع المحرم حضر إسماعيل بك فى تجريدة إلى مصر فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل وحضر عند حسن باشا وقابله وهو أول اجتماعه به وجلس معه مقدار درجتين لا غير واستأذنه فى القيام فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب إلى بيت مملوكه على بك جركس وهو بيت أيوب بك الصغير الذى فى الحبانية وكان السبب فى حضوره على هذه الصورة

انه فى يوم الخميس ثالث المحرم التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية وهجمت القبالى وألقوا بأنفسهم فى نار الحرب وطلب كل غريم غريمه ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا ما تحدث به الفريقان فى شجاعته وأصيب إسماعيل بك برشة رصاص دخلت فى فمه وطلعت من خده فولى منهزمًا وألقى نفسه فى البحر وركب فى قنجة وحضر إلى مصر على الفور ولم يدر ماذا جرى بعده فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل واختلفت الروايات وكثرت الأكاذيب وارتج العثمانيون وأرسل حسن باشا الرسل لإحضار العساكر التى بالإسكندرية وكذلك أرسل إلى بلاد الروم وفى يوم السبت ثانى عشره حضر حسن بك إلى حسن باشا وقابله وقد أصيب بسيف على يده فخلع عليه فروة ثم ذهب إلى بيته القديم وهو بيت الداودية وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق وأصيب قاسم بك بضربة جرحت أنفه وكذلك حضر عابدى باشا وطلع إلى قصر العينى وأقام به.

وفيه حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه وأن محمد باشا يتوجه إلى ولاية ديار بكر عوضًا عن عابدى باشا فشرع عابدى باشا فى نقل عزاله إلى بولاق فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورا باطنية وفى يوم الإثنين عمل حسن باشا ديوانًا فى بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ والبس إسماعيل بك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها وألبس حسن بك خلعة وقلده أمير الحاج فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم هذا وإسماعيل بك متململ من جرحه والسيد عثمان الحمامى يعالجه وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ فان الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص فى الجسد فغاص نفس الزرد فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد وفيه حضر إلى إسماعيل بك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا إلى بحرى ووصلت اوائلهم إلى بنى سويف

وأخبر أنه مات منهم مصطفى بك الداودية ومصطفى بك السلحدار وعلى أغا خازندار مراد بك سابقًا ونحو خمسة عشر أميرا من الكشاف وأن نفوسهم قويت على الحرب.

وفى يوم الثلاثاء حضر إسماعيل أغا كمشيش وكان ممن تخلف فى الأسر عند القبليين فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة واستعدادهم للحرب إن لم يجابوا فى ذلك ـ. ـ وفى يوم الأربعاء نزل محمد باشا من القلعة وذهب إلى بولاق.

وفى يوم الخميس نودى على النفر والالضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا ولم يكن معه ورقة يستحق العقوبة وكذلك حضور الغائبين بالأرياف.

وفيه أخذ أحمد القبطان المعروف بحمامجى أوغلى المراكب الرومية التى بقيت فى النيل وجملة نقاير وصعد بهم إلى ناحية دير الطين قريبًا من التبين وشرعوا فى عمل متاريس وحفر خنادق هناك ونقلوا جملة مدافع أيضا وكان أشيع طلوع عابدى باشا إلى القلعة فى ذلك اليوم فلم يطلع وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلامًا كثيرًا وقال. كيف أطلع وأتسلطن فى هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد وأولاد أخى قتلوا فى حربهم ولا أطلع حتى أخذ بثأرهم أو أموت ثم قام من عنده ورجع إلى القصر العينى.

وفيه سافر عمر كاشف الشعراوى لملاقاة الحجاج إلى القلزم وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة وأخبروا بالأمن والراحة.

وفى يوم الجمعة خرج رضوان بك بلفيا وسليمان الشابورى وعبد الرحمن بك عثمان وبرزوا خيامهم ناحية البساتين.

وفى يوم الاثنين قبض حسن باشا على إسماعيل أغا كمشيش المتقدم ذكره وأمر بقتله وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفية فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه وسبب ذلك انه احضر صحبته عدة مكاتيب سرًا خطابًا لبعض أنفار فظهروا على ذلك فوقع له ما وقع.

وفيه عمل حسن باشا ديوانًا عظيمًا جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ويذكرون العابدى باشا ما نهب له فى المعركة وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه فقال عابدى باشا لحسن بك الجداوى: ما تقول فى هذا الكلام قال: أقول لا نأخذه إلا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابًا عن رسالتهم ملخصه أن كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فإنهم يجابون إلى ذلك ويحضر إبراهيم بك ومراد بك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيًا من مولانا السلطان أينما يريدون فى غير الإقليم المصرى يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا ى حصر وأقاموا بها وكانوا من جملة عسكر السلطان وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال.

وفى يوم الخميس نزل الأغات الجاويشية ونادوا على جميع والالضاشات بالذهاب إلى بولاق ليسافروا فى المراكب صحبة الوجاقلية وكل من بات فى بيته استحق العقوبة وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل على من بها منهم ويأمرهم بالخروج فأغلق الناس حوانيتهم وبطل سوق خان الخليلى فى ذلك اليوم وخرج منهم جماعة ذهبوا إلى بولاق ومنهم من طلع إلى الأبواب حسب الأمر وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط بلكهم ويعلقون على دوابهم وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لا غير وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده فإن اللحم الضأنى بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة إن وجد والجاموسى بثمانية أنصاف وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط وكذلك السمن والزيت.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه حضر محمد أفندى المكتوبجى من عند الجماعة وصحبته على أغا مستحفظان بجواب الرسالة السابق ذكرها فأخبر أنهم ممتثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر إلى غير مصر فأن فراق الوطن صعب ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شىء أعظم من تمكن اخضامهم من البلاد أعنى إسماعيل بك وحسن بك وذلك هو السبب الحامل لهم على القدوم والمحاربة

فإن لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم إخصامهم دون العساكر العثمانية فتكون الغلبة لنا أو علينا فان كانت علينا وظفروا بنا استحقوا الإمارة دوننا وإن كانت لنا وظفرنا بهم فالأمر لكم بعد ذلك إن شئتم قبلتم توبتنا ورددتم لنا مناصبنا وشرطتم علينا شروطكم فقمنا بها قيامًا لا نتحول عنه أبدا ما بقينا وإن شئتم وجهتمونا إلى أى جهة امتثلنا ذلك فلما ذكرا ذلك لحسن باشا قال لعلى أغا: أنا ما جئت إلى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم وإنما السلطان أمرنى بما أمرت به فان كانوا مطيعين فليمتثلوا الأمر وإلا فسيلقون وبال عصيانهم وكتب لعلى أغا جوابًا بذلك وخلع عليه فروة سمور وسافر من وقته ورجع إلى أصحابه وصحبته شخص من طرف الباشا ولما ذهب إليهم محمد أفندى المكتوبجى انعموا واستهل شهر صفر الخير أوله يوم الخميس فيه حضرت خزينة حسن باشا من ثغر إسكندرية فدفع باقى النفقة للعسكر والأمراء.

وفى يوم الأحد المذكور حضر نجاب الحج وأخبر أن العرب وقفت للحجاج فى طريق المدينة وحاربوهم سبعة أيام وانجرح أمير الحاج وقتل غالب أتباعه وخازنداره ومن الحجاج نحو وفى يوم الاثنين شق الأغا وأمامه المنادى يقول. إن إبراهيم بك ومراد بك مطرودا السلطان ومن كان مختفيًا أو غائبًا وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر وعليه الأمان ولا باس عليه ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.

وفيه انتقل عساكر القليونجية وعدوا إلى البر الغربى ونصبوا هناك متاريس وأما الأمراء القبليون فإنهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها باجمعها وتركوا المراكب ذهبت إلى حال سبيلها واحازوا جميعًا عند الأهرام.

وفى يوم الثلاثاء نودى على جميع الالضاشات بالخروج إلى الوطاق وكذلك المقيمون بالقلعة فتكدر الناس لذلك واختفوا فى الدور ولبس كثير منهم ملابس الفقهاء والمجاورين وسبب ذلك عدم قدرتهم على الخروج من غير مصرف فإذا خرج فقير الحال لا يجد ما يأكله ولا ما ينفقه عياله فى غيبته ولا يفيده إلا مقاساة الجوع والبرد والغربة والمشقة.

وفى يوم الأحد حادى عشرة نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم فى أسوا حال من العرى والجوع ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم وأسر العرب جميع النساء بالأحمال وكان أمرا شنيعًا جدًا ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامى فتكلم مع العرب فى أمر النساء فأحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان وأجلسوهن جميعًا فى مكان وخرجت الناس أفواجا فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها ممن هى فى أسره وصارت المرأة من نساء العرب تسوق الأربعة من الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعًا وسبب ذلك كله رعونة أمير الحاج فإنه لما أراد أن يتوجه بالحجاج إلى المدينة أرسل إلى العرب فحضر إليه جماعة من أكابرهم فدفع لهم عوائد سنتين وقسط البواقى على السنين المستقبلة بموجب الفرمان وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن فبدا له إن كواهم بالنار فى وجوههم فبلغ ذلك أصحابهم فقعدوا للحجاج فى الطريق فبلغ أمير الحاج ذلك فذهب من طريق أخرى فوجدهم رابطين فيها أيضا فقاتلوا قتالاً هينًا ففر هاربًا وترك الحجاج والعرب فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه ولم يبق معه إلا القليل فهرب بمن بقى معه واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد وفعلت العرب فى الحجاج ما فعلوا وأخذوا ما أخذوه فلم ينج منهم إلا من طال عمره وسلم نفسه أو افتداها إلى غير ذلك وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه.

وفى يوم الاثنين ثانى عشره هجمت القبليون على المتاريس وأرادوا أن يملكوها فى غفلة آخر الليل لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا إلى مصر واشتغلوا بالحجاج وكان حسن باشا ذلك اليوم لما بلغه حضور الحجاج ركب من فوره وذهب إلى العادلية فقابل أمير الحاج ورجع من ليلته إلى الوطاق فلما هجموا على المتاريس كان المترسون مستيقظين فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر من الفجر إلى شروق الشمس فرجعوا إلى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعد الظهر فضربوا عليهم ورجعوا.

وفى شرع حسن باشا فى عمل شركفلك فشرعوا فى عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من

خشب وهى قطع مفصلات يجمعها أغرية من حديد وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مستمرة عليها محددة الأطراف وبين كل مقصين سفل الأخشاب الممتدة مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب ومساحة ذلك نحو أربعمائة وخمسين ذراعًا وهو يوضع على هيئات مختلفة مربعًا ومدورًا والعسكر من داخله متحصنين به وإذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحرب.

وفى يوم الإثنين رابعه ركبت طوائف العسكر الوجاقات ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم ثم تتابعوا فى التعدية.

وفى ليلة الخميس رابع عشره كسف جرم القمر جميعه وكان ابتداؤه من رابع ساعة إلى ثامن ساعة من الليل.

وفى يوم الأحد غرة شهر صفر سنة ١٢١٣ وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم ألتقى العسكر المصرى مع الفرنسيس فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك ومن معه ولم يقع قتال صحيح وإنما هى مناوشة من طلائع العسكريين بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردلى وكان قد قاتل فى البحر قتالاً عجيبًا فقدر الله إن علقت نار بالقلع وسقط منها نار إلى البارود فاشتعلت جميعها بالنار واحترقت المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى الهواء فلما عاين ذلك مراد بك داخله الرعب وولى منهزمًا وترك الأثقال والمدافع وتبعته عساكره ونزلت المشاة فى المراكب ورجعوا طالبين مصر ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر فأشتد انزعاج الناس وركب إبراهيم بك إلى ساحل بولاق وحضر الباشا والعلماء ورءوس الناس وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم فأتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا ويتزلى الإقامة ببولاق إبراهيم بك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون لهم مجالس بالأزهر وكذلك أطفال المكاتب

ويذكرون الاسم اللطيف وفى يوم الاثنين حضر مراد بك إلى بر إنبابة وشرع فى عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشينه واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشاها بالجيزة وأوقفها على ساحل إنبابة وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك فإنهم من حين وصول الخبر من الإسكندرية شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف وأخذوا أيضًا فى تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من أراد النقلة لما بقى بمصر منهم واحد.

وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيامًا أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الأخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه ولكن لمّ يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور وأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقًا كبيرًا سمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور

وغير ذلك وأما مصر فإنها باقية خالية الطرق لا تجد بها أحدا سوى النساء فى البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدرون على الحركة فإنهم مستترون مع النساء فى بيوتهم والأسواق مصفرة والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش وغلا سعر البارود والرصاص بحيث يبيع الرطل البارود بستين نصفًا والرصاص بتسعين وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق وجلس مشايخ العلماء بزاوية على بك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض بالخيام.

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود وأصبح يوم السبت فوصلوا إلى أم دينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون فى رئيسهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون فى رويتهم مغمورون فى غفلتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين بل أشيع فى عرضى إبراهيم بك أنهم قادمون من الجهتين فلم يأتوا إلا من البر الغربى.

ولما كان وقت القائلة ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى وتقدموا إلى ناحية بشتيل بلد مجاورة لإنبابة فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى وأبلى الفريقان وقتل أيوب بك الدفتردار وعبده الله كاشف الجرف وعدة كثيرة من كشاف محمد بك الألفى ومماليكهم وتبعهم طابور من الإفرنج فى نحو الستة آلاف وكبيره ويزه الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم وأما بونابارته الكبير فإنه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة وكان بعيدًا عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بك ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العساكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤد من دمياط وطلعوا إلى إنبابة وانضموا إلى المشاة وقاتلوا

معهم فى المتاريس فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم يا رب ويا لطيف ويا رجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الأصوات والصراخ والنباح فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى ومنهم إبراهيم بك الوالى وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جدًا فلم يصلوا إلى البر الأخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين هذا والريح النكباء اشتد هبوبها وأمواج البحر فى قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه.

ثم إن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطًا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا دخان البارود وغبار الرياح وصمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت.

واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى فغرق الكثير من الخيالة فى البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيرا فى أيدى الفرنسيس وملكوا المتاريس وفر مراد بك ومن معه إلى الجيزة فصعد إلى قصره وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلية وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر إنبابة تحت الأرجل وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بك المعروف بالأغا وأخوه إبراهيم بك الوالى فأما سليمان بك

فنجا وغرق إبراهيم بك الصغير وهو صهر إبراهيم بك الكبير ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها وتحقق أهل البر الأخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب فى الحال إبراهيم بك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئًا فأما إبراهيم بك والباشا والأمراء فساروا إلى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين إلى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جميعًا فى غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون إلى الله من شر هذا اليوم العصيب والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر إبراهيم بك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فاركبوا النساء بعضهن على الخيول وبعضهن على البغال والبعض على الحمير والجمال والبعض ماش كالجوارى والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلاً للقضاء متوقعًا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر أن فى عشاء تلك الليلة شاع فى الناس أن الإفرنج عدوا إلى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان السبب فى هذه الإشاعة أن بعض القلينجية من عسكر مراد بك الذى كان فى الغليون بمرسى إنبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه وكذلك مراد بك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء فى الطين وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه ايضًا فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع

والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم والحال أن الجميع لا يدرون أى جهة يسلكون وأى طريق يذهبون وأى محل يستقرون فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشيًا أو حاملاً متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصحبها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيئًا كثيرًا يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى فيها بلا شك لان معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضًا ما عندهم والذى أقعده العجز وكان عنده ما يعز عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان فمنهم من رجع من قريب وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ومنهم من جازف متكلاً على كثرته وعزوته وخفارته فسلم أو عطب وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوا حال من العرى والفزع فتبين أن الإفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى وأن الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا

مراسلة إلى الإفرنج ينتظروا ما يكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم وأخر صحبته فغابا وعاد فاخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان: وأين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة وضمنهم وبش فى وجوههم فقالوا: نريد أمانا منكم فقال: أرسلنا لكم سابقًا يعنون الكتاب المذكور فقالوا وأيضا لأجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها: من معسكر الجيزة خطابًا لأهل مصر أننا أرسلنا لكم فى السابق كتابًا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا حضرنا الا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار واخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا إلى البر الغربى خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ونحن فى طلبهم حتى لم يبق احد منهم بالقطر المصرى وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين إلى أخر ما ذكرته ثم قال لهم: لابد إن المشايخ والشريجية يأتون إلينا لنرتب لهم ديوانًا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم وقال: أنتم المشايخ الكبار فاعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال: لأى شىء يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانًا لأجل راحتكم وراحة الرعية وإجراء الشريعة فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا إلى مصر واطمأن برجوعهم الناس وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن ولم يحضر وكذلك الروزنامجى والأفندية وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت إبراهيم بك ومراد بك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما ونهبوا أيضًا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان.

وفى يوم الثلاثاء عادت الفرنساوية إلى بر مصر وسكن بونابارته ببيت محمد بك الألفى بالأزبكية بخط الساكت الذى أنشاه الأمير المذكور فى السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه فكأنه أنما كان يبنيه لأمير الفرنسيس وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الأخر ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسًا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار وفتح غالب السوق الحوانيت والقهاوى.

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صارى عسكر فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات.

فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى وحضر ذلك المجلس ايضًا مصطفى كتخدا بكر باشا والقاضى وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة وحسن أغا محرم أمين احتساب وذلك بإشارة أرباب الديوان فإنهم كانوا ممتنين من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذا الفقار كتخدا محمد بك كتخدا بونابارته ومن أرباب المشورة الخواجا موسى كانوا وكلاء الفرنساوى ووكيل الديوان حنا بينو.

وفيه اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس فقال لأى شىء يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها فقالوا هذا أمر لا قدرة لنا على منعه وإنما ذلك من وظيفة الحكام فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم ينتهوا واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلوقة التى للأمراء ودخلوها واخذوا منها أشياء وتركوها مفتوحة فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ويستأصلون ما فيها واستمروا على ذلك عدة أيام ثم أنهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد.

وفيه تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم فدخل الكثير منهم إلى الجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق المقطعة فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ويتكففون المارين وفى ذلك عبرة للمعتبرين.

وفيه نادوا من أخذ شيئًا من نهب البيوت يحضر به إلى بيت قائمقام وإن لم يفعل وظهر بعد ذلك حصل له مزيد الضرر ونادوا أيضًا على نساء الأمراء بالأمان وأنهن يسكن بيوتهن وإن كان عندهن شىء من متاع أزواجهن يظهرنه فإن لم يكن عندهن شىء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن فى دورهن فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بك وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرنس.

وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ووجهوا عليها الطلب وكذلك بقية النساء بالوسائط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلديين وغيرهم فصاروا يعملون عليهن إرهاصات وتخويفات وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين فجمعوا بذلك أموالا كثيرة وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان.

وفى يوم الأحد طلبوا الخيول والجمال والسلاح فكان شيئًا كثيرًا وكذلك الأبقار والاثوار فحصل فيها ايضًا مصالحات وأشاعوا التفتيش على ذلك وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره واخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى ويستخرجون الخبايا والودائع ويطلبون البناءين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ووسيلة ينالون بها أغراضهم.

وفى يوم الثلاثاء طلبوا أهل الحرف من التجار بالإسواق وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض والسلفة مبلغًا يعجزون عنه وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يومًا فضجوا واستغاثوا وذهبوا إلى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى وتشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها إلى النصف المطلوب ووسعوا لهم فى أيام المهلة.

وفيه شرعوا فى تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات فاستمروا على ذلك عدة أيام وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد وظنوا ظنونًا وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة تجسمت فى نفوسهم بألفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم إن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة ومنهم من يقول غير ذلك وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان وفتحوا بعض الدكاكين فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانية وارتجفت قلوبهم.

وفى عشرينه حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة فذهب أرباب الديوان إلى باشى العسكر واعلموه بذلك وطلبوا منه أمانا لأمير الحاج فامتنع وقال: لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى فى قلة ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر فقالوا له: ومن يوصل الحجاج فقال لهم: أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمراء وبعد ذلك يحصل الخير فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم

بك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس فتوجهوا على بلبيس وأقاموا هناك أياما وكان إبراهيم بك ومن معه ارتحل من بلبيس إلى المنصورة وأرسلوا الحريم إلى القرين وفى ثالث عشرينه خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى إلى جهة العادلية وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ويذهبون إلى جهة الشرق فلما كان ليلة الأربعاء خرج كبيرهم بونابارته وكانت أوائلهم وصلت إلى الخانكة وأبى زعبل وطلبوا كلفة من أبى زعبل فامتنعوا فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا إلى بلبيس وأما الحجاج فإنهم نزلوا ببلبيس واكترت حجاج الفلاحين مع العرب فأوصلوهم إلى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليبونجية وغيرها وكذلك فعل الكثير من الحجاج فتفرقوا في البلد بحريمهم ومنهم من أقام ببلبيس وأما أمير الحاج صالح بك فأنه لحق بإبراهيم بك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم وفى ثامن عشرينه ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال وبها من بقى من الحجاج فلم يشوشوا عليهم وأرسلوها إلى مصر وصحبتهم طائفة من عساكرهم ومعهم طبل فلما كان ليلة الأحد غايته جاء الرائد إلى الأمراء بالمنصورة وأخبرهم بوصول الإفرنج وقربهم منهم فركبوا نصف الليل وترفعوا إلى جهة القرين وتركوا التجار وأصحاب الأثقال فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم إلى القرين وحلفوا لهم وعاهدوهم على أنهم لا يخونونهم فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حملوهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم وفيه كبير التجار السيد أحمد المحروقى وكان ما يخصه نحو ثلثمائة ألف ريال فرانسة نقوداً ومتجراً من جميع الأصناف الحجازية وصنعت العرب معهم ما لا خير فيه ولحقهم عسكر الفرنساوية فذهب السيد أحمد المحروقى إلى صارى العسكر وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين فشكا له ما حل به وبإخوانه فلامهم على تنقلهم وركونهم إلى المماليك والعرب ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد القرين وقال له: عرفنى عن مكان المنهوبات فقال: أرسل معى جماعة إلى القرين فأرسل معه جماعة دلهم على بعض الأحمال فأخذها الإفرنج ورفعوها ثم تبعوه إلى محل أخر فأوهمهم أنه يدخل ويخرج إليهم أحمالا كذلك فدخل وخرج من مكان أخر وذهب هارباً فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لا غير وقالوا:

هذا الذى وجدناه والرجل فر من أيدينا فقال صارى عسكر: لابد من تحصيل ذلك فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر فأصحب معهم عدة من عسكره أوصلوهم إلى مصر وأمامهم طبل وهم فى أسواء حال وصحبتهم أيضًا جماعة من النساء اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة وهن أيضًا فى أسوأ حالة تسكب عند مشاهدتهن العبرات.

و فى شهر ربيع الثانى من عام ١٢١٣هـ وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى وهو انه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين منافسة فأنهى إلى عظماء الفرنسيس أنه ذو مال وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بك فأرسلوا بطلبه فذهب إلى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى لنسابة بينهما فقال الشيخ للقواسة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له فقالوا لدعوة ليست شرعية فقال لهم فى غد احضروا خصمه ويتداعى معه فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه.

فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه فبعد مضى مقدار نحو ساعة حضر نحو الخمسين عسكريًا من الفرنسيس إلى بيت الشيخ وطالبوه به فأخبرهم أنه هرب فلم يقبلوا عذره وألحوا فى طلبه ووقفوا ببنادقهم وارهبوا فركب المهدى والدواخلى إلى صارى العسكر وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل فقال ولأى شىء يهرب فقالوا من خوفه فقال لولا إن جرمه كبير لما هرب وأنتم غيبتموه وأظهر الحنق والغيظ فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان فكلمه وسكن غيظه ثم سأل عن منزله ومخزنه فأخبراه عنهما فقال نذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب وختموا على مخزنه ومنزله فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فأخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات.

وفى يوم الأحد ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور المشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان وفى يوم الاثنين اجتمعوا بالديوان ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى

الديوان والمهلة ثلاثون يومًا فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ومهلة البلاد ستون يومًا ولما تكامل الجميع شرع ملطى فى قراءة المنشور وتعدد ما به من الشروط مسطور وذكر من ذلك أشياء منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية وحجج العقارات وأمر المواريث وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن وكتبوا هذه الأربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم فى ذلك وينظرون المناسب والأحسن وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك له مهلة وانفض المجلس.

واستهل شهر جمادى الأولى يوم الخميس الموعود سنة ١٢١٣ واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه فى الجملة فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها وعرفوهم عن كيفية ذلك ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد فاستحسنوا ذلك إلا أنهم قالوا يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم فقرروا ذلك وهو أنه كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفًا وإذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر فإن زاد على ذلك فعشرة واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك وأما حجج العقارات فانه أمر شاق طويل الذيل فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأى ليسهل تحصيلها ويحسن عليها السكوت ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه وانفض الديوان وفى ذلك اليوم نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يومًا وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة إلى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل والتحذير من ترك الفعل وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقا لصقوهم بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك. وفيه قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحين.

وفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على الأقل ثمانية فرانسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة

وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخمسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخًا للأعيان وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى وشرعوا فى الضبط والإحصاء وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر فى عواقب الأمور ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح والآت الحرب والكفاح وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية وذعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح فى الكلام نصر الله دين الإسلام فذهبوا إلى بيت قاضى العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابه فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب.وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر وفى ذلك الوقت حضر دبوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية وعطف على خط الصنادقية وذهب إلى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة فبادروا إليه وضربوه واثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ومسكوا أطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة كباب الفتوح وباب النصر والبرقية إلى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين وما حاذاها ولم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس وأما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منهم فازع ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع وكذلك شذ عن الوفاق مصر

العتيقة وبولاق وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر ولم تزل طائفة المحاربين فى الأزقة مترسين فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا من ناحية المناخلية وبندقوا على مترأس الشوائين وبه جماعة من مغاربة الفحامين فقاتلوهم حتى أجلوهم وعن المناخلية أزالوهم ذلك زاد الحال وكثر الرجف والزلزال وخرجت العامة عن الحد وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام وأخذوا الودائع والأمانات وسبوا النساء والبنات وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات وأكثروا من المعايب ولم يفكروا فى العواقب وباتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين على تلال البرقية و القلعة واقفين وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة هذا والرمى متتابع من الجهتين وتضاعف الحال ضعفين حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر وجرروا عليه المدافع والقنبر وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين كسوق الغورية والفحامين فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه نادوا يا سلام من هذه الآلام يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف وهربوا من كل سوق ودخلوا فى الشقوق وتتابع الرمى من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأركان وهدمت فى مرورها حيطان الدور وسقطت فى بعض القصور ونزلت فى البيوت والوكائل واصمت الآذان بصوتها الهائل فلما عظم هذا الخطب وزاد الحال والكرب ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ويمنع عسكره من الرمى المترأسل ويكفهم كما تكف المسلمون عن القتال والحرب خدعة وسجال فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه عاتبهم فى التأخير واتهمهم فى التقصير فاعتذروا إليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمى عنهم وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان فى المسالك وتسامع الناس بذلك فردت فيهم الحرارة وتسابقوا لبعضهم بالبشارة واطمأنت

منهم القلوب وكان الوقت قبل الغروب وانقضى النهار وأقبل الليل وغلب على الظن أن القضية لهاذل وأما الحسينية والعطوف البرانية فإنهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمى والقتال ملازمين ولكن خانهم المقصود وفرغ منهم البارود والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع بالقنابر والمدافع إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات وفرغت من عندهم الأدوات فعجزوا عن ذلك وانصرفوا وكف عنهم القوم وانحرفوا وبعد هجعة من الليل دخل الإفرنج المدينة كالسيل ومروا فى الأزقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع كأنهم الشياطين أو جند إبليس وهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخل طائفة من باب البرقية ومشوا إلى الغورية وكروا ورجعوا وترددوا ما هجعوا وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين وترأسلوا إرسالا ركبانًا ورجالاً ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول.

وتفرقوا بصحته ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ودشتوا الكتب والمصاحف على الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه وأصبح يوم الثلاثاء فاصطف منهم خرب بباب الجامع فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعًا ويسارع وتفرقت طوائفهم بتلك النواحى أفواجا واتخذوا السعى والطواف بها منهاجًا وأحاطوا بها إحاطة السوار ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون وللنجاة بأنفسهم طالبون وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ويرغب الناس فى سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع والفرنساوية لا يمرون بها إلا نادرًا ويحترمونها عن غيرها فى الباطن والظاهر فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع وانخفض على غير القياس المرفوع ثم ترددوا فى الأسواق ووقفوا صفوفًا وألوفا فإن مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه.

ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين ووقف جماعة من الفرنسيس ونظفوا مراكز المتاريس وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار المتراكمة ووضعوها فى ناحية لتصير طريق المرور خالية وتحزبت نصارى الشوام وجماعة أيضًا من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ليشكوا لكبير الفرنسيس ما لحقهم من الزرية واغتنموا الفرصة فى المسلمين وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين وضربوا فيهم المضارب وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوائب وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسوبين إليهم مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الذعر أيضًا وسلبوهم وكذلك خان الملايات المعلوم الذى عند باب حارة الروم فيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين فسكت المصاب على غصته واستعوض الله فى قضيته لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ولا يلتفت إلى شكواه وانتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس وبث أعوانه فى الجهات يتجسسون فى الطرقات فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم وما ينهيه النصارى من أبغاضهم فيحكم فيهم بمراده ويعمل برأيه واجتهاده ويأخذ منهم الكثير ويركب فى موكبه ويسير وهم موثوقون بين يديه بالحبال ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال فيودعونهم السجونات ويطالبونهم بالمنهوبات ويقررونهم بالعقاب والضرب ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ويدل بعضهم على بعض فيضعون على المدلول عليهم أيضًا القبض وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الأغا وتجبر فى أفعاله وطغى.

وكثير من الناس ذبحوهم وفى بحر النيل قذفوهم ومات فى هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لا يحصى عددها إلا الله وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم وأصبح يوم الأربع فركب فيه المشايخ أجمع وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه وخاطبوه فى العفو ولاطفوه والتمسوا منه أمانا كافيًا وعفوًا ينادون به باللغتين شافيًا لتطمئن بذلك قلوب الرعية ويسكن روعهم من هذه الرزية فوعدهم وعدًا مشوبًا بالتسويف وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام وحرضهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد فقال على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد فترجوا عنده فى إخراج العسكر من الجامع الأزهر فأجابهم لذلك

السؤال وأمر بإخراجهم فى الحال وأبقوا منهم السبعين أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ليكونوا للأمور كالراصدين وبالأحكام متقيدين.

ثم أنهم فحصوا على المتهمين فى إثارة الفتنة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان والشيخ أحمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ إسماعيل البراوى وحبسوهم ببيت البكرى وأما السيد بدر المقدسى فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام وفحصوا عليهم فلم يجدوه وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين فغولطوا واتهم أيضًا إبراهيم أفندى كاتب البهار بأنه جمع له جمعًا من الشطار وأعطاهم الأسلحة والمساوق وكان عنده عدة من المماليك المخيفين والرجال المعدودين فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا.

وفى يوم الأحد ثامن عشره توجه شيخ السادات وباقى المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيين وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة فقيل لهم وسعوا بالكم ولا تستعجلوا فقاموا وانصرفوا.

وفيه نادوا فى الأسواق ولا أحد يشوش على أحد مع استمرار القبض على الناس وكبس البيوت بأدنى شبهة ورد بعضهم الأمتعة التى نهبت للنصارى.

وفى يوم الأربعاء خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر إبراهيم أفندى كاتب البهار وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدير الحدود وهو عبارة عن الروزنامجى ونقله من بيت الأغا إلى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار.

وفى يوم الخميس سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس إلى جهة بحرى.

وفى ليلة السبت رابع عشرينه حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة ومكتوب من أحمد باشا الجزار وأخر من بكر باشا إلى كتخداه مصطفى بك ومكتوب من إبراهيم بك خطابًا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث

والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الإفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم ونحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك فأخذها مصطفى بك كتخدا وذهب بها إلى صارى عسكر فلما أطلع عليها قال هذا تزوير من إبراهيم بك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليًا بالشام ولا مصر لان والى الشام إبراهيم باشا وأما والى مصر فهو عبد الله باشا بن العظم الذى هو الآن والى الشام فانا اعلم بذلك وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة.

وورد خبر ايضًا بانفصال محمد عزت عن الصدارة وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة وفى مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد وأخذوا فى الاهتمام فى تحصين النواحى والجهات وبنوا أبنية على التلال المحيطة بالبلد ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر وهدموا أماكن بالجيزة وحصنوها تحصينًا زائدًا وكذلك مصر العتيقة ونواحى شبرا وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة إنبابة الرمة ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصرى بباب البحر وقطعوا نخيلاً كثيرة وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها وحفروا هناك خنادق كثيرة وغير ذلك وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق وخربوا دورًا كثيرة وكسروا شبابيكها وأبوابها وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود وغير ذلك. وفى ليلة الأحد حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صارى عسكر ليتحدث معهم فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كثيرة فى انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قائمقام بدرب الجماميز وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول وسكنه بعده الذى تولى مكانه فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق والقوهم من السور خلف القلعة وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياما وفى ذلك اليوم ركب بعض المشايخ إلى مصطفى بك كتخدا الباشا وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ظنًا منهم أنهم فى قيد الحياة فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك فقال لهم الترجمان اصبروا ما هذا وفى يوم الثلاثاء

حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ووقعت فيهم كرشة وأغلقوا الدكاكين وتسابقوا إلى الهروب وذهبوا إلى البيوت والمساجد واختفت آراؤهم ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم فذهب بعض المشايخ إلى صارى عسكر وأخبروه بذلك وتخوف الناس فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب فذهبوا وتراجع الناس وفتحوا الدكاكين ومر الأغا والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان وسكن الحال وقيل إن بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد وجلس عنده حصة هؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصداً للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين وهو الأرجح.

وفيه كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس.

وفيه شرعوا فى إحصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر فلم يعارض فى ذلك معارض ولم يتفوه بكلمة والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه.

وفيه أيضًا قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها وصالحوا عليها قبل الحادثة وبرطلوا القلقات والوسايط على إبقائها وكذلك دروب الحسينية فلما انقضت هذه الحادثة ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث أعمالهم بالنواحى والجهات وباعوا بعضها حطبًا للوقود وكذلك ما بها من الحديد وغيره.

وفى ليلة الخميس هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها وعبروا منها إلى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار وقتلوا القلق الذى هناك وخرجوا بدون مدافع ولا منازع.

وفى يوم الخميس المذكور ذهب المشايخ إلى صارى عسكر وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل أبوه وكان معوقًا ببيت البكرى فشفعهم فيه وأطلقوه.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم السبت سنة ١٢١٣هـ وفيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها إلى البلاد وألصقوا منها نسخًا بالأسواق والشوارع.

وصورتها: نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرا إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية بعدما كانوا أصحابًا وأحبابًا لسوية وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت ألطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته.

وفيه أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتكم المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة وذلك لما دخلهم من المسلمين حتى أن الشخص منهم صار لا يمشى بدون سلاح بعد أن كانوا من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلاً إلا لغرض والذى لم يكن معه سلاح يأخذ بيده عصا أو سوطًا أو نحو ذلك وتنافرت قلوبهم من المسلمين وتحذروا منهم وأنكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب إلى طلوع النهار ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية كفرلى المسمى بأبى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة وكان من جملة المشار إليهم فيهم والمدبر لامور القلاع وصفوف الحروب ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا وفى وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون.

فأخبروا من بالقلعة الكبيرة فنزل منهم عدة وافرة وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها وضربوهم بالبندق ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين وكانوا جملة كثيرة وكان بتلك الدار شىء كثير من الات الصنائع والنظارات الغريبة والالات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معدوم النظير كل آلة لا قيمة لها عند من يعرف صنعتها ومنفعتها فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعًا وصعب ذلك على الفرنسيس جدًا وقاموا مدة

طويلة يفحصون عن تلك الالات ويجعلون لمن ياتيهم بها عظيم الجعالات ـ ، وممن قتل فى وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار. وفى خامسه أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار وتوجه إلى بيته.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرين شعبان سنة ١٢١٣هـ خرج عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بك كتخدا الباشا المتولى أمير الحاج ويأخذ أيضًا قاضى العسكر بجمقشى زاده وأربعة أنفار من المتعممين وهم الفيومى والصاوى والعريشى والدواخلى وجماعة أيضًا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام. وفى سادس عشرينه نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلاً فى رمضان حكم المعتاد.

وفيه انتقل قائمقام من بيته المُطل على بركة الفيل وهو بيت إبراهيم بك الوالى وسكن بيت أيوب بك الكبير المطل على بركة الفيل وانتقلوا جميعهم إلى بركة الأزبكية.

وفيه أعرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فأحتفل لذلك المحتسب احتفالاً زائدًا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام أولها السبت واخرها الثلاثاء دعا فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقلية وغيرهم وفى ثانى يوم التجار والأعيان وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضًا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام وأمير الحاج وسارى عسكر بونابارته ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى بين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ليلة الاربعاء ثم ركب من هناك بالموكب وامامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على اقفيتهم بشكل بشيع مهول وانقضى شهر شعبان وحوادثه ـ، فمنها أن أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها واحتشموها خوفًا من الفرنسيس فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم رجعوا اليها وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى

يرون فرضيتها وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم إلى الله زلفى فى المسالك فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الاسر وكساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقوف الإنكليز فى البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد حتى غلت أسعار جميع الاصناف المجلوبة من البحر الرومى وانقطع اثر كثير من ارباب الصنائع التى كسدت لعدم طلابها واحتاجوا إلى التكسب بالحرف الدنيئة كبيع الفطير وقلى السمك وطبخ الاطعمة والمأكولات والاكل فى الدكاكين وإحداث عدة قهاوى وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة فأكثرهم عمل حمارًا مكاريًا حتى صارت الأزقة خصوصًا جهات العسكر مزدحمة بالحمير التى تكرى للتردد فى شوارع مصر فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالاة فى الأجرة بحيث إن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به مسرعًا فى الشارع وكذلك تجتمع الباعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والإسراع وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ويشاركهم المكارية فى ذلك كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد إلى حانات الراح والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح. ومن طبعهم فى الشرب أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ومن سكر وخرج إلى السوق ووقع منه أمر مخل عاقبوه وعزروه.

ومنها تواتر الأخبار من إبتداء شهر رجب بأن رجلاً مغربيًا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاورًا بمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز ويدعوهم إلى الجهاد ويحضرهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابًا مؤلفًا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا اموالهم وانفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه.

فورد الخبر فى أواخره انه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة إنبابة وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد

والمتجمعة من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذكلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك إلى ناحية اسنا وصحبتهم حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن تابعه ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طائل.

ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعاء سنة ١٢١٣هـ. وفيه أخذ بونابارته فى الاهتمام-بالسفر إلى جهة الشام وجهزوا طلبًا كثيرًا وصاروا فى كل يوم يخرج منه طائفة بعد طائفة. وفى يوم السبت عمل سارى عسكر ديوانًا وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد وأنهم متوجهون إلى الفرقة الاخرى بناحية غزة فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات برًا وبحرًا لعمار القطر وصلاح الأحوال وأننا نغيب عنكم شهرًا ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام فى البلاد والشرائع وغير ذلك فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ونبهوا مشايخ الاخطاط والحارات كل كبير يضبط طائفته خوفًا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقًا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك والصقوها بالطرق وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية وخرج ايضًا عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم أحمال كثيرة حتى الاسرة والفرش والحصر وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوها من بيت الأمراء وتزيا أكثرهن بزى نسائهم الإفرنجيات وغير ذلك.

وفى يوم الأحد خامسه ركب سارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضًا إلى العادلية وذلك فى الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وسارى عسكر بجملة من العسكر فى الصعيد وكذلك سوارى عسكر الاقاليم كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب

وكبيرهم أبو خشبة بمصر ثم ترأسل المتخلفون فى الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة.

وفى يوم الثلاثاء سابعه انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه فأرسل قائمقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له: هذا كذب لا أصل له وانما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين ففحص عمن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه فابقاهم فى الاعتقال ثم ان نصارى الشوام رجعوا إلى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ونبهوا أيضًا بالمناداة فى اول رمضان بان نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً ولا يتجاهرون بالأكل ولا يشربون الدخان ولا شيئًا من ذلك بمراى منهم كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية حتى أن بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره فرد عليه ردًا شنيعًا فنزل ذلك المتعمم وضرب النصرانى واجتمع عليه الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما إلى قائمقام فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك فاخبروه ان من عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون فى الاسواق ولا بمرأى من المسلمين أبدًا فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله.

وفى تاسع عشرينه احضروا مراد أغا تابع سليمان بك الأغا ومعه أخر من الأجناد من ناحية قبلى فأصعدوهما القلعة قبل قتلهما.

وفى خامس عشرينه ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من اتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفى غد يعملون شكنًا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا فلما أصبح يوم الاحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكًا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون باسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وامامهم طبلهم وخرج بعض الناس فشاهدهم ولما

وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى خرج الأغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف ومشوا معهم إلى الازبكية من الطريق التى احدثوها ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام فأخذوا سلاحهم واطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك الأشقر وأخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان أخران وهما يوسف كاشف الرومى وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فاحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه ثم حضر إليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش إلى غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بك أمين البحرين فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها واحاطتهم حولها فنزلوا قريبًا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل فاستشهد قاسم بك وغيره وانهزم الباقون ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الامان فامنوهم ومن القلعة انزلوهم وذلك بعد اربعة عشر يومًا فلمّا نزلوا على امانهم ارسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا إلى مصر كما ذكر واخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم واحوالهم.

وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم إنضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس والبعض لم يرض بذلك فاخذوا سلاحهم واطلقوهم فى حال سبيلهم وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة وفى ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به وضربوا عدة مدافع بالقلعة والازبكية وأظهر النصارى الفرح والسرور بالاسواق والدور واولموا فى بيوتهم الولائم وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا فى القبح والشناعة.

وفى يوم الأربعاء توفى أحمد كاشف المذكور فجاة وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين وهم راكبو الهجن وعلى رءوسهم

عمائم بيض ولابسون برانس بيض على اكتافهم فذهبوا إلى بيت قائمقام بالأزبكية فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقرأوا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة حاصلها ان الفرنسيس اخذوا غزة وخان يونس واخبار مختلفة. منها انهم وجدوا ابراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم واثقالهم إلى جبل نابلس وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس كبير وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمائم بيضًا وجماعة ايضًا ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق وهى التى كانت عند المسلمين على قلعة العريش إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركبانًا بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقًا وعلى منارة اخرى بيرقًا ثالثًا وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورًا وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند الغرب ضربوا عدة مدافع ايضًا إعلامًا بالعيد وبعد العشاء الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وان يلبسوا احسن ثيابهم ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقًا وأرسلوها إلى البلاد.

وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر واختفائهم بالليل جملة كافية وانفتاح الاسواق والدكاكين والذهاب والمجىء وزيارة الاخوان ليلاً والمشى على العادة بالفوانيس ودونها واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ووقود المساجد صلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والنقول وترجى المأمول وانحلال الاسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار.

ومنها ان الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ويعملون لهم الولائم ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعادتهم ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تطمينًا لخواطرهم ويذهبون هم ايضًا ويحضرون عندهم الموائد ويأكلون معهم فى وقت الافطار ويشاهدون

ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه والله اعلم.

وفى ثامنه يوم الجمعة نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الاشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وامامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الاشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وامامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المائتين او اكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع وهو لابس فروة عظيمة ثم مواكب القلقات ثم موكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب واعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الاشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثرة الحشرات وعجائب المخلوقات واجتماع الاضداد ومخالفة الوضع المعتاد وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة.

وفى سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا إلى حاكمها وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار فمن خسافة رايه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب.

وفى أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طوابير: الطابور الاول توجه على طريق عكا بعيداً عن يافا اربع ساعات وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة سارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل ان يعملوا متاريس امينة وحصارات متقنة حصينة لأنه وجد سور يافا ملآناً بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة.

وفى تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدار مائة وخمسين خطوة امر حضرة سارى عسكر المشار إليه ان ينصب المدافع على المتاريس وان يضعوا أهوان القنبر بإحكام وتأسيس وأمر بنصب مدافع أُخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا.

لأنه وجد فى المينا بعض مراكب اعدها عسكر الجزار للهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رات عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرون ان عسكر الفرنساوية قلائل فى راى العين للناظرين لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة وألجؤوهم للدخول ثانيًا فى القلعة.

وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند سارى عسكر شفقة قلبية وخاف على أهل يافا من عسكره اذا دخلوا بالقهر والاكراه فأرسل إليهم مكتوبًا من رسول مضمونه: لا اله الا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة سارى عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا نخبركم ان حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته امرنا ان نعرفك فى هذا الكتاب ان سبب حضوره إلى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لأنه تعدى بارسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها والحال انها من اقليم مصر التى انعم الله بها علينا فلا يناسبه الاقامة بالعريش لأنها ليست من ارضه فقد تعدى على ملك غيره ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع اطرافه وجهاته وربطناه بانواع الحرب والات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل الآتكم وحروبكم ونخبركم أن حضرة سارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصًا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانا كافيًا لأهل البلد والأغراب ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة وانى لكم لمن الناصحين وهذا أخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول

مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية وحالاً فى الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار وبال وتنكيس وفى وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع وفى الحال أمر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم وفى اقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ودار السيف فى المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة..

حادثة مقتل الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية :

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف كان ابتداء المحرم وفى حادى عشرينه أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضاء كما كان وعملوا له موكبًا وركب معه أعيان الفرنسيس وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم والمشايخ والتجار والأعيان وبجانبه قائمقام عبد الله منو الذى كان سارى عسكر برشيد فلم يزالوا معه حتى أوصلوه إلى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة.

وفى ذلك اليوم أعنى يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو أن سارى عسكر كليبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذى بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبى وقصده فأشار إليه بالرجوع وقال له ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهمه إن له حاجة وهو مضطر فى قضائها فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد إليه الأخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه وسقط إلى الأرض صارخًا فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضا ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحًا وبه بعض الرمق ولم يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع وظنوا أنها من فعل أهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن أخرهم ووقعت هوجة عظيمة فى الناس

وكرشة وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال ولم يزالوا يفتشون عن ذلك القاتل حتى وجدوه منزويًا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم فقبضوا عليه فوجدوه شاميًا فاحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حلبيًا واسمه سليمان فسألوه عن محل مأواه فأخبرهم إنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل اخبر أحدا بفعله وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك وكم له بمصر من الأيام أو الشهور وعن صنعته وملته وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا فى الجهات والنواحى يتفرسون فى الناس فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك ثم أنهم أمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى القاضى وأعلموهم بذلك وعوقوهم إلى نصف الليل وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل وانه اخبرهم بفعله فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا إلى الجامع الأزهر وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية ثم أنهم رتبوا صورة محاكمة على طريقتهم فى دعاوى القصاص وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلى لكونه لم يخبره بعزمه وقصده فقتلوا الثلاثة المذكورين لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيس فكأنهم شاركوه فى الفعل وانقضت الحكومة على ذلك والقوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخًا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة ثم رأيت كثيرًا من الناس تتشوق نفسه إلى الاطلاع عليها لتضمينها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله

وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة ثم احضروا من اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلى الخطاط حيث لم يلزمه حكم ولم يتوجه عليه قصاص كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية.

صورة ترجمة الأوراق المذكورة بيان شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العام كليبر يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى نحو الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحى من أول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر إلى بيت سارى عسكر العام فى الازبكية بمدينة مصر وكان سبب روحتنا هو اننا سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التى كانت تخبر أن سارى عسكر العام كليبر إنغدر وقتل وصلنا له فرأينا فى أخر نفس فحصنا عن جروحاته فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد وجروحاته كانت أربعة الأول منها تحت البز فى الشقة اليمنى الثانى اوطى من الاول جنب السرة الثالث فى الذراع الشمال نافذ من شقة لشقة والرابع فى الخد اليمين فهذا حررنا البيان بالشرح فى حضور الدفتردار سارتلون الذى وضع أسمه فيه كمثلنا لأجل أن يسلم البيان المذكور إلى سارى عسكر مدير الجيوش تحريرًا فى سراية سارى عسكر العام فى النهار والسنة بعد الظهر بإمضاء باش حكيم وخط الجرايحى من أول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحى من اول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته

انطلبنا من الدفتردار سارتلون اننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس وعضو من اعضاء مدرسة العلماء فى بر مصر الذى انغدر هو ايضًا فى جنب سارى عسكر العام كليبر مدبر الجيوش ومضروب ستة امرار بسلاح مدبب وله حد وهذا بيان الجروحات الاول فى جنب الصدغ الثانى فى الكف فى عظمة الاصبع الخنصر الثالث بين الضلوع الشمالية الخامس فى الشدق الشمالى والسادس فى الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق ثم إلى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون تحريرًا فى سراية سارى عسكر مدبر الجيوش فى اليوم والشهر والسنة والساعة المرموقة اعلاه بإمضاء باش حكيم وخط الجرايحى من اول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون عن ـ نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش واحد فسيال من ملازمين بيت عسكر العام حضر وبيده ماسك راجل من أهل البلد مدعيًا أن هذا هو الذى قتل سارى عسكر العام كليبر المتهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذى كان مع سارى عسكر حين انغدر لأنه أيضًا انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحات.

ثانيًا المتهوم المذكور كان انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبىء فى الجنينة التى حصل فيها القتل وفى الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذى به انجرح سارى عسكر وبعض حوائج أيضًا بتوع المتهوم فحالاً بدئ الفحص بحضور سارى عسكر منو الذى هو أقدم اقرانه فى العسكر وتسلم فى مدينة مصر والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذى احضره سارى عسكر منو لأجل ذلك المتهوم المذكور.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب انه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره اربعة وعشرون سنة ثم صنعته كاتب عربى وكانت سكنته فى حلب.

سئل كم زمان له فى مصر فجاوب أنه بقى له خمسة اشهر وانه حضر فى قافلة سئل عن ملته فجاوب انه من ملة محمد وانه كان سابقًا سكن ثلاث سنين فى مصر وثلاث سنين اخرى فى مكة والمدينة.

سئل هل يعرف الوزير الاعظم وهل له مدة ما شافه فجاوب انه ابن عرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم.

وسئل عن معارفه فى مدينة مصر فجاوب أنه لم يعرف أحدًا وأكثر قعاده فى الجامع الأزهر وجملة ناس تعرفه وأكثرهم يشهدون فى مشيه الطيب.

سئل هل راح صباح تاريخه الجيزة فجاوب نعم وانه كان قاصد ينشبك كاتب عند احد ولكن ما قسم له نصيب.

سئل عن الناس الذين كتب لهم أمس فجاوب أن كلهم سافروا.

سئل كيف يمكن أنه لم يعرف احدًا من الذين كتب لهم فى الايام الماضية وكيف يكونون كلهم سافروا فجاوب انه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم وان غير ممكن ان يفتكر اسماهم.

سئل من هو الاخر فى الذين كتب لهم فجاوب انه يسمى محمد مغربى السويسى بياع عرقسوس وانه ما كتب لاحد فى الجيزة.

سئل ثانيًا عن سبب روحته للجيزة فجاوب دائمًا انه كان قاصدًا ان ينشبك كاتبًا.

سئل كيف مسكوه فى جنينة سارى عسكر فجاوب انه ما انمسك فى الجنينة بل فى عارض الطريق فذاك الوقت انقال له انه ما ينجيك الا الصحيح لان عسكر الملازمين مسكوه فى الجنينة وفى المحل ذاته انوجدت السكينة وفى الوقت انعرضت عليه فجاوب صحيح انه كان فى الجنينة ولكن ما كان مستخبى بل قاعد لان الخيالة كانت ماسكة الطرق وما كان يقدر ان يروح للمدينة وان ما كان عنده سكينة ولم يعرف ان كان هذا موجود فى الجنينة.

سئل لاى سبب كان تابع سارى عسكر من الصبح فجاوب انه كان مراده فقط يشوفه.

سئل هل يعرف حتة قماش خضرة التى باينة مقطوعة من لبسه وكانت انوجدت فى المحل الذى انغدر فيه سارى عسكر فجاوب بان هذه ما هى تعلقه.

سئل ان كان تحدث مع احد فى الجيزة وفى اى محل نام فجاوب انه ما تكلم مع ناس الا لأجل مشترى بعض مصالح وانه نام فى الجيزة فى جامع فاشاروا له على جروحاته التى ظاهرة فى دماغه وقيل له ان هذه الجروحات بينت انه هو الذى غدر سارى عسكر لان ايضًا الستوين بروتاين الذى كان معه عرفه وضربه كم عصاية الذين جرحوه فجاوب انه ما انجرح الا ساعة ما مسكوه.

سئل هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف او مع مماليكه فجاوب انه ما شافهم ولا كلمهم فلما ان كان المتهوم لم يصدق فى جواباته امر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد فحالاً انضرب لحد انه طلب العفو ووعد انه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده وصار يحكى من اول وجديد كما هو مشروح.

سئل كم يوم له فى مدينة مصر فجاوب انه له واحد وثلاثين يومًا وانه حضر من غزة فى ستة ايام على هجين.

سئل لاى سبب حضر من غزة فجاوب لأجل ان يقتل سارى عسكر العام.

سئل من الذى ارسله لأجل ان يفعل هذا الأمر فجاوب انه ارسل من طرف أغات الينكجرية وانه حين رجعوا عساكر العثملى من مصر إلى بر الشام ارسلوا إلى حلب بطلب شخص يكون قادرًا على قتل سارى عسكر العام الفرنساوى ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة ان يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم ولأجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا.

سئل من هم الناس الذين تصدروا له فى هذه المادة فى بر مصر وهل سارر احدًا على نيته فجاوب ان ما احد تصدر له وانه راح سكن فى الجامع الأزهر وهناك شاف السيد محمد الغزى والسيد أحمد الوالى والشيخ عبد الله الغزى والسيد عبد القادر الغزى الذين يسكنون فى الجامع المذكور فبلغهم على مراده فهم اشاروا عليه انه يرجع عن ذلك لان غير ممكن ان يطلع من يده ويموت فرط وان كان لازم يشخصوا واحدًا غيره فى قضاء هذه المادة ثم انه كل يوم كان يتكلم معه في الشغل المذكور وان امس تاريخه قال لهم انه رائح يقضي مقصوده ويقتل

سارى عسكر وانه توجه إلى الجيزة حتى ينظر ان كان يطلع من يده وان هناك قابل النواتية بنوع قنجة سارى عسكر فاستخبر عليه منهم ان كان يخرج برًا فسألوه ايش طالب منه فقال لهم ان مقصوده يتحدث معه فقالوا له انه كل ليلة ينزل في جنينة ثم صباح تاريخه شاف سارى عسكر معديًا للمقياس وبعده ماشى إلى المدينة فتبعه لحين ما غدره هذا الفحص صار من حضرة سارى عسكر منو بحضور باقى سوارى العساكر الكبار وملازمين ببيت ساري عسكر العام ثم انختم بإمضاء ساري منو والدفتردار سارتلون فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه ثم انقرا على المتهوم وهو ايضًا خط يده واسمه بالعربى سليمان إمضاء سارى عسكر عبد الله منو إمضاء عسكر داماس إمضاء الجنرال والتين إمضاء الجنرال موراند إمضاء الجنرال مارتينه إمضاء دفتردار البحر لروا إمضاء الدفتردار سارتلون إمضاء الترجمان لوماكا إمضاء الترجمان حنا روكه إمضاء دامیانوس براشويش كاتم السر وترجمان سارى عسكر العام.

وفى خامس عشره قبضوا على الطون ابى طاقية النصرانى القبطى وحبسوه بالقلعة والزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد.

وفى سادس عشره أفرجوا عن محمد أفندى يوسف ونزل إلى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه. وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى ومحصلها ان خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك إلى بلهار قائمقام وأخبره أنه وصل إلى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان وكان هذا بإغراء عبد العال ليوقعه فى الوبال ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بهنه وبينه فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام ساله عن ذلك. فجحده فاحضروا الخادم الذى بلغ ذلك فصدق على ذلك وأسند إلى المملوك سيده فاحضروا المملوك وسألوه فقال نعم فقالوا له وأين الفرمان فقال قرأه وقطعه فقال الفرنساوية وكيف يقطعه هذا دليل الكذب لأنه لا يصح ان يتلقاه بالقبول ثم يقطعه فقيل له ومن اتى به قال فلان فألزموا الشيخ بإحضار ذلك الرجل وحبس المملوك عند عبد العال يومين وحضر الرجل فسألوه فجحد ولم يثبت عليه وظهر كذب الغلام والخادم فعند ذلك طلب الشيخ غلامه فقال

قائمقام إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه فتشفع فيه سيده وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده. وفيه وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة.

وفى يوم الاثنين سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة، وفى ذلك اليوم قبل العصر طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان وحضر الوكيل والترجمان وطلبهم للحضور إلى قائمقام فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان نخبركم أن الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم ولا يتداخلوا فى الشر والشغب فان الرعية بمنزلة الولد وانتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتاديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل شر وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ومتاعهم ويتمت أولادهم وسبيت نساؤهم وألزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة فأحذروا من ذلك فإنهم لا يدرون العاقبة ولا نكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وانما نطلب منكم السكون والهدوء لا غير فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم كذلك وقرئ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك وانهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك فانه شنك وعيد لبعض اكابرهم وان يجتمع من الغد بالديوان الاعيان والتجار وكبار الاخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير وانتهى المجلس وذهبوا إلى محلاتهم. وفى ذلك اليوم أشيع حضور الوزير إلى شلقان وكذلك عساكر الإنكليز بالناحية الغربية وصلوا إلى أول الوراريق.

وفى يوم الجمعة غايته (محرم ١٢١٦هـ) اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العدة وحضر استوف الخازندار وترجم عنه رفاييل بقوله انه يثنى على كل من القاضى والشيخ إسماعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بامر المواريث وبيت

المال والمصالح على التركات المختومة لان الفرنساوية لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء ايضًا بامر البلاد والحصص التى انحلت بموت اربابها فلازم ايضًا من المصالحة والحلوان والمهلة فى ذلك ثمانية أيام فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك واعلموا ان ارض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك واركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم فإنه لا يخرج من أيديهم شىء ابدًا وهؤلاء الإنكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن والعثملى مغتر بهم فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخلص للعثملى فلم يزالوا حتى اوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البر لا تمحى اثرهم ونسى ذكرهم من زمان مديد وتاملوا فى شأنهم واى شىء خرج من ايديهم فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا الينا والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يومًا فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط فى معنى ذلك من بحر الغفلة ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزر وأنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لأخر من منية كنانة يذكر فيه أنه حضر إلى اسكندرية مراكب وعمارة من فرنسا وان الإنكليز رجعت اليهم وان الحرب قائمة على ظهر البحر فقال الخازندار يمكن ذلك وليس ببعيد ثم نقلوا ذلك إلى بليار قائمقام فطلب الرجل الراوى لذلك فاحضر الزر ورجلاً شرقاويًا حلف لهم انه سمع ذلك باذنه من الرجل الواصل إلى منية كنانة.

وفى شهر صفر الخير سنة ١٢١٦هـ استهل بيوم السبت وفى ذلك اليوم قبل المغرب مشى عبد العال الأغا وشق فى شوارع المدينة وبين يديه منادى يقول: الامن والامان على جميع الرعايا وفى الذى غد تضرب مدافع شنك من القلا فى الساعة الرابعة فلا تخافوا ولا تنزعجوا فانه حضرت بشارة بوصول بونابارته بعمارة عظيمة إلى الاسكندرية وان الإنكليز رجعوا القهقرى فلما أصبح يوم الأحد فى الساعة الرابعة من الشروق ضربت عدة مدافع وتابعوا ضربها من جميع

القلاع وصعد اناس إلى المنارات ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الإنكليز بالجهة الغربية وصلوا إلى اخر الورايق وأول إنبابة ونصبوا خيامهم أسفل إنبابة وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع فلما سمعها الفرنساوية ضرب الاخرون تلك المدافع التى ذكروا انها شنك واما العساكر الشرقية فوصلت اوائلهم إلى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج والمراكب فيما بينها من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الاقوات وشبحت زيادة على قلتها وخصوصًا السمن والجبن والاشياء المجلوبة من الريف ولم يبق طرق مسلوكة إلى المدينة الا من جهة باب القرافة وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن فيأتى ذلك إلى عرصة الغلة بالرميلة ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم ايضًا وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام فوصل سعر الرطل تسعة انصاف والسمن خمسة وثلاثين نصفًا والبصل بأربعمائة فضة القنطار والرطل الصابون بثمانين فضة والسيرج عشرين نصفًا واما الزيت فلا يوجد البتة وغلت الابزاز جدًا واتفق إلى قصة غريبة وهو انى احتجت إلى بعض أنيسون فأرسلت خادمى إلى الإبزارية على العادة يشترى لى منه بدرهم فلم يجده وقيل له إنه لا يوجد الا عند فلان هو يبيع الاوقية بثلاثة عشر نصفًا ثم اتانى منه باوقيتين بعد جهد فى تحصيله فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبًا من ذلك فكان ذلك من النوادر الغريبة.

وفى يوم الاثنين ثالثه حصلت الجمعية بالديوان وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا وحضر مكتوب من بليار قائمقام خطابًا بالارباب الديوان والحاضرين يذكر فيه ان حضر اليه مكتوب من كبيرهم منويًا بالاسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية. مضمونه انه طيب بخير والاقوات كثيرة عندهم يأتى بها العربان اليهم وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية إلى بحر الخزر وانها من قريب تصل الاسكندرية وان العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ودوموا على هدؤكم وسكونكم إلى آخر ما فيه من التمويهات وكل ذلك لسكون الناس وخوفًا من قيامهم فى هذه الحالة وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يومًا من انقطاع الخبر فى اسكندرية ولا أصل لذلك.

وفى ذلك اليوم قتل عبد العال رجلاً ذكروا انه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل إلى بعض ازواجهن بالعرضى قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه: هذا جزاء من ينقل الأخبار إلى العثملى والإنكليز.

وفيه وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية وامتد العرضى منها إلى قبلى منية السيرج وكذلك الغربية إلى إنبابة ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل وضربوا عدة مدافع وخرج عدة من الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم واطلقوا بنادق ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل إلى مأمنه واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم.

وفى سادسه زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر وسكن ابراهيم بك زاوية الشيخ دمرداش وحضر جماعة من العسكر واشرفوا على الجزارين من حائط المذبح وطلبوا شيخ الجزارين ووجدوا ثلاثة انفار من الفرنسيس فضربوا عليهم بنادق فأصيب احدهم فى رجله فاخذوه وهرب الاثنان واصيب جزار يهودى ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد وقتل بعض فتلى واسر بعض اسرى ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر والفرنسيس يرمون من وفى سابعه وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح إلى العصر ايضًا. وفيه اشيع موت السيد أحمد لمحروقى بدجوة وكان مريضًا بها وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية. وفيه قبضوا على رجل يشبه خدام ظنوه جاسوسًا فاحضروه عند قائمقام فسألوه فلم يقر بشىء فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه حتى قيل انهم ضربوه نحو ستة الاف كرباج وهو على حاله ثم اودعوه الحبس. وفيه أطلقوا محبوسًا يقال الشيخ سليمان حمزة الكاتب وكان محبوسًا بالقلعة من مدة اشهر فطلق على مصلحة ألفى ريال.

وفى ثامنه وقعت مضاربة أيضًا بطول النهار ودخل نحو خمسة وعشرين نفرًا من عسكر العثمانية إلى الحسينة وجلسوا على مساطب القهوة واكلوا كعكًا وخبزًا وفولاً مصلوقًا وشربوا قهوة ثم انصرفوا إلى مضربهم واخذ الفرنساوية عسكريًا من اتباع محمد باشا وإلى غزة والقدس المعروف بابى مرق فحبسوه ببيت قائمقام واغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى.

وفيه زحفت عساكر البر الغربى إلى تحت الجيزة فحضر فى صبحها وأخبر قائمقام فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة فسمع الضرب ايضًا من ناحية الجيزة وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم واستمر الأمر إلى يوم الثلاثاء حادى عشره فبطل الضرب فى وقت الزوال ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى منها ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى فانقطع الجالب من الناحية القبلية ايضًا فامتنع وصول الغلال والاقوات والبطيخ والعجور والخضراوات والخيار والسمن والجبن والمواشى فعزت الأقوات وغلت الأسعار فى الاشياء الموجودة منها جدًا واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة يريدون شراء الغلة فلم يجدوها فكثر ضجيجهم وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ورجع الباقون من غير شىء فاحضر عبد العال القبانية والزمهم باحضار السمن وضرب البعض منهم فاحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد فى تحصيلها وبيعت الدجاجة باربعين نصفًا وامتنع وجود اللحم من الأسواق واستمر الأمر على ذلك الاربعاء والخميس والمضاربة بين الفريقين ساكنة واشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما والمتوسط فى ذلك الإنكليز وحسين قبطان باشا فانسر الناس وسكن جاشهم لسكون الحرب.

وفى ذلك اليوم اغلقوا باب القرافة وباب المجراة ولم يعلم سبب ذلك ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة ورفعوا عشور الغلة.

وفى يوم الاثنين سابع عشره اطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية واعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشًا وأرسلوهم إلى عرضى الوزير وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ومات الكثير منهم وكذلك افرجوا عن جملة من العربات والفلاحين.

وفى ليلة الاثنين المذكور سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ثم سمع منها آذان العشاء والفجر فلما أضاء النهار نظر الناس فإذا البيرق العثمانى باعلاها والمسلمون على أسوارها فعلموا بتسليمها وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة واشيع الإفراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقى المحبوسين فى الصباح وأكثر الفرنساوية

من النقل والبيع فى امتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم.

وفى ذلك اليوم أنزلوا عدة مدافع من القلعة وكذلك من قلعة باب البرقية وامتعة وفرش وبارود وفى يوم الثلاثاء عمل الديوان وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة ووعد أنه فى الجلسة الآتية يأتى إليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ويسمعونه جهارًا. وفى ذلك اليوم أكثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة السعى. وفيه أفرجوا عن محمد جلبى ابى دفية وإسماعيل القلق ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسى وفيه سافر عثمان بك البرديسى إلى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالامن والامان وسوق المراكب بالغلال والاقوات إلى مصر ويلاقى ستة الاف من عسكر الإنكليز حضروا من القلزم إلى القصير. وفيه شنق الفرنساوية شخصًا منهم على شجرة ببركة الازبكية قيل إنه سرق. وفيه ارسل الفرنساوية إلى الوزير وطلبوا منه جمالاً ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بإرسال مائتى جمل وقيل اربعمائة مساعدة لهم وفيها من جمال طاهر باشا وابراهيم بك.

وفى يوم الخميس عشرين صفر سنة ١٢١٦ هـ أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ الامير والشيخ محمد المهدى وحسن أغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم فنزلوا إلى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فانى كلمته ووصيته عليكم.

وفيه حضر الوزير ومن معه من العساكر إلى ناحية شبرا وكذلك الإنكليز وصحبتهم قبطان باشا إلى الجهة الغربية والعساكر تجاههم ونصبوا الجسر فيما بينهم اعلى البحر وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن وله درابزين من الجهتين ايضًا وهو عمل الإنكليز. وفيه كثر خروج الناس ودخولهم من الاتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم.

فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس بل كانوا يفتشون البعض ويمنعون البعض وكل ذلك حذرًا من افعال الطموش وسوء اخلاقهم وتولد الشر بسببهم وقد دخل بعضهم اكابر الإنكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والاسواق وكذلك دخل بعض اكابر العثمانية فزاروا قبر الامام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعراوى والفرنساوية ينتظرونهم بالباب.

وفى ليلة الاثنين رابع عشرينه نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه وذلك لنقل رمة كليبر فلا يرتاع الناس من ذلك فلما كان فى صبح ذلك اليوم اطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى واخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم إلى بلادهم.

وفيه أرسلوا أوراقًا ورسلاً للاجتماع بالديوان وهو أخر الدواوين فأجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية واستوف الخازندار والوكيل والترجمان فلما استقر بهم الجلوس اخرج الوكيل كتابًا مختومًا واخبر ان ذلك الكتاب من سارى عسكر منو بعث به إلى مشايخ الديوان ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورته: بعد البسملة والجلاة والصدر نخبركم انا علمنا بكثرة الانبساط انكم تهتدون بكثرة الحكمة والانصاف فى الموضع الذى انتم مستمرون فيه وان لم تقدروا لتنظيم اهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم ينعم عليكم فى الدارين عض خيراتكم واخبرنا المقدام الجسور بونابارته المشهور عن كل ما فعلتم حاكمًا ونافعًا بوصايا لأجلكم سارة رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة وعرفنى ايضًا انه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم اليه فدمتم الان بخير الهدى وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مامولنا لكن يسركم ان الجمهور المنصور غلب فى اقاليم الروم جميع اعدائه وبعون الله هادى كل شىء سيغلب كذلك العدا فى مصر.

واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار هذا الذى وضعناه قريكم لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة ونوجه إلى هممكم النصيحة إلى زوجتنا

الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد أن كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر الخ وذكر كثيرًا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ثم اخرج ورقة بالفرنساوى وقراها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرا ترجمتها بالعربى الترجمان رفاييل ومضمونها: حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس فى ذكرها فائدة ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضًا استوف الخازندار ورقة وقراها بالفرنساوى.

ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان وهى فى معنى الأولى.

وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذى يقال له الصدر الأعظم والسلام على القادمين معه أيضًا من اعيان دولتهم والأمراء المصرية وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح فعوقوا لبعد الديوان وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار.

وكتب لهم قائمقام أوراقًا للحرسجية لأنهم مستمرون فى منع الناس من الدخول والخروج وأبواب البلد مُغلقة وكان خروجهم من طريق بولاق فلما وصلوا إلى العرضى سلموا على ابراهيم بك وتوجه معهم إلى الوزير فلما وصلوا إلى اصيوان امروهم برفع الطياسانات التى على اكتافهم وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده.

وسلموا أيضًا على محمد باشا المعروف بأبى مرق وعلى المحروقى والسيد عمر مكرم وباتوا تلك الليلة بالعرضى ثم عادوا إلى بيوتهم.

وكان محرم الحرام ابتداء سنة ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية استهل بيوم الاثنين وفيه تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومى بين القرانات جميعًا ورفع الحروب فيما بينهم. وفيه ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ودخل فى عقيدته قبائل من العرب كثيرة وبث دعاته فى أقاليم الأرض ويزعم أنه يدعو إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ويأمر بترك البدع التى ارتكبها الناس ومشوا عليها إلى غير ذلك.

وفيه سافر عثمان كتخدا الدولة إلى الديار الرومية ونزل إلى بولاق وضربوا له عدة مدافع وفى هذه الأيام حصلت أمطار متتابعة وغيام ورعود وبروق عدة أيام

وذلك فى أواسط نيسان الرومى. وفى ذلك اليوم نبهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد إلى الديوان لقبض الجامكية فلما كان فى صبحها يوم الثلاثاء نصبوا صيوانًا كبيرًا ببركة الأزبكية وحضر العساكر والجاقلية بترتيبهم ونزل الباشا بموكبه إلى ذلك الصيوان وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس وهو شعار الوزارة ووضعوا الأكياس وخطفوها على العادة القديمة فكان وقتًا مشهودًا.

وفى يوم الثلاثاء تاسعه حضر كبير الإنكليز من الإسكندرية ونصبوا وطاقهم ببر إنبابة فلما كان يوم الاربعاء يوم عاشوراء عدى كبير الإنكليز ومعه عدة من اكابرهم فتهيأ لملاقاته الباشا واصطفت العساكر عند بيت الباشا ووصل الإنكليز إلى الازبكية وطلعوا إلى عند الباشا وقابلوه فخلع عليهم وقدم لهم خيلاً وهدية ثم نزلوا وركبوا ورجعوا إلى وطاقهم وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع فلم يعجب الباشا ضربها فأمر الطبجية لكونهم لم يضربوها على نسق واحد.

وفيه وردت الأخبار بأن الإنكليز أخلوا القلاع بالإسكندرية وسلموها لأحمد بك خورشيد وذلك يوم الاثنين ثامنه وأبطلوا الكرنتيبه أيضًا وحصل الفرج للناس وانطلق سبيل المسافرين برًا وبحرًا واخذ الباشا فى الاهتمام بتشهيل الإنكليز المسافرين إلى السويس والقصير وما يحتاجون اليه من الجمال والادوات وجميع ما يلزم ولما حضر الإنكليز إلى عند الباشا فدعوه إلى الحضور إلى عندهم فوعدهم على يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة ثالث عشره ركب الباشا وصحبته طاهر باشا فى نحو الخمسين وعدى إلى الجيزة بعد الظهر ووقفت عساكر الإنكليز صفوفًا رجالاً وركبانًا وبايديهم البنادق والسيوف واظهروا زينتهم وأبهتهم وذلك عندهم من التعظيم للقادم فنزل الباشا ودخل القصر فوجدهم كذلك صفوفًا بدهليز القصر ومحل الجلوس فجلس عندهم ساعة زمانية واهدوا له هدايا وتقادم وعند قيامه ورجوعه ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم اليه فلقد اخبرنى بعض خواصهم ان الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعًا ولقد عددت ما ضربه الإنكليز للباشا فكان كذلك واخبرنى حسين بك وكيل قبطان باشا وكان بصحبة الباشا عند ذهابه إلى الإنكليز قال كنا فى

نحو الخمسين والإنكليز فى نحو الخمسة الآف فلو قبضوا علينا فى ذلك الوقت لملكوا الإقليم من غير ممانع فسبحان المنجى من المهالك وإذا تأمل العاقل فى هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الإسلام حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى اللّه عليه وسلم: إن اللّه يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فسبحان القادر الفعال واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الإنكليز حتى يريد اللّه، وفى ذلك اليوم سافرت الملاقاة للحجاج بالوش.

وفيه وصلت مكاتبات من أهل القدس ويافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا ابى مرق وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ويستغيثون برجال الدولة وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل والرملة هروبًا من المذكور وفى ضمن المكاتبات انه حفر قبور المسلمين والاشراف والشهداء بيافا ونبشهم ورمى عظامهم وشرع يبقى فى تلك الجبانة سورًا يتحصن به وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ومكنهم أيضًا من مغارة السيدة مريم بالقدس وأخذ منهم مالاً عظيمًا على ذلك وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة.

وفيه حضر جماعة من العسكر القبالى وصحبتهم أربعة رءوس من المصرلية وفيهم رأس على كاشف ابى دياب وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرلية وكانت الغلبة على العثمانية وقتل منهم الكثير وذلك عند ارمنت ورأس عصبة المصرلية الالفى وصحبته طائفة من الفرنسيس وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنساوية والعثمانية طمعًا فى بذلهم وان عثمان بك حسن انفرد عنهم وارسل يطلب امانًا ليحضر فارسلوا له امانًا فحضر إلى باشة الصعيد وخلع وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا توسون والى جدة وكذلك خازنداره.

وفى يوم السبت رابع عشره شرع الإنكليز المتوجهون إلى جهة السويس فى تعدية البر الشرقى ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران وبعضهم جهة العادلية وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربى متوجهين إلى القصير واستمروا يعدون عدة ايام ويحضر اكابرهم عند الباشا ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم إلى أماكنهم.

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه عدى حسين بك وكيل القبطان إلى الجيزة وتسلمها من الإنكليز واقام بها وسكن بالقصر.

وفى خامس عشرينه وصل إلى ساحل بولاق أغا وعلى يده مثالات وأوامر وحضر ايضًا عساكر رومية فأرسلوا عدة منهم إلى الجيزة فركب ذلك الأغا فى موكب من بولاق إلى بيت الباشا فخلع عليه وقدم له تقدمة وضربوا له عدة مدافع. وفيه حضر ططرى من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرلية وطلب جبخانة ولوازمها.

وفى يوم الخميس سابع عشره حضر جاويش الحاج وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة وضربوا لحضوره مدافع واخبروا بالامن والرخاء والراحة ذهابًا وايابًا ومشوا من الطريق السلطانى وتلقتهم العربان وفرحوا بهم فلما كان يوم الاثنين وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر. وفى صبحها دخل امير الحاج وصحبته المحمل.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه سافر حسين أغا شنن وزين الفقار كتخدا وصحبتهما على كاشف لملاقاة عثمان بك حسن وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين. وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه حضر عثمان بك حسن فأرسل إليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب فحضر بصحبتهم وقابل حضرة الباشا وخلع عليه خلعة وقدم له تقدمة وذهب إلى الدار التى أُعدت له حضر صحبته صالح بك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ومعهم نحو المائتين من الغُز والمماليك سكن كل من الأمراء والكُشاف فى مساكن أزواجهم فكانوا يركبون فى كل يوم إلى بيت عثمان بك ويذهبون صحبته إلى ديوان الباشا، ورتب له خمسة وعشرين كيسًا فى كل شهر.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢١٧ فيه شرعوا فى عمل المولد النبوى وعملوا صوارى ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكرى ونصبوا خيامًا فى وسط البركة ونودى فى يوم الخميس ثامنه بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت والسهر بالليل ثلاث ليال أولها صبح يوم الجمعة وأخرها الأحد ليلة المولد الشريف فكان كذلك. وفى ليلة المولد حضر الباشا إلى بيت

الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك واحتفل لذلك الدفتردار وعمل له حراقة نفوط وصواريخ حصة من الليل. وفيه وصلت الأخبار بكثرة عريدة الأمراء القبالى وتجمع عليهم الكثير من غوغاء الخوف والهوارة والعريان ووصلوا إلى غربى اسيوط وخافتهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وتحصن كل فريق فى الجهة التى هو فيها وانكمشوا عن الاقدام عليهم وهابوا لقاءهم مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعى لنفور أهل الريف منهم وإنضمامهم إلى المصرلية ومن جملة افاعيلهم التى ضيقت المنافس واحرجت الصدور حتى أعاظم الدولة حجزهم المراكب ومنعهم السفار حتى تعطلت الأسباب وامتنع حضور الغلال من الجهة القبلية وخلت عرصات الغلة والسواحل من الغلال مع كثرتها فى بلاد الصعيد ولولا تشديد الباشا فى عدم زيادة سعر الغلة لغلت أسعارها وأمر بان لا يدخلوا إلى الشون والحواصل شيئًا من الغلة بل يباع ما يرد على الفقراء حتى يكتفوا وفى كل وقت يرسلون أوراقًا وفرمانات إلى العساكر باطلاق المراكب فلا يمتثلون ويحجز الواحد منهم أو الاثنان المركب التى تحمل الألف أردب. ويربطونها بساحل الجهة التى هم بها وتستمر كذلك من غير منفعة وربما مرت بهم شرعوا فى تسفير عساكر أيضًا وسارى عسكرهم طاهر باشا واخذ فى المراكب الحشونة بالغلة فياخذون منها النواتية والريس يستخدمونهم فى مركبهم وياخذ غيرهم المركب فيرمى ما بها من الغلال على بعض السواحل ان لم يجدوا من يشتريه ويأخذون المراكب فيربطونها عندهم وامثال ذلك مما تقصر عنه العبارة ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالى التشهيل والسفر فلما كان يوم الخميس خامس عشره عدى إلى البر الغربى وتبعته العساكر، وفى ذلك اليوم حضرت مكاتبة من الأمراء القبالى ملخصها أن الأرض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن إلى ما كان منهم وأنهم فى طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وابلوا مع الفرنساوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والإقبال على الموت فاما ان تعطونا جهة نتعيش فيها او ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا

وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها إلى جهة الحجاز او تعينوا لنا جهة نقيم بها نحن خمسة اشهر مسافة ما نخاطب الدولة فى امرنا ويرجع لنا الجواب ونعمل فى رقابكم لارقابنا وورد الخبر عنهم انهم رجعوا القهقرى إلى قبلى فلما حضرت تلك المكاتبة فاشتوروا فى ذلك وكتبوا لهم جوابًا بإمضاء الباشا والدفتردار والمشايخ حاصله الأمان لما عدا إبراهيم بك والألفى والبرديسى وأبا دياب، فلا يمكن ان يؤذن لهم بشىء حتى يرسلوا إلى الدولة ويأتى الإذن بما تقتضيه الآراء وأما بقيتهم فلهم الأمان والإذن بالحضور إلى مصر ولهم الإعزاز والإكرام ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والإلتزام وغير ذلك مثل ما وقع لعثمان بك حسن فانهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسًا فى كل شهر ومكنوه مما طلبه من خصوص الإلتزام. ورفعوها عمن كان أخذها بالحلوان وهذه أول قضية شنيعة ظهرت بقدومهم واستمر طاهر باشا مقيمًا بالبر الغربى.

وفى شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٧هـ تقلد السيد أحمد المحروقى امين الضربخانة وفرق ذهبًا كثيرًا فى ذلك اليوم ببيت الباشا وعمل له ليلة بالمشهد الحسينى ودعا الباشا والدفتردار واعيان الدولة والعلماء واولم لهم وليمة عظيمة وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة وقدم للباشا تقدمة وفى صبحها ارسل مع ولده هدية وتعبية اقمشة نفيسة فخلع عليه الباشا فروة سمور.

وفى غرة هذا الشهر شرع الباشا فى هدم الأماكن المجاورة لمنزله التى تهدمت واحترقت فى واقعة الفرنسيس ليبنيها مساكن للعساكر المختصة به وتسمى عندهم بالقشلة وذلك قبالة منزله من المكان المعروف بالساكت إلى جامع عثمان كتخدا حيث رصيف الخشاب واهتم لذلك اهتمامًا عظيمًا ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين وحق الطرد وفرد الإنكليز.

وفى منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع وكان من أخبره أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى جملة عمائره

وذلك فى سنة ١١٧٤ فلم يزل على ذلك إلى ان ظهر به خلل ومال شقه فانتدب لعمارته عثمان بك المعروف بالطنبرجي المرادى فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف فهدمه وكشف أنقاضه وشرع فى بنائه واقام جدرانه ونصبوا اعمدته وأرادوا عقد قناطره فحصلت حادثة الفرنسيس وجرى ما جرى فبقى على حالته إلى ان خرج الفرنسيس من أرض مصر وحضرت الدولة العثمانية فعرض خدمة الضريح إلى الوزير يوسف باشا فأمر بإتمامه وأماله على طرف الميرى ثم وقع التراخى فى ذلك إلى أن استقر قدم محمد باشا فى ولاية مصر فأهتم لذلك فشرعوا فى إكماله وتتميمه وتسقيفه وتقيد لمباشرة ذلك ذو الفقار كتخدا فتم على أحسن ما كان واحدثوا به حنفية وفسحة وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ ولما كان يوم الجمعة رابع عشره حصلت به الجمعية وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الامير المالكى درس وظيفته وأملى إنما يُعمر مساجد الله الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة وكذا الإمام.

وفى سنة ثمان عشرة ومائتين والف شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ استهل بيوم السبت فى ذلك اليوم وقعت زعجة عظيمة فى الناس وحصلت كرشات فى مصر وبولاق فى حوانيتهم ورفعوا منها ما خف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته وهرب والبعض سقط متاعه من يده ولم يشعر من شدة ما لحقهم من الخوف والإرجاف ولم يعلم سبب ذلك فيقال إن السبب فى ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا إلى الباشا وطلبوا جماكيهم المنكسرة وخرجهم فقال لهم اذهبوا إلى الدفتردار فذهبوا إلى الدفتردار فقال لهم جماكيتكم عند محمد على فذهبوا إلى محمد على وكانوا وعدوهم بقبض جامكيتهم فى ذلك اليوم فلما ذهبوا إلى محمد على قال لهم لم أقبض شيئًا فعملوا معه شرسة وضرب بيتهم بعض بنادق وهاجت العسكر عند بيت محمد على سرششمه فحصلت هذه الزعجة فى مصر.

وفى ليلة الثلاثاء المذكورة حضر محمد على الباشا بعد الغروب وقبض منه خمسين كيسًا وقيل ثمانين ورجع إلى معسكره فجمع العسكر وتكلم معهم وفرق

عليهم الدراهم واتفق معهم على الركوب والهجوم على من بطرا فى تلك الليلة على حين غفلة وكان كاتبهم قبل ذلك يلاطفهم ويظهر العجز ويطلب معهم الصلح وأمثال ذلك وفى ظن أولئك صدقه وعدم قدرتهم على مقاومتهم وملاقاتهم فلما مضى نحو خمس ساعات من الليل ركب محمد على فى نحو أربعة آلاف فرسانًا ورجالاً فلما قربوا من الحرس فى آخر السادسة ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاثة طوابير ذهب قسم منهم جهة الدير والثانى جهة المتاريس والثالث جهة الخيل والجماعة وهم صالح بك الألفى ومن معه فى غفلتهم ونومهم مطمئنين وكذلك حرسهم فلم يشعروا إلا وقد صدموهم فاستيقظ القوم وبادروا إلى الهرب والنجاة فملكوا منهم الدير وأبراج طرا وكان بها عسكر العثمانيين إلى هذا الوقت محصورين وقد أشرفوا على طلب الأمان وأخذوا مدفعين كانا بالمترس وبعض أمتعة وثمان هجن وثلاثة عشر فرسًا وقتل بينهم بعض أشخاص وانجرح كذلك ورجع محمد على والعسكر على الفور من آخر الليل ومعه خمسة رءوس فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هى والباقى رءوس عريان أو سياس أو غير ذلك وزعموا أن تلك الرأس هى رأس صالح بك وأرسلوا المبشرين آخر الليل إلى الأعيان ليأخذوا البقاشيش وأشاعوا أنهم قبضوا على الألفى الصغير وأحضروه معهم حيًا والباقى رموا بأنفسهم إلى البحر ولما طلع محمد على إلى الباشا خلع عليه الفروة التى حضرت هل من الدولة وعلقوا تلك الرءوس على السبيل بالرميلة وضربوا شنكا من القلعة ومدافع وأظهروا السرور وداروا بالأسواق يضربون بالطنابير وشمخ المغرضون بآنافهم على المغرضين للمصرلية ثم تبين عدم صحة تلك الإشاعة وأن تلك الرأس رأس بعض الأجناد ولم يمسك الألفى كما قالوا.

وفى يوم الأربعاء عاشر ربيع الأول سنة ١٢١٩هـ وصل من بحرى ثلاث شلنبات كان الباشا أرسل بطلبها عوضًا عما تلف فعندما وصلوا إلى جهة باسوس وهناك مركز للمصرلية على جرف عال أقعدوا به ليمنعوا من يمر بالمراكب فضربوا عليهم وضرب من فى المراكب الحربية أيضًا على من فى البر فكان ضرب من فى البر يصيب من فى البحر وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم

فاحترقت جبخانة إحدى الشلنبات واحترق ما فيها بها وغرقت الثانية ويقال إن الثالثة لم تكن من المراكب الحربية بل هى مركب معاش وكان حضر فى خفارتهم عدة من المراكب المسافرين فخافوا ورجعوا وقبضوا على بعض قواويس بها غلال فأخذوا ما فيها فلما شاع ذلك بالمدينة رفعوا ما كان موجوداً من الغلة بالعرصات وشحت الغلال وعدم الفول والشعير وبيع ربع الويبة من الفول بتسعين نصفًا وقل وجود الخبز من الأسواق وخطف بعض العسكر ما وجدوه من الخبز ببعض الأفران وأخذوا الدقيق من الطواحين وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ويطلبون منهم الأكل والعليق لدوابهم.

وفى يوم الخميس والجمعة اشتد الحال وبيع ربع الويبة من القمح بسبعين نصفًا وثمانين نصفًا وعدم الفول واشترى بعض من وجده ربعًا بمائة نصف فضة فيكون الأردب على ذلك الحساب بألفين وأربعمائة نصف وخرج عساكر كثيرة ووقعت حروب بين الفريقين ورع القبليون إلى طرا وحاربوا عليها وكانوا شرعوا فى عمارة ما تهدم من أبراجها ونقلوا إليها الذخيرة والقومانية والجبخانة والعسكر وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء إلى الصهريج الذى ببرج طرا ودار الأغا والوالى على المخازن ببولاق ومصر وأخذوا منها ما وجدوه من الغلة وأمروا ببيعه على الناس بخمسين نصفًا الربع وأخذوا لأنفسهم ما وجدوه من الشعير والفول.

وفى يوم السبت قلدوا حسن أغانجاتى الحسبة فخافته السوقة واجتهدوا فى تكثير العيش والكعك والمأكولات بقدر إمكانهم واجتهد هو أيضًا فى الفحص على الغلال المخزونة وبيعها للخبازين وأما اللحم الضانى فإنه انعدم بالكلية لعدم ورود الأغنام.

شح ورود الغلة فى العرصات وذهب أناس إلى برإنبابة فاشتروا الربع بثمانين نصفًا وأزيد من ذلك والقول بمائة وعشرين وعلق أكثر الناس على بهائمهم ما وجدوه من أصناف الحبوب مثل الحمص والعدس وهم المياسير من الناس وأما غيرهم فاقتصروا على التبن وأما العنب والتين فى وقت وفرتهما فلم يظهر منهما إلا القليل وبيع الرطل من العنب بأربعة عشر نصفًا والتين بسبعة أنصاف وذلك بعد سلوك الطريق ومشى السفن.

وفى يوم الأحد رابع عشره اجتمعت العساكر الكثيرة للحرب عند شبرا ورموا على بعضهم بالمدافع والقرابين والبنادق من ضحوة النهار ثم التحم الحرب بين الفريقين واشتد الجلاد بينهما إلى بعد منتصف النهار وصبر الفريقان وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر الأرنؤد وطائفة المماليك والعربان فقتل من أكابر العسكر أربعة أو خمسة ودخلوا بهم المدينة وانكف الفئتان وانحاز إلى معسكرهما وبعد هجمة من الليل اجتمع العسكر من الإنكشارية والأرنؤدية وغيرهم وكبسوا على متاريس شبرا وبها حسين بك المعروف بالإفرنجى و على بك أيوب ومعهما عسكر من الأرنؤد الذين انضموا إليهما ومنهم الرماة والطبجية فأجلوهم عن المتاريس وملكوها منهم ووقع بينهم قتلى كثيرة وقتل من عسكر حسين بك المذكور نحو مائة وستين نفرًا وعدة من مماليك على بك أيوب خلاف الجرحى وزحفوا على باقى المتاريس فملكوا منهم متاريس شلقان وباسوس وانهزم المصرلية إلى جهة الشرق بالخانكة وأبى زعبل وقيل أن العسكر المنضمين إليهم المتقيدين بالمتاريس هم الذين خامروا عليهم وانهزموا عن المتاريس حتى كانوا هم السبب فى هزيمتهم فلما أصبح النهار حضروا بسبعة رؤوس فيها ثلاثة من الأجناد الملتحين وثلاثة بشوارب ورأس أسود فعلقوها بباب زويلة ومن الثلاثة أجناد رأس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية إبراهيم بك الكبير فقال بعض الناس هذه رأس إبراهيم بك بلا شك وأشيع ذلك بينهم فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر إليه ووصل الخبر إلى الباشا فأحضر عبد الرحمن بك والمزين الذى كان يحلق له لمعرفتهما به وآخرين وطلب الرأس فأحضروها وتأملوها فمنهم من اشتبهت عليه ومنهم من أنكرها لعلامات يعرفها به وهى الصلع وسقوط الأسنان ثم أعيدت إلى مكانها على ذلك الاشتباه ثم أنهم عملوا شنكا ومدافع لذلك ثم طلبها محمد على أيضًا وفعل مثل ذلك وردها أيضًا ثم رفعوها فى الليل واستمر الفرح والشنك يومين والناس بين ناف ومثبت ومسلم ومنكر ومعاند مكابر حتى وردت خدم من معسكرهم وأخبروا بحياة إبراهيم بك وأنه بوطاقه جهة الشرق فزال الشك وأرسل المصريون إلى بيوتهم أوراقًا.

وفى ليلة الاثنين المذكور وقع خسوف قمرى وطلع من المشرق منخسفًا آخذًا فى الانجلاء ومقدار المنخسف منه عشرة أصابع وتم إنجلاؤه فى ثانى ساعة من الليل وكان بأول برج الدلو.

وفى ليلة الخميس وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية وطلع إلى بولاق فى صبحها وركب إلى القلعة فأنزله الباشا ببيت رضوان كتخدا إبراهيم بك بدرب الجماميز ولم يعلم ما بيده من الأوامر ثم تبين أن من الأوامر التى معه إخراج خمسمائة من العسكر إلى بندر ينبع البحر يقيمون بها محافظين لها من الوهابيين ويدفع لهم جامكية سنة كاملة وذخيرتها وما يحتاجون إليه من مؤونة وغلال وجبخانة.

وفى يوم الثلاثاء قرءوا تلك الأوامر وفيها أنه تعين محمد باشا أبو مرق بعساكر الشام إلى الحجاز فأحضر الباشا كبار العسكر وعرض عليهم ذلك الأمر وقال لهم أنه ورد لى إذن عام فى تقليد من أقلده فمن أحب منكم قلدته أمرية طوخ أو طوخين فامتنعوا من ذلك وقالوا نحن لا نخرج من مصر ولا نتقلد منصبًا خارجًا عنها ووصلت الأخبار فى هذه الأيام أن الوهابيين ملكوا الينبع.

وفيه وردت الأخبار بأن الألفى عدى إلى البر الشرقى وكان قبل ذلك عدى إلى البر الغربى وانتشرت عساكره إلى الجسر الأسود ثم رجعوا وعدوا إلى البر الشرقى.

وفى يوم الأربعاء سابع عشره ركب الأمراء المصرلية وانتقلوا من الخانكة ومروا من خلف الجبل بحملاتهم وأثقالهم وذهبوا إلى جهة قبلى وخاب سعيهم ولم ينالوا غرضهم وكان فى ظنهم أنهم إذا حصلوا بالقرب من المدينة خرج إليهم الكثير من العسكر وانضم إليهم لمقدمات سبقت منهم مراسلات وكلام وقع بينهم وبين أتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند أكابرهم وذبهم عنهم وعن بيوتهم وحريمهم بل وإخراج بعض الأتباع والمماليك بمطلوبات إلى أسيادهم خفية وليلاً حتى استقر فى أذهان كثير من العقلاء ممالآت كثير من البنباشايات ورؤساء العسكر مع المصرلية وعندما تحقق العسكر ذهابهم دخلوا إلى المدينة بأثقالهم وحمولهم وانتشروا بها حتى ملؤا الأزقة والطرق والبيوت وقدمت السفن المعوقة وتواجدت الغلال بالرقع وتخلف عنهم أناس كانوا منضمين إليهم طلبوا أمانًا بعد ذلك وحضروا بعد ذلك إلى مصر وقدمت عساكر ودلاة فى المراكب ودخلوا البيوت بمصر وبولاق وأخرجوا منها أهلها وسكنوها وإذا سكنوا دارًا أخربوها

وكسروا أخشابها وأحرقوها لوقودهم فإذا صارت خرابًا تركوها وطلبوا غيرها ففعلوا بها كذلك وهذا دأبهم من حين قدومهم إلى مصر حتى عم الخراب سائر النواحى وخصوصًا بيوت الأمراء والأعيان وبواقى دور بركة الفيل وما حولها من بيوت الأكابر والقصور التى كانت يضرب بأدناها المثل وفى ذلك يقول صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار وأما بركة الفيل فقد رميت بكل خطب جليل وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلاً والقلب بذكر ما سلف من مباهجها حزنًا طويلاً.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه طلع المشايخ عند الباشا وشفعوا فى السيد بدر المقدسى فأطلقه ونزل إلى داره.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه قلدوا على أغا الوالى على العسكر المعين إلى الينبع أميرًا وضربوا له مدافع وفرح الناس بعزله من الولاية فإن كان أخبث من تقلد الولاية من العثمنية وكان الباشا يراعى خاطره ولا يقبل فيه شكوى وتعين للسفر معه عدة من العسكر من أخلاط مصر البطالين أروام وخلافهم.

وفيه قلدوا مناصب كشوفية الأقاليم لأشخاص من العثمانية.

وفى ثامن عشرينه تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم فرنساوى عند حارة الإفرنج بالموسكى فأراد العسكرى قتل الفرنساوى فعاجله الفرنساوى فضربه فقتله وفر هاربًا فاجتمع العسكر وأرادوا نهب الحارة فوصل الخبر إلى محمد على فركب فى الوقت ومنع العسكر من النهب وأغلق باب الحارة وقبض على وكيل قنصل الفرنساوية وأخذه معه وحبسه عنده حتى سكن العسكر.

وفى تلك الليلة مر جماعة من العسكر بخط الدرب الأحمر فأرادوا أخذ قنديل من قناديل السوق فقام عليهم الخفير يريد منعهم فذبحوه وأخذوا القنديل فأصبح الناس فرأوا الخفير مذبوحًا وسمعوا القصة من سكان الدور بالخطة ووجدوا أيضًا عسكريًا مقتولاً جهة الموسكى وغير ذلك حوادث كثيرة فى كل يوم من أخذ النساء والمردان والأمتعة والمبيعات من غير ثمن وانقضى الشهر.

وفى يوم الجمعة رابع شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ جمع الباشا المشايخ فى ديوان خاص بسبب مكتوب حضر من الأمراء المصريين خطابًا للمشايخ

مضمونه أنهم يسعون بينهم وبين الباشا فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد وأنه يخرج هذه العساكر فإنهم إن داموا بالإقليم كملوا خرابه وهتكوه بأفاعيلهم وظلمهم وفسقهم وطلب العلوفات التى لا يفى ببعضها خراج الإقليم وأما نحن فإننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة وإن لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلى تتعيش فيها وإن أرادوا الرحب فليخرجوا الناس بعيدًا عن الأبنية ويحاربونا فى الميدان والله يعطى النصر لمن يشاء إلى آخر ما قالوه فقال الباشا للمشايخ اكتبوا لهم يأخذوا جهة أسنا ومقبلاً فقالوا نحن لا نكتب شيئًا اكتبوا لهم مثل ما تعوفون وانفض المجلس.

. وفيه عزم جماعة من أكابر العسكر على السفر إلى بلادهم م أحمد بك رفيق محمد على وصادق أغا وخلافهما وأخذوا فى تشهيل أنفسهم وبيع متاعهم ونزلوا إلى بولاق عند عمر أغا ونزل محمد على لوداعهم ببيت عمر أغا فاجتمع العسكر وأحاطوا بهم ومنعوهم من السفر قائلين لهم أعطونا علوفاتنا المنكسرة وإلا عطلناكم ولا ندعكم تسافرون بأموال مصر ومنهوباتها فأخذوا خواطرهم ووعدوهم على أيام وامتنعوا من السفر.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضًا عن على أغا الذى تولى باشة السفر للينبع.

وفى عاشره اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا فدفعوا للأرنؤد جامكية شهر.

وفى ليلة الجمعة حادى عشر جمادى الأولى الموافق لثانى عشر مسرى القبطى أوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعًا وكسر سد الخليج فى صبح يوم السبت يحضر الباشا والقاضى و محمد على وباقى كبار العسكر وجميع العسكر وكان جمعًا مهولاً وضرب الجميع بنادقهم وجرى الماء بالخليج وركبوا القوارب والمراكب ودخلوا فيه وهم يضربون بالبنادق وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت وكان الموسم خاصًا بهم دون أولاد البلد وخلافهم وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع قحابهم من النساء ومات فى ذلك اليوم عدة أشخاص نساء ورجالاً

أصيبوا من بنادقهم ومما وقع أنه أصيب شخص من أولاد البلد برصاصة منهم ومات وحضر أهله يصرخون وأرادوا أخذه ليواروه فمنعهم الوالى وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضة ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على ألف وخمسمائة وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت أذن لهم فى أخذه ومواراته ونظر بعضهم إلى أعلى بيوت الخليج فرأى امرأة جالسة فى الطاقة فضربها برصاصة فأصابتها فى دماغها وماتت من ساعتها وغير ذلك مما لم تتحقق أخباره.

وفى يوم الأحد ثالث عشره خرج على باشا الوالى المسافر إلى الينبع خارج البلد وأقام جهة العادلية وارتحل يوم السبت تاسع عشره ومعه مائة عسكرى لا غير وذهب إلى جهة السويس.

وفيه أرسل الباشا إلى المشايخ والوجاقلية وتكلم معهم فى توزيع فردة على أهل مصر لغلاق جامكية العسكر فدافعوا بما أمكنهم من المدافعة فقال هذا الذى نطلبه إنما نأخذه على سبيل القرض ثم نرده إليهم فقالوا له لم يبق بأيدى الناس ما يقرضونه ويكفى الناس ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال وغير ذلك فالتفت إلى الوجاقلية وقال كيف يكون العمل فقال أيوب كتخدا نعمل جمعية مع السيد أحمد المحروقى ويحصل خير فركن الباشا على ذلك ثم اجتمعوا مع المذكور واتفقوا أنهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة وهى أنهم قرروا على الوجاقلية قدرًا من الأكياس وكتبوا بها تنابيه بأسماء أشخاص منها ما جعلوا عليه عشرين كيسًا وعشرة وخمسة وأقل وأكثر وكذلك وزعوا على أشخاص من تجار البن وخان الخليلى ومغاربة أغراب وأهل الغورية وخلافهم من تراخى فى الدفع قبضوا عليه وأودعوه فى أضيق الحبوس ووضعوا الحديد فى يديه ورجليه ورقبته ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزير مربوط بالسقف وأرسلوا العسكر إلى بيوتهم فجلسوا بها يأكلون ويسكرون ويطلبون من النساء المصروف خلاف الأكل الذى يطلبونه ويشتهونه وهو ثمن الشراب والدخان والفاكهة بل ويأتون بالقحاب معهم ويضربون بالبندق والرصاص بطول الليل والنهار وأمثال ذلك.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه أرسل الباشا عسكرًا فقبض على الأمير على المدنى صهر ابن الشيخ الجوهرى وحبسه فركب إليه المشايخ وكلموه فى شأنه

وقالوا أنه رجل وجاقلى من خيار الناس وما السبب فى القبض عليه وما ذنبه الموجب لذلك فقال إنه رجل قبيح ولى عليه دعوة شرعية وإذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية لأى شىء يعمل كتخدا عند صالح بك الألفى وأنه عند هروب مخدومه من الشرقية أخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ودخل بها إلى داره وعندى بينة تشهد عليه بذلك فأنا أطالبه بالمال الذى عنده وقاموا ونزلوا من غير طائل.

وفى يوم السبت سادس عشرينه توفى الشيخ موسى الشرقاوى الشافعى وكان من أعيان العلماء الشافعية.

وفى يوم الاثنين ثامن وعشرينه أحضروا المحمل من السويس فنزل كتخدا الباشا والأغا والوالى وأكابر العسكر وعدة كبيرة من العسكر وعملوا له الموكب وشقوا به البلد وخلفه الطبل والزمر.

وفى أواخره وصلت قوافل البن من السويس فحجزها الباشا وأخذها وأعطى أصحاب البن وثائق بثمن البن لأجل ووكل فى بيعه وحول به العسكر يأخذونه من أصل علوفاتهم فلبغ ثمن المحجوز تسعمائة كيس وانهمك المشترون على الشراء ومنعوا القبانية من الوزن إلا بحضور المقيدين بذلك وانقضى هذا الشهر وحوادثه وما وقع فيه من عكوسات العسكر من الخطف والقتل والدعواوى الكذب وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه وتواطئهم على ذلك فيكتب له عرضحال ويشكو أنه غصبه فى مدة سابقة قبل ذلك طلق منه زوجته قهرًا بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة فى المهر والنفقة والكسوة ويكتبون له عليه علامة الباشا ويأخذ صحبته أشخاصًا معينين من أقرانه فيسحبون المدعى عليه إلى المحكمة فلا يثبت ذلك فيكتب له القاضى إعلامًا بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الإعلام فيذهبون إلى ديوان الباشا ويخبرون الكتخدا ببطلان الدعوى ويطلعون على الإعلام بحضرة الخصم وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوة الباطلة فيقول الكتخدا للخصم أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس واذهب وأمثال ذلك فإن وجد شافعًا أو مغيثًا توسط له أو تشفع فى تخفيف ذلك قليلاً أو ضمنه أو دفع عنه وأنقذه وإلا حبس كغيره وذاق فى الحبس

أنواع العذاب حتى يدفع ما قرره عليه الكتخدا واتفق أن جماعة من سكان المحجر شكو أنظار جامع وسبيل ومدرسة متخربة من أيام الفرنسيس ومعطلة الشعائر والإيراد فأمر الكتخدا بإحضار النظار وهم ناس فقراء وعواجز وسألهم فأخبروا بتعطيل الإيراد فأحضروا مباشرين الأوقاف فحاسبوهم فلم يطلع عليهم شيء فقال الكتخدا أعطوا المباشرين خدمتهم فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة قالوا هاتوا محصول الخزينة فقالوا وما يكون محصول الخزينة قالوا ثلاثون كيسًا من كل ناظر عشرة أكياس فبهت الجماعة وتحيروا فى أمرهم ولم يعلموا ما يقولون وفى الحال جذبوهم إلى الحبس وفيهم رجل من جماعة المشهدية عاجز لا يقدر على القيام فسعى عليه حريمه وخشداشينه وصالحوا عليه بكيسين وخلصوه وأما الاثنان الآخران فاستمرا فى الحبس والحديد مدة طويلة وأمثال ذلك.

شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٩ استهل بيوم الخميس فيه حضر القاضى الجديد إلى جهة بولاق وركب فى يوم الجمعة فطلع إلى القلعة وسلم على الباشا ورجع إلى المحكمة وكان عندما وصل إلى رشيد أرسل إلى الباشا ليأمر له بعمارة المحكمة فأمر الباشا أصحابها بالعمارة وأمرهم بالاجتهاد فى ذلك.

وفيه فقد اللحم وشح وجوده وكذلك السكر والعسل وأما العسل الأبيض فبلغ الرطل خمسين نصفًا إن وجد لعدم الوارد من ناحية قبلى وقلة المرعى بالجهة البحرية واستقر الألفى الكبير جهة اللاهون وبقية الجماعة جهة المنية وأسيوط وعثمان بك حسن بجبل الطير بالبر الشرقى.

وفى خامسه أشيع سفر محمد على إلى بلاده وكذلك أحمد بك وغيرهم من أكابرهم وشرعوا فى بيع جمالهم وبلادهم ومتاعهم وكثر لغط الناس بسبب ذلك وكثر إفساد العساكر وخطفهم وأغلق أهل الأسواق الدكاكين وخاف الناس المرور وتطيروا منهم وخصوصًا الإنكشارية.

وفى يوم الثلاثاء سادسه مر محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على أقدامه وكذلك حسن بك أخو طاهر باشا وعابدى بك وأغات الإنكشارية والوالى وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان الخليلى ساعة ثم

ذهبوا وكأنهم يطمنون الناس وأمام بعضهم المناداة بالتركى بالأمن والأمان وفتح الدكاكين وكل من تعرض لكم اقتلوه وفى أثر مرورهم وقع الخطف والتعرية.

وفى ذلك اليوم أواخر النهار مت مركبان فيهما عسكر أرنؤد بالخليج المرخم ومعهم امرأة وبتلك الجهة عسكر إنكشارية ساكنون ببيت المجنون فضربوا عليهم رصاصًا من الشبابيك فقتل منهم جماعة وهرب من نجا أو عرف العوم فتحزب الأرنؤد وجاء منهم طائفة لذلم البيت فلم يجدوا به أحدًا فأرسل محمد على إلى حسن بك وتكلم معه فى شأن ذلك.

وفى صبحها يوم الأربعاء قتلوا ثلاثة وقيل خمسة ناحية الموسكى يقال إنه بسبب تلك الحادثة وقيل بسبب آخر.

وفى يوم السبت سابع عشره سافر أحمد بك وعلى بك أخو طاهر باشا.

وفيه قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا وبرز خيامه جهة دير العدوية.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه وصلت مراكب من الشلنبات الحربية فضربوا لها مدافع من وفى يوم الأحد تعدى جماعة من العسكر وخطفوا عمائم الناس واتفق أن الشيخ إبراهيم السجينى مر من جهة الداودية وهو راكب بهيئته فأخذوا طيلسانه من على كتفه وعمامة تابعه وقتلوا من بعضهم أنفارًا.

وفى يوم الإثنين نزل الأغا ونادى على العسكر بالخروج والسفر إلى التجريدة وكل من كان مسافر إلى بلاده فليسافر.

وفيه هربت زوجة عثمان بك البرديسى مع العرب إلى زوجها بقبلى فلما بلغ الخبر الباشا أحضر أخاها والمحروقى وسألهما عنها فقالا لم نعلم بهروبها فعوق أخاها عنده ثم أطلقه بشفاعة المحروقى.

شهر رجب الفرد سنة ١٢١٩ استهل بيوم السبت فيه انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية إلى ناحية طرا وسافر قبل ذلك بأيام كاشف بنى سويف ويقال له محمد أفندى.

وفى يومى الاثنين والثلاثاء نادى الأغاوات التبديل بخروج العسكر المسافرين وكثر أذى العسكر للناس وخطفوا الحمير وتعطلت أشغال الناس فى السعى إلى مصالحهم ونقل بضائعهم.

وفى يوم الأربعاء سافرت التجريدة برًا وبحرًا وتأخر محمد على عن السفر إلى بلاده كما كان أشيع ذلك واشتهر أنه مسافر إلى جهة قبلى وورد الخبر باستقرار كاشف بنى سويف بها ولم يكن بها أحد من المصرلية.

وفى يوم الأحد تاسعه نزل الباشا إلى وليمة عرس مدعوًا ببيت السيد محمد بن الدواخلى بحارة الجعيدية وكفر الطماعين ونزل فى حال مروره ببيت السيد عمر أفندى نقيب الأشراف فجلس عنده ساعة وقدم له حصانين.

وفى يوم الاثنين سابع عشره أحضروا أربعة رءوس وضعوها تجاه باب زويلة وأشاعوا أنهم من مقتلة وقعت بينهم وبين القبالى وأشاعوا أنه بعد يومين تصل رءوس كثيرة ووصل أيضًا جملة أسرى طلعوا بهم إلى القلعة.

وفى يوم الأربعاء طلع محمد على إلى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور على سفره إلى قبلى وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه اتهموا قادرى أغا بأنه يكاتب الأمراء المصرلية القبالى ومنعوه من السفر إلى قبلى وأمروه بأن يسافر إلى بلاده فركب فى عسكره وذهب إلى بولاق وفتح وكالة على بك الجديدة ودخل فيها بعسكره وامتنع بها وانضم إليه كثير من العسكر فحضر إليهمحمد على وكلمهم وكذلك حضر إليهم الباشا ببولاق فلم يمتثلوا وقالوا لا نسافر ولا نذهب إلا بمرادنا وأعطونا المنكسر من علوفاتنا فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لا يبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات فأرسل قادرى أغا إلى المحتسب وقال له نحن نأخذ العيش بثمنه فإن منعتموه من الأسواق طلعنا إلى البيوت وأخذنا ما فيها من الخبز ويترتب على ذلك ما يترتب من الإفساد فأخبروا الباشا بذلك فأطلقوا لهم بيع الخبز وغيره واستمر على ذلك أيامًا.

وفيه شرعوا فى تحرير فردة على البلاد وكتبوا دفاترها إلا على ثمانون ألف فضة ودون ذلك ويتبعها على كل بلد جملان وسمن وأغنام وقمح وتبن وشعير.

وفى هذا الشهر شرعوا فى عمل كسوة الكعبة بيد السيد أحمد المحروقى فقيد بها وكيله بذلك

و استهل شهر صفر الخير سنة ١٢٢٠ بيوم الأربعاء والأمر على ما هو عليه وسعيد أغا ساع ومجتهد فى إجراء الصلح ويركب تارة إلى الباشا وتارة إلى محمد على وإلى حسن باشا ويطلع من المشايخ فى كل ليلة اثنان وكذلك اثنان من الوجاقلية يبيتون بمكان فى دار الضرب وينزلون فى الصباح ولم يعقل لذلك معنى وفى كل وقت يقع التشاحن بين أفراد العسكر فى الطرقات ويقتلون بعضهم بعضًا وحضر سليمان كاشف البواب ومر من خلف الجيزة وذهب إلى جهة وردان وطلب الأموال من البلاد والكلف وعدى خازنداره إلى بر المنوفية ومعه عدة كثيرة من العريان بطلب الأموال من البلاد ومن عصى عليهم من البلاد ضربوهم ونهبوهم وحرقوا أجرانهم وكاشف المنوفية داخل منوف لا يقدر على الخروج إلى خارج وحضر أيضًا محمد بك الألفى إلى ناحية أبى صير الملق وانتشرت طوائفه وعريانه بإقليم الجيزة ومصر مشحونة بأخلاط العسكر وأجناسهم المختلفة داخل المدينة وخارجها والدالاتية جهة مصر القديمة وقصر العينى والآثار ودير الطين يأكلون الزروعات ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ويأخذونن ما معهم ويخطفون النساء والأولاد بل ويلوطون فى الرجال الاختيارية.

وفى أوله حضر سكان مصر القديمة نساء ورجالاً إلى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدالاتية ويخبرون أن الدالاتية قد أخرجوهم من مساكنهم وأوطانهم قهرًا عنهم ولم يتركوهم يأخذون ثيابهم ومتاعهم بل ومنعوا النساء أيضًا عندهم وما خلص منهم إلا من تسلق ونط من الحيطان وحضروا على هذه الصورة فركب المشايخ إلى الباشا وخاطبوه فى أمرهم فكتب فرمانًا خطابًا للدالاتية بالخروج من الدور وتركها إلى أصحابها فلم يمتثلوا ولم يسمعوا ذلك وخوطب الباشا ثانيًا وأخبروه بعصيانهم فقال إنهم مقيمون ثلاثة أيام ثم يسافرون وزاد الضجيج والجمع فاجتمع المشايخ فى صبحها يوم الخميس بالأزهر وتركوا قراءة الدروس وخرجت سرية من الأولاد الصغار يصرخون بالأسواق ويأمرون الناس بغلق الحوانيت وحصل بالبلدة ضجة ووصل الخبر إلى الباشا

بذلك فأرسل كتخداه إلى الأزهر فلم يجد أحدًا وكان المشايخ انتقلوا بعد الظهر إلى بيتهم لأغراض نفسانية وفشل مستمر فيهم فلما ير أحدًا ذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوى وحضر هناك السيد عمر أفندى وخلافه فكلموه وأوهموه ثم قام وانصرف وفى حال خروجه رجمه الأولاد بالحجارة وسبوه وشتموه وبقى الأمر على السكوت إلى يوم الجمعة عاشره والمشايخ تاركون الحضور إلى الأزهر وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة واللغط والوسوسة دائران وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة وفى ذلك اليوم نزل أحمد باشا من القلعة ودخل بيت سعيد أغا وذلك أنه ورد قاصد من إسلامبول وعلى يده تقليد محمد على بولاية جدة فامتنع من طلوع القلعة فوقع الاتفاق على أن الباشا ينزل إلى بيت سعيد أغا ويخلع على محمد على ناك فلما حضر الباشا هناك وحضر محمد على وحسن باشا وأخوه عابدى بك وتقلد محمد على باشا ولاية جدة ولبس فروة وقاووقًا وخرج يريد الركوب ثارت عليه العسكر وطلبوا منه العلوفة فقال لهم هاهو الباشا عندكم وركب هو وذهب إلى داره بالأزبكية وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق ثم أن العسكر ساروا إلى أحمد باشا ومنعوه من الركوب فلم يزل إلى بعد الغروب فلاطفهم حسن باشا ووعدهم ثم ذهب مع حسن باشا إلى داره وأشيع فى المدينة حبسه وفرح الناس وباتوا مسرورين فلما طلع النهار يوم السبت تبين أنه طلع ثانيًا إلى القلعة فى آخر الليل وطلع صحبته عابدى أغا بك فاغتم الناس ثانيًا.

وفى ذلك اليوم طلب الباشا من ابن المحروقى وجرجس الجوهري ألفى كيس وأشيع أنه عازم على عمل فردة على أهل البلد وطلب أجرة الأملاك بموجب قوائم الفرنساوية.

وفيه ركب الدلاة وذهبوا إلى قليوب ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها وربطوا خيولهم على أجرانها وطلبوا من أهلها النفقات والكلف وعملوا على الدور دراهم يطلبونها منهم فى كل يوم وقرروا على دار شيخ البلد الشواربى كل يوم مائة قرش وحبسوا حريمهم عن الخروج وكان الشواربى بمصر فوصل إليه الخبر بذلك واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات والأولاد وصاروا يبيعونهم

فيما بينهم وبعد أيام أرسل إليهم محمد على وقرر لهم الكلف على البلاد فصاروا يقبضونها ومن عصى عليهم ضربوه ونهبوه وأرسلوا إلى بلدة يقال لها أبو الغيط فامتنعت عليهم وخرج أهلها ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية فركبوا عليهم وحاربوهم فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة شخص ودلهم بعض الناس من الفلاحين على خباياهم بالجزيرة فذهبوا إليها واستخرجوها وكانت أشياء كثيرة والأمر لله وحده لا شريك له والمشايخ تاركون الحضور إلى الأزهر وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة فحضر الأغا إلى نواحى الأزهر ونادى بالأمان وفتح الدكاكين فى العصر فقال الناس وأى شىء حصل من الأمان وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ أجر مساكنهم ويعمل عليهم غرامات وباتوا فى هرج ومرج فلما أصبح يوم الأحد ثانى عشره ركب المشايخ إلى بيت القاضى واجتمع به الكثير من المتعممين والعامة والأطفال حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس وصرخوا بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومن الأولاد من يقول يا لطيف ومنهم من يقول يا رب يا متجلى أهلك العثملى ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك وطلبوا من القاضى أن يرسل بإحضار المتكلمين فى الدولة لمجلس الشرع فأرسل إلى سعيد أغا الوكيل وبشير أغا الذى حضر قبل تاريخه وعثمان أغا قبى كتخدا والدفتردار والشمعدانجى فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات ففعلوا ذلك وذكروا فيه تعدى طوائف العسكر والإيذاء منهم للناس وإخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض مال الميرى المعجل وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك وأخذوه معهم ووعدوه برد الجواب فى ثانى يوم وفى تلك الليلة أرسل الباشا مراسلة إلى القاضى يرفق فيها الجواب ويظهر الامتثال ويطلب حضوره إليه من الغد مع العلماء لعمل معهم مشورة فلما وصلته التذكرة حضر بها إلى السيد عمر أفندى واستشاروا فى الذهاب ثم اتفقوا على عدم التوجه إليه وغلب على ظنهم أنها منه خديعة وفى عزمه شىء آخر لأنه حضر بعد ذلك من أخبرهم أنه كان أعد أشخاصًا لاغتيالهم فى الطريق وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر أن لو عوتب بعد ذلك.

فلما أصبحوا يوم الاثنين اجتمعوا ببيت القاضى وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول إلى بيت القاضى وقفلوا بابيه وحضر إليهم أيضًا سعيد أغا والجماعة وركب الجميع وذهبوا إلى محمد على وقالوا له أنا لا نريد هذا الباشا حاكمًا علينا ولا بد من عزله من الولاية فقال ومن تريدونه يكون واليًا قالوا له لا نرضى إلا بك وتكون واليًا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع أولاً ثم رضى وأحضروا له كركًا وعليه قفطان وقام إليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له وذلك وقت العصر ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة وأرسلوا إلى أحمد باشا الخبر بذلك فقال إنى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل من القلعة إلا بأمر من السلطنة وأصبح الناس وتجمعوا أيضًا فركب المشايخ ومعهم الجم الغفير من العامة وبأيديهم الأسلحة والعصى وذهبوا إلى بركة الأزبكية حتى ملؤها وأرسل الباشا إلى مصر العتيقة فحمل جمالاً من البقسماط والذخيرة والجبخانة وأخذ غلاله من عرصة الرميلة وطلع عمر بك الأرنؤدى الساكن ببولاق عند الباشا بالقلعة ثم أن محمد على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة إلى عمر بك وصالح أغا قوش المعضدين لأحمد باشا المخلوع يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ولا ينبغى مخالفتهم وعنادهم لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم وخراب الإقليم فأرسلا يقولان فى الجواب أرونا سندًا شرعيًا فى ذلك فأجتمع المشايخ فى يوم الخميس سادس أعشره ببيت القاضى ونظموا سؤالاً وكتب عليه المفتون وأرسلوه إليهم فلم يتعقلوا ذلك واستمروا على خلافهم وعنادهم ونزل كثير من أتباع الباشا بثيابهم إلى المدينة وانحل عنه طائفة الينكجرية ولم يبق معه إلا طوائف الأرنؤد المغرضون لصالح أغاقوش وعمر أغا.

وفى هذه الأيام حضر محمد بك الألفى ومن معه من أمرائه وعربانه وانتشروا جهة الجيزة واستقر الألفى بالمنصورية وانتشرت أتباعه إلى الجسر الأسود وأرسل مكاتبة إلى السيد عمر أفندى والشيخ الشرقاوى و محمد على باشا يطلب له جهة يستقر فيها هو وأتباعه فكتبوا له بأن يختار له جهة يرتاح فيها ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه على

الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ويقول لا أنزل حتى يأتينى أمر من السلطان الذى ولانى وأرسل تذكرة إلى القاضى يذكر فيها أن العسكر الذين عنده بالقلعة لهم جامكية منكسرة فى المدة الماضية وأنهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة تاريخه معجلاً فتقبضونها وترسلونها وتعينوا لنا ولهم خرجًا ومصاريف إلى حين حضور جواب من الدولة وليس فى إقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية فإننا لا نريد إضرارهم فأجابه القاضى بقوله أما ما كان من الجامكية المحولة فإنها لازمة عليكم من إيراد المدة التى قبضتموها فى المدة السابقة ومن قبيل ما ذكرتموه من عدم ضرر الرعية فإن إقامتكم بالقلعة هو عين الضرر فإنه حضر يوم تاريخه نحو الأربعين ألف نفس بالمحكمة وطالبون نزولكم أو محاربتكم فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم والسلام فأجابوه بمعنى الجواب الأول واجتهد السيد عمر أفندى النقيب وحرض الناس على الاجتماع والاستعداد وركب هو والمشايخ إلى بيت محمد على باشا ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجقلية والكل بالأسلحة والعصى والنبابيت ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات ويسرحون أحزابًا وطوائف ومعهم المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحى وجهات السور ثم اتفقوا على محاصرة القلعة فأرسل محمد على باشا عساكره فى جهات الرميلة والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصرية وطريق الصليبية وناحية بيت آقبردى وجلسوا بالمحمودية والسلطان حسن وعملوا متاريس فى تلك الجهات وذلك فى تاسع عشره ومنعوا من يطلع ومن ينزل من القلعة وأغلق أهل القلعة الأبواب ووقفوا على الأسوار يبكت بعضهم بعضًا بالكلام ويترامون بالبنادق وصعدوا على منارة وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ومعهم جمع كبير من الناس إلى الأزبكية وبعد ركوبهم حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الأجناد والوجاقلية وعصب النواحى وأهل الحسينية والعطوف والقرافة والرميلة والحطابة والصليبة وجميع الجهات ومعهم الطبول والبيارق حتى غصت بهم الأزقة فحضروا إلى جهات الجامع الأزهر ثم رجعوا إلى الأزبكية ولحقوا بالمشايخ وخرج المشايخ من عند محمد على باشا وذهبوا إلى حسن بك

أخى طاهر باشا ثم رجعوا واستمر الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة فنزل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة وفتحوا بابا القلعة بالرميلة وأرادوا الهجوم على المتاريس فتابعوا عليهم بالرمى فلم يزالوا يترامون إلى بعد العشاء الأخيرة ثم رجعوا وعندما سمع الناس صوت الرمى ذهبوا أرسالاً إلى جهات المتاريس ثم عادوا بعد رجوع المذكورين إلى القلعة كل ذلك وحسن باشا طاهر ومن معه من الأرنؤد يراعون من بالقلعة من أجناسهم لأن غالبهم منهم فلما كان يوم الجمعة رابع عشرينه طلع عابدى بك أخو حسن باشا إلى القلعة ونزل عمر بك وأمروا برفع المتاريس وتفرق من بها وأشيع نزول الباشا من الغدو بات الناس على ذلك ليلة السبت وهم على ما هم عليه من التجمع والسروح والحيرة.

وفى ذلك اليوم ركب السيد عمر أفندى فى قلة من الناس وذهب إلى بيت حسن بك أخى طاهر باشا وكان هناك عمر بك الذى نزل من القلعة فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة فى الكلام طويلة ومن جملة ما قال كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فقال له أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة وهذا شىء من زمان حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه ثم قال وكيف تحصروننا وتمنعون عنا الماء والأكل وتقاتلوننا نحن كفرة حتى تفعلوا معنا ذلك قال نعم قد أفتى العلماء والقاضى بجواز قتلكم ومحاربتكم لأنكم عصاة فقال إن القاضى هذا كافر فقال: إذا كان قاضيكم كافرًا فكيف بكم وحاشاه الله من ذلك إنه رجل شرعى لا يميل عن الحق وانفصل المجلس على ذلك وخاطبه الشيخ السادات فى مثل ذلك فلم يتحول عن الخلاف والعناد هذا والأمر مستمر من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الأسلحة والنبابيت حتى أن الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشترى به سلاحًا وحضرت عربان كثيرة من نواحى الشرق وغيره.

وفى يوم الاثنين ركب السيد عمر وصحبته الوجاقلية وأمامه الناس بالأسلحة والعدد والأجناد وأهل خان الخليلى والمغاربة شىء كثير جدًا ومعهم بيارق ولهم

جلبة وازدحام بحيث كان أولهم بالموسكى وآخرهم جهة الأزهر وانفصل الأمر على رجوع عمر بك إلى القلعة ونزول عابدى بك بعد أن قضوا أشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء والزادة والغنم ليلاً ونهارًا فى مدة الثلاثة أيام المذكورة وقد كانوا أشرفوا على طلب الأمان وتبين أنهم إنما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة واتفق الحال على إعادة المحاصرة وصعد المغرضون إلى القلعة ونزل أشخاص من المغرضين لأهل البلد إليهم ورجع السيد عمر إلى منزله وأخذ فى أسباب الإحاطة بالقلعة كالأول وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء ووقع إليه تمام فى صبحها بذلك وجمعوا الفعلة والعريجية وشرعوا فى طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم إلى الجبل وأصعدوا مدافع ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز وروايا الماء تطلع وتنزل فى كل يوم مرتين وطلع إليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى وغير ذلك.

و استهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٢٠ والأمر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل فى سائر الأخطاط.

وفى ليلة الثلاثاء سادسه تحرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على فقال لهم ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه وتأخذوا علائفكم منه فلم يمتثلوا وتركوا المتاريس التى حوالى القلعة فتفرقوا وذهبوا فذهب جماعة من الرعية وتترسوا مواضعهم.

وفى ليلة الخميس ثامنه حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية المظفر وقت الغروب وضربوا على من بالمتاريس من الأجناد والرعية على حين غفلة وخطفوا عمائم وأسلحة وأجلوهم عن المترأس وجلسوا به فتسامع أهل الرميلة فاجتمعوا وحضروا إليهم وكبيرهم حجاج الخضى وإسماعيل جودة وهجموا عليهم وقتلوا منهم أنفارًا وانحاز باقيهم إلى الوكالة فأغلقوها عليهم فحضر ذو الفقار كتخدا ودافع عنهم وأخرجهم ثم أرسل إلى محمد على وأمرهم بالهروب من تلك الجهة.

وفى يوم السبت عاشره حصل من بعض أفراد العسكر قبائح وقتلوا بعض أنفار وحمارين وبغلين وقبض العامة أيضًا على أشخاص منهم وقتلوا منهم أيضًا

وحضر طائفة من الأرنؤد وملكوا سبيل اسكندر بباب الخرق وحضر أيضًا طائفة ببيت السيد عمر أفندى النقيب فقام فيهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خيالة ودخل منهم البعض فحجزوهم ووقع فى الناس هوزعات وكرشات ثم أحضر حسن أغا نجاتى المحتسب وأمر الأفندى بالمناداة فمر وأمامه المنادى يقول حسبما رسم السيد عمر الأفندى والعلماء لجميع الرعايا بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا فى أماكنهم وأخطاطهم وإذا تعرض لهم عسكرى بأذية قابلوه بمثلها وإلا فلا يتعرضوا له وأخذ الناس يعملون متاريس فى رءوس الأخطاط ثم تركوا ذلك وحضر أيضًا شخص من طرف محمد على ونادى بمثل ذلك ومعه أيضًا شخص ينادى بالتركى بمعنى ذلك.

وفى الليلة الماضية حضر كتخدا محمد على ليلاً ومعه فرمان أرسله أحمد باشا المخلوع إلى الدلاة يطلبهم للحضور ويذكر لهم أنه يجب عليهم معاونته صيانة لعرض السلطنة وإقامة لناموسها وناموس الدين وأن الفلاحين محاصرونه ومانعون عنه الأكل والشرب فلما وصل ذلك الفرمان إليهم بقليوب أرسلوه إلى محمد على وأرسله محمد على إلى السيد عمر أفندى النقيب.

وفى يوم الأحد حادى عشره وقعت أيضًا مناوشات وتعدى بعض العسكر ودخلوا باب زويلة ووصلوا إلى العقادين فخرجت عليهم طائفة المغاربة وغيرهم فتترس منهم جماعة بجامع الفاكهانى فحصروهم به وقبضوا على نحو العشرة أنفار فأخذهم السيد محمد المحروقى ودافع عنهم العامة وقتل من الفريقين بعض أنفار وحضر عابدى بك وطلبهم فسلموهم إليه ورجع.

وفى تلك الليلة أيضًا ذهب جماعة من العسكر إلى جهة الرميلة يطلبون أنفارًا منهم ساكنين بتلك الناحية أخذ أهل الرميلة سلاحهم وحبسوهم عندهم فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فأخبرتهم فحضر منهم طائفة أواخر النهار وطلبوهم فلم يسلموا فيهم وحاربوهم وهزموهم إلى جهة الصليبة وقتل بينهم أنفار ورجع العسكر واختلطت القضية واشتبه أمرها على أهل البلد فلا يعرف كلا الفريقين الصاحب من العدو فتارة يتشابك العسكر مع أهل البلد وكذلك أهل البلد معهم وتارة يتشابك فرقة منهم مع الكائنين بالقلعة وتارة الفريقان يساعد بعضهم بعضًا

وإذا رقع بين الكائنين بنواحى الرميلة مع العسكر فرح من بالقلعة وأغروا أولاد البلد بهم ومنهم من يغرى العسكر على أولاد البلد ويقولون لهم بلسانهم وبالعربى اضربوا الفلاحين ونحو ذلك وبالجملة فهى قضية مشكلة بين أوباش مختلفة وطباع معوجة منحرفة ومضت ليالى المولد الشريف ولم يشعر بها أحد.

وفيه حضر كبار الدلاة فخلع عليهم محمد على باشا خلعًا وكساوى وسافروا ثم ارتحلوا من قليوب يريدون الذهاب إلى محاربة الألفى وأتباعه ومن معهم من العرب فأنهم أفحشوا فى نهب البلاد ونهب الأموال ما لم يسمع بمثله ولم يتقدم نظيره فساروا على البلاد والقرى يأخذون الكلف وينهبون ويقتلون ويفسقون فى النساء والأولاد ولم يذهبوا إلى ما وجهوا إليه.

وفى ليلة الأربعاء رابع عشره حضر كتخدا محمد على وجرجس الجوهرى إلى بيت السيد عمر وحضر أيضًا الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والقاضى وتشاوروا على أمر ورأى رآه محمد على باشا وأما على باشا السلحدار الذى جهة مصر القديمة فإنه أخذ فى استمالة العسكر وفتنتهم وانضم إليهم كثير منهم ووعدهم بعلائفهم وصار يراسل أحمد باشا سرًا ويرسل إليه الخبز واللحم والسكر والذخيرة على الجمال من باب صفير فتحوه من عرب اليسار من داخل.

وفى ليلة السبت أجمع رأى على باشا السلحدار على مكيدة يصنعها وهو أنه يركب فيمن معه ويهجم على المتاريس من جهة الصليبة وأرسل إلى مخدومه يعلمه بذلك وأنه إذا هجم من تلك الناحية يساعده هو من القلعة برمى الدافع والقنابر على البلد والمتاريس فتنزعج الناس ويتم لهم ما مكروه وكتب رجب أغا وسليمان أغا وهما كبؤرا عسكر على باشا المذكور تذكرة عن عندهما خطابًا للسيد عمر أفندى النقيب وباقى المشايخ مضمونها أنهما يريدان الحضور إلى جهة القلعة ويسعيان فى أمر يكون فيه الراحة للفريقين وتسكين الفتنة ويلتمسان من المخاطبين أنهم يرسلون إلى من بالمتاريس من العمة بأن يخلوا لهما طريقًا ولا يتعرضون لهما فحضر إلى السيد عمر أفندى النقيب من أخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر قبل حضور التذكرة فأرسل إلى من بالنواحى والجهات وأيقظهم وحذرهم فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحى فنظروا إلى ناحية القرافة فرأوا

الجمال التى تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا إلى القلعة ومعها أنفار من الخدم والعسكر وعدتهم ستون جملاً فخرج عليهم حجاج الخضرى ومن معه من أهالى الرميلة وحاربوهم وأخذوا منهم تلك الجمال وقتلوا شخصين من العسكر وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤس المقتولين إلى بيت السيد عمر فأرسلهم إلى محمد على باشا فأمر بقتل الآخرين فلما رأى من بالقلعة ذلك فعندها رموا بالمدافع والقنابر على البلد وبيت محمد على وحسن باشا وجهة الأزهر ولم يزالوا يراسلون الرمى من أول النهار إلى بعد الظهر فلم ينزعج أهل البلد من ذلك لما ألفوه من أيام الفرنسيس وحروبهم السابقة ثم رموا كذلك من العشاء إلى سادس ساعة من الليل فلم يجبهم أحد ولم يرموا عليهم شيئًا من الجبل مع استعدادهم لذلك وأصبحوا يوم الأحد فواصلوا الرمى بطول النهار وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين هذا.

وفى كل ليلة يطلع إلى الجبل أربعة عشر جملاً تحمل قرب الماء على كل بعير أربع قرب وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال نقلتين فى كل يوم وأصعدوا جبخانة وجللاً وقنابر وضربوا عليهم فى ذلك اليوم ضربًا قليلاً واستمر ذلك ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء فأكثروا الرمى وسقطت قنابر وجلل فى عدة أماكن مع الضرر القليل وباتوا على ذلك ليلة الأربعاء ويومه وليلة الخميس ويومه إلى آخر النهار وبطل الرمى تلك الليلة فقال الناس أنهم تركوا ذلك احترامًا لليلة الجمعة.

وفى تلك الليلة حضر جماعة من أهل الأطارف ليلاً وحرقوا باب الجبل وأوقدوا فيه النار فظن أهل الجبل أن أهل القلعة يريدون الخروج فضربوا عليهم مدافع فتنبه من بالقلعة وأسرعوا إلى جهة باب الجبل وضربوا بالرصاص فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم أيضًا وتسامع الناس كثرة الضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ورجع من أتى إلى الباب من غير طائل فلما طلع النهار ظهر الأمر.

وفى اليوم الثانى بعد الظهر تسلق جماعة من العسكر القلعاوية على سلالم صنعوها من حبال ونزلوا إلى جهة المحجر لأخذ شىء من الأكل والشرب وهم نحو العشرين فتنبه الناس لهم واجتمعوا بالخطة وأخذوا ما أخذوه من أهل الدور

من الخبز والدقيق وقرب الماء وصعدوا من حيث أتوا وأعادوا الرمى بالمدافع والقنابر من عصر يوم الجمعة وليلة السبت واستمروا على ذلك وسقط بسبب ذلك حيطان وبعض من أبنية الدور وخرج كثير من الناس وبعدوا عن جهات الضرب وخصوصًا جهة الأزهر وذهبوا إلى ناحية الحسينية والأطارف وخرجت النساء وفى يوم الأحد أرسل كتخدا محمد على باشا إلى السيد عمر وأشار عليه بإرسال العتالين والشيالين إلى ناحية قلعة الفرنساوية التى بقنطرة الليمون لرفع المدفع الكبير الذى هناك وأرسلوا أشخاصًا من الإنكليز يتقيدون بذلك فجمعوا الرجال والأبقار وذهبوا إلى هناك وأحضروه وأخرجوه من باب البرقية يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل ليرموا به على برج القلعة واستمروا فى جره يومين.

وفى ذلك اليوم نزل أيضًا ستة أشخاص يريدون أخذ الماء من صهريج جهة الحطابة فضرب عليهم من هناك من المترسين فهربوا وطلعوا من حيث نزلوا.

وفى ليلة الثلاثاء نصبوا المدفع المذكور وضربوا به وضربوا أيضًا من أعلى الجبل ومن بالقلعة يضربون على البلد يواصلون الضرب بالمدافع والقنابر والبنبات الكبار والآلات المحرقة واستمروا على ذلك إلى ليلة الجمعة الأخرى فسكن الرمى تلك الليلة وأصيب كثير من الدور والحيطان والأبنية وأصابت أشخاصًا قتلتهم ووزن بعض البنبات فبلغ وزنها بما فيها قنطارين.

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ بيوم الجمعة فيه وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجى وهو صالح أغا وعلى يده جوابات بالراحة فحصلت ضجة فى الناس وفرحوا ورمحوا بطول ذلك اليوم وعملوا شنكًا تلك الليلة التى هى ليلة السبت ورموا سواريخ فى سائر النواحى وضربوا بنادق وقرابين بالأزبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع التى على أبراج الأبواب ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا أن العساكر الذين فى قلوبهم مرض تحاربوا مع أهل البلد فرموا من القلعة بالمدافع والبنب وحضر على باشا ومن معه من جهة مصر القديمة ونزل من القلعة طائفة من العسكر جهة عرب اليسار وتترسوا هناك فاجتمع عليهم حجاج وأهل الرميلة ومن معهم من عسكر محمد على وتحاروا مع

المترسين والواصلين وضربوا من القلعة على محاربيهم وعلى أهل البلد وكذلك من بالجبل ومن بالذنجزية يضربون على القلعة المدافع والسواريخ ونزل أيضًا طائفة وهجموا على الذنجزية وأرادوا سد فلوة المدفع الكبير فضربوا عليهم وقتل كبيرهم ومعه آخر وأخذوا سلاحهم وأحضروهما إلى السيد عمر وحصل بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية ما هو عجيب من المستغربات واختلط الشنك بالحرب وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب والمدافع والسواريخ وكذلك من القلعة على البلدة وعلى الذنجزية ومنها على القلعة والمحاربين مع بعضهم البعض والشنك من كل جهة واجتماع الناس والعامة بالأخطاط والنواحى وضربوا طبولاً ومزامير ونقرزانات وكانت ليلة من الغرائب وأصبحوا على الحال الذى هم عليه من الرمى بالمدافع والبنب.

وفى يوم الأحد سافرت أنفار من الوجاقلية وغيرهم لملاقاة صالح أغا وصحبتهم طائفة من العسكر أرسلها محمد على باشا فى مركب لخفارته وقد كانوا اتفقوا على سفر بعض المتعممين ثم بطل ذلك وأرسل السيد عمر أفندى باشجاويش والسيد عثمان البكرى وسلحدار محمد على والخواجه عمر المطيلى وبكتاش وأحمد أوده باشا.

وفى شهر شعبان سنة ١٢٢٠ استهل بيوم الجمعة فيه أمر محمد على باشا برفع حصص الالتزام التى على النساء وكتبوا قوائم مزادها وانحط الأمر على المصالحات بقدر حالهن وغير ذلك أمور كثيرة وجزئيات وتحيلات على استنضاح الأموال لا يمكن ضبطها.

استهل شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢٢٠ هـ بيوم الخميس فيه حضر مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى من الجهة القبلية وقد تقدم أنهما ذهبا وعادا ثم رجعا ثانيًا على الهجن لتقرير الصلح ثم رجعا ولم يظهر اثر لذلك الصلح وحكى الناس عنهما ان المذكورين لما ذهبا إلى اسيوط وجدا ابراهيم بك قد انتقل إلى ناحية طحطا واجتمعا بعثمان بك حسن والبرديسى فلم يرضيا بالتوجيه الذى وجه به اليهم وهو من حدود جرجا وقالا لا يكفينا الا من حدود المنية فان الفرنساوية كانوا اعطوا حكم البلاد القبلية من حدود المنية لمراد بك

بمفرده فكيف انه يكفينا نحن الجميع من جرجا وشرطوا ايضًا انه ان استقر الصلح على مطلوبهم لا بد من إخلاء الإقليم من هذه العساكر الذين لا يتحصل منهم الا الضرر والخراب والدمار والفساد ولا يبقى الباشا منهم إلا مقدار الافى عسكرى وقالوا انه ايضًا إذا لم يعطنا مطلوبنا فهو لا يستغنى عن اناس من العسكر يقيمون بالبلاد التى يبخل علينا بها فنحن اولى له واحسن منهم ونقوم بما على البلاد من المال والغلال وعند ذلك يحصل الامن وتسير المسافرون فى المراكب وترد المتاجر والغلال ويحصل لنا وله راحة واما اذا استمر الحال على هذا المنوال فانه لم يزل متعبًا من كثرة العسكر ونفقاتهم وكذلك سائر البلاد على انه ان لم يرض بذلك فها هى البلاد بايدينا والأمر مستمر معنا ومعهم على التعب والنصب.

وفى رابعه ورد الخبر بأن جماعة من كبار العسكر وفيهم سليمان أغا الارنؤدى الذى تولى كسوفية منفلوط ومعهم عدة وافرة من العسكر عدوا من المنية إلى البر الشرقى بالمطاهرة بسبب ما عندهم من القحط وعدم الاقوات لاحاطة المصريين بهم فلما دخلوا إلى بلدة المطاهرة وملكوها وصل اليهم بعض الأمراء والاجناد المصرية واحاطوا بهم وحاربوهم ايامًا حتى ظهروا عليهم وقتلوا منهم وهرب من هرب وهو القليل واسروا الباقى وفيهم سليمان أغا المذكور فالتجا إلى بعض الاجناد فحماه من القتل وقابل به كبار الأمراء فانعموا عليه بكسوة ودراهم وسلاح واقام معهم ايامًا ثم استاذنهم للعود وحضر إلى مصر وجلس بداره. وفيه ورد الخبر ايضًا بموت الامير بشتك بك المعروف بالالفى الصغير مبطونًا.

وفيه أيضًا حضر حجاج الخضرى الرميلاتى إلى مصر وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفًا من العسكر وذهب إلى بلده بالمنوات ثم ذهب عند الالافى وأقام فى معسكره إلى هذا الوقت ثم ان الالافى طرده لنكتة حصلت منه فرجع إلى بلده وأرسل إلى السيد عمر فكتب له أمانًا من الباشا فحضر بذلك الامان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له فى خطته بانه على ما هو عليه فى حرفته وصناعته ووجاهته بين أقرانه فصار يمشى فى المدينة وصحبته عسكرى ملازم له.

وفى يوم الجمعة تاسعه كان يوم الوقوف بعرفة وفى ذلك اليوم ركب محمد على بالابهة الكاملة وصلى الجمعة بالمشهد الحسينى ولم يركب من وقت ولايته بالهيئة الا فى هذا اليوم وفى عصر تلك ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلامًا بالعيد وكذلك فى صبحها وفى كل وقت من الاوقات الخمسة مدة أيام التشريق.

وفى أخره أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بطندتا [طنطا] وعين صحبته اتباعًا وعسكرًا وهجنًا وقرر له دراهم على البلاد ألف ريال فما دونها خلاف الكُلف وكذلك سافر حريمات ورئيسهن حريم مصطفى أغا الوكيل فى هيئة لم يسبق مثلها فى تختروانات وعربات ومواهى واحمال وجمال وعسكر وخدم وفرضوا لهن ايضًا مقررات على البلاد وكلفًا ونحو ذلك واظن ان هذه المحدثات من أهوال القيامة.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥ فيه وصلت الأمراء المصريون القبالى إلى ناحية بنى سويف وكثير من الأجناد إلى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان أفندى ثم رجع ثانيًا إليهم.

وفيه أمر الباشا كتاب بعمل حساب حسين أفندى الروزنامجى عن السنتين الماضيتين وهما سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين وذلك بإغراء البعض منهم فاستمروا فى عمل الحساب أيامًا فزاد لحسين أفندى مائة وثمانون كيسًا فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم فى عمل الحساب ثم ألزمه بدفع أربعمائة كيس وقال إنا كنت أريد منه ستمائة كيس وقد سامحته فى مائتين فى نظير الذى تأخر له وطلع فى صبحها إلى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره فى منصبه ونزل إلى داره فلما كان بعد الغروب حضر إليه جماعة من العسكر فى هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول وأخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الأربعمائة كيس فاجتهد فى تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيًا.

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٢٥ فيه وصلت الأخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دورًا كثيرة بمكة وجدة وأتلف كثيرًا م البضائع للتجار حكوا أنه هدم بمكة خاصة ستمائة دار وكان

ذلك فى شهر صفر.

وفيه وصل الأمراء المصريون إلى ناحية الرقق وأوائلهم وصلوا إلى دهشور وخرج إليهم الأتباع بالملاقاة من بيوتهم وأحبابهم وذهب إليهم مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى وديوان أفندى ثم الباشا ثم فى أثرهم طوسون ابن الباشا وقدم له إبراهيم بك تقادم وأقام بوطاقه أيامًا ثم رجعوا وكثر ترداد المراسلات والاختلافات فى أمر الشروط.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٢٥هـ فيه عمل الباشا ميدان رماحه بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض فأقاموه وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ويقال إن الضارب لها كان قاصدًا الباشا فأخطأته وأصابت ذلك المملوك والأجل حصن.

وفيه نبهوا على العسكر بالخروج فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء أشغالهم ولوازمهم وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ومن يصادفونه ويقدرون عليه من أهل البلد وخلافهم ويقولون فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون أيضًا مستمرون فى منزلتهم لم ينتقلوا عنها.

وفى سنة ست وعشرين ومائتين وألف فكان أول المحرم يوم السبت فيه أظهر الباشا إليه تمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر وركب فى ليلة الجمعة سابعه إلى السويس وسافر صحبته السيد محمد المحروقى وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل إلى السويس حجز الداوات التى وصلت بالمحمل وسفر عدة من المراكب التى انشاها ليقبضوا على الداوات والسفن التى بالأساكل وحوزها واستولى على البن الذى وجده ببندر السويس للتجار فلما وصل خبر ذلك إلى مصر فغلا سعر البن وزاد حتى وصل إلى خمسين ريالاً فرانسة بعد ان كان بستة وثلاثين عنها اثنا عشر الف فضة وخمسمائة نصف فضة.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأحد سنة ١٢٢٦ هـ يوم الأثنين وحضر الباشا من السويس إلى مصر فى سادس ساعة من الليل فضربوا فى صبحها عدة مدافع لحض لحضوره وقد حضر على هجين بمفرده ولم يصحبه الا رجل بدوى

على هجين ايضًا ليدله على الطريق وقطع المسافة فى احدى عشرة ساعة وحضر من كان بصحبته فى ثانى يوم وهم مجدون السفر وحضر السيد محمد المحروقى بحموله فى اليوم الثالث واخبروا ان الباشا انزل من ساحة السويس خمسة مراكب من المراكب التى انشاها باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ووجههم إلى ناحية اليمن ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب وان الصناع فيه حضر صالح أغا قوج حاكم اسيوط وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبليين بانهم حضروا إلى الطينة ورجعوا إلى ناحية قنا وقوص وخرج إليهم أحمد أغالاظ وتحارب معهم وقتل من عساكره عدة وافرة.

وفيه قلد الباشا أبنه طوسون باشا سارى عسكر الركب الموجه إلى الحجاز واخرجوا جيشهم إلى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضيًا وخيامًا واظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا لمحله وسارى عسكرهم شاهين بك الألفى ونحو ذلك من الإيهامات وطلب مَن المنجمين ان يَختاروا وقتًا صالحًا لالباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الآى جاويش بالأسواق على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضَلمة والطبق على رأسه وراكب حمار عال وامامه مقدم بعكاز وحوله قابجية ينادون بقولهم يا رن الاى ويكررون ذلك فى اخطاط المدينة وطافوا باوراق التنابيه على كبار العسكر والبينبات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم يطلبونهم للحضور فى باكر النهار إلى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم امام الموكب فلما اصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا إلى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم واتباعهم واجنادهم فدخل الأمراء عند الباشا وصبحوا عليه وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه فانجر طائفة الدلاة واميرهم المسمى ازون على ومن خلفهم الوالى والمحتسب والوجاقلية والألداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وارباب المناصب منهم وابراهيم أغا أغات الباب وسليمان بك البواب يذهب ويجىء ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن

باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم واسر بذلك فى صبحها إبراهيم أغا أغات البابا فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والألداشات المصرية وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك امر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد احصروا باجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر المقطوع فى اعلى باب العزب مسافة ما بين الباب الأعلى الذى يتوصل منه إلى رحبة سوق القلعة إلى الباب الأسفل وقد اعدوا عدة من العساكر اوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به فلما حصل الضرب التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر واخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضًا وعلم العسكر الواقفون بالأعلى المراد فضربوا أيضًا فلما نظروا ما حل بهم سقط فى أيديهم وارتبكوا فى انفسهم وتحيروا فى أمرهم ووقع منهم اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب واخرون فى عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط اكثرهم واصيب شاهين بك وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه واسرعوا بها إلى الباشا لياخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب إلى البيت الذى به الحريم وهو بيت إسماعيل افندى الضربخانه واما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد إلى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه ايضًا وهرب كثير إلى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم واسرف العسكر فى قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا احدًا واظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملاً معهم من اولاد الناس واهالى البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول انا لست جنديًا ولا مملوكًا واخر يقول انا لست من قبيلتهم فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث وتتبعوا المتشتتين والهربانين فى نواحى القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا فى البيوت والأماكن

وقبضوا على من امسك حيًا ولم يمت من الرصاص او متخلفًا عن الموكب وجاسًا مع الكتخدا كأحمد بك الكيلارجى ويحيى بك الألفى وعلى كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم احضروا ايضًا المشاعلى لرمى اعناقهم فى حوش الديوان واحدًا بعد واحد من ضحوة النهار إلى ان مضى حصة من الليل فى المشاعل حتى امتلا الحوش من القتلى ونم مات من المشاهير المعروفين وانصرع فى طريق القلعة قطعوا رأسه وسحبوا جثته إلى باقى الجثث حتى انهم ربطوا فى رجلى شاهين بك ويديه حبالاً وسحبوه على الأرض مثل الحمار الميت إلى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة واما اسفل المدينة فانه عندما اغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة فى الناس وهرب من كان واقفًا بالرميلة من الأجناد فى انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة باسواق المدينة فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة واغلق الناس حوانيتهم وليس لاحد علم بما حصل وظنوا ظنونًا وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فولجوها بغتة ونهبوها نهبة ذريعًا وهتكوا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب واظهروا الكامن فى نفوسهم ولم يجدوا مانعًا ولا رادعًا وبعضهم قبض على يد امراة لياخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المراة وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف لان المماليك والأجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى وكل امير له دار كبيرة فيها عياله واتباعه ومماليكه وخيوله وجماله وله دار وداران صغار فى داخل العطف ونواحى الأزهر والمشهد الحسينى يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع النواحى ويرمقون احوالهم ويطلعون على اكثر حركاتهم وسكناتهم ويتدخلون فيهم ويعاشرونهم ويسامرونهم بالليل ويظهرون لهم الصداقة والمحبة وقلوبهم محشوة من الحقد عليهم والكراهة لهم بل ولجميع ابناء العرب

فلما حصلت هذه الحادثة بادروا لتحصيل ما هو لهم واظهروا ما كان مخفيًا فى صدورهم وخصوصًا من التشفى فى النساء فان العظيم منهم كان اذا خطب ادنى امراة ليتزوج بها فلا ترضى به وتعافه وتانف قربه وان الح عليها استجارت بمن يحميها منه والا هربت من بيتها واختفت شهورها وذلك بخلاف ما إذا خطبها أسفل شخص من جنس المماليك اجابته فى الحال واتفق انه لما اصطلح الباشا مع الألفية وطلبوا البيوت ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات وتنافسن فى زواجهم وعملن لهم الكساوى وقدمن لهم التقادم وصرفن عليهم لوازم البيوت التى تلزم الأزواج لزوجاتهم كل ذلك بمراى من الأتراك يحقدونّه فى قلوبهم وفيهم من حمى جاره وصان دياره ومانع اعلاهم ادناهم وقليل ما هم وذلك لغرض يبتغيه وامر يرتجيه فانه بعد ارتفاع النهب كانوا يقبضون عليهم من البيوت فيستولى الذى حماه ودافع عنه على داره وما فيها وانهبت دور كثيرة من المجاورين لهم او لدور اتباعهم بادنى شبهة او يدخلون بحجة التفتيش ويقولون عنكم مملوك او سمعنا ان عندكم وديعة لمملوك وبات الناس وأصبحوا على ذلك ونهب فى هذه الحادثة من الأموال والأمتعة ما لا يقدر قدره ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى ونهبت دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من الأمراء المقصودين ومن المتقيدين بخدمة الباشا مثل ذى الفقار كتخدا المتولى خوليًا على بساتين الباشا التى انشاها بشبرا وبيت الأمير عثمان أغا الوردانى ومصطفى كاشف المورلى والأفندية الكتبة وغيرهم واصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمتخفين مستمر ويدل البعض على البعض او يغمز عليه وركب الباشا فى الضحوة ونزل من القلعة وحوله امراؤه الكبار مشاة وامامه الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه وهم محدقون به وامامه وخلفه عدة وافرة والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح من وجوههم فكان كلما مر على ارباب الدرك والقلقات والضابطين وقف عليهم ووبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك والحال انهم هم الذين كانوا ينهبون اولاً ويتبعهم غيرهم فمروا على العقادين الرومى والشوائين فخرج إليه شخص من تجار المغاربة يسمى العربى الحلو وصرخ فى وجهه وهو

يقول ايش هذا الحال وإيش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا أجناد فوقف اليه وارسل معه نفرًا إلى داره فوجدوا بها شخصين احدهما تركى والآخر بلدى وهما يلتقطان أخر النهب وما سقط من النهابين فأمر بقتلهما فأخذوهما إلى باب الخرق وقطعوا رؤوسهما ثم أنه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من أخبره بان المشايخ مجتمعون ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال أنا أذهب إليهم ولم يزل فى سيره حتى دخل إلى بيت الشيخ الشرقاوى وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجا إلى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه فى شانهما وترجى عنده فى اعتاقهما من القتل وأن يؤمنهما على أنفسهما وقال له لا تفضح شيبتى يا ولدى وأقبل شفاعتى وأعطهما محرمة الأمان فأجابه إلى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطى محارم وانا امانى بالقول او نكتب ورقة ونرسلها اليك بالأمان فأطمأن الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع إلى القلعة وأرسل ورقة إلى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ أن الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه فقالا وما يفعل بذهابنا إليه فلا شك فى أنه يقتلنا فقال الشيخ لا يصلح ذلك ولا يكون كيف انه ياخذكم من بيتى ويقتلكم بعد أن قبل شفاعتى فذهبا مع الرسول فعندما وصلا إلى الحوش وهو مملوء بالقتلى وضرب الرقاب واقع فى المحبوسين والمحضرين قبضوا عليهما وأدرجا فى ضمنهم، وفى ذلك اليوم نزل طوسون ابن الباشا وقت نزول أبيه وشق المدينة وقتل شخصًا من النهابين ايضًا فارتفع النهب وانكف العسكر عن ذلك ولولا نزول الباشا وابنه فى صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضرر واما القبض على الأجناد والمماليك فمستمر وكذلك كل من كان يشبههم فى الملبس والزى واكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرنؤدى فيكبسون عليهم فى الدور او فى الأماكن التى تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله وثياب النساء وحليهن ويسحبون الواحد والأثنين أو أكثر بينهم وياخذون عمائمهم وثيابهم وما فى جيوبهم فى اثناء الطريق واذا كان كبيرًا او اميرًا يستحى منه طلبوه بالرفق فاذا ظهر لهم قالوا له

سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شيء ويطمئن قليلاً ويظن انهم يجبرونه وعلى انه حال لا يسعه الا الإجابة لأنه ان امتنع اخذوه قهرًا فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم وطلع البواقى إلى الدار فاخذوا ما قدروه عليه ولحقوا بهم وجرى على الماخوذ ما يجرى على امثاله من الماخوذين والبعض توارى والتجا إلى طائفته الدلاة الفلاحات اللآتى يبعن الجلة والجبنة وذهبوا فى ضمنهم وفر من نجا منهم وتزيا بشكلهم ولبس له طرطورًا واجاروه وهرب كثير فى ذلك اليوم وخرجوا إلى قبلى وبعضهم تزيا بزى النساء الفلاحين وخرج فى ضمن إلى الشام وغيرها واما كتخدا بك فانه لشدة بغضه فيهم صار لا يرحم منهم احدًا فكان كل من احضروه ولو فقيرًا هرمًا من مماليك الأمراء الأقدمين يامر بضرب عنقه وارسل اوراقًا إلى كشاف النواحى والأقاليم بقتل كل مكن وجدوه بالقرى والبلدان فوردت الرؤوس فى ثانى يوم من النواحى فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة وكان كثير من الأجناد بالأرياف لتحصيل الفرض التى تعهدوا بدفعها على فلاحيهم وانقضت اجلتهم وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت ايديهم ولم يقبلوا للملتزمين عذرًا فى التاخير فلم يسعهم الا الذهاب بانفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان فعندما وصلت الأوامر إلى كشاف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من يمكنهم قتله ومن بعد عنهم ارسلوا لهم العساكر فى محلاتهم فيدهمونهم على حين غفلة ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ويرسلون برؤوسهم او يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤوس من قبلى وبحرى ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ولم يقبلوا شفاعة فى احد ابدًا ويعطون الأمان للبعض فاذا حضروا فبضوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ففوض له الأمر فيهم حتى انه كان بينه وبين محمد أغا كتخـا الجاويشية سابقًا بعض منافرة من مدة سابقة او لكونه صاهر بعض الألفية وزوجه ابنته وكان غائبًا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية فى اقطاعه وتعهد بما عليها من الفرضة فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الميرى فارسل الكتخدا بك إلى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يامره فيه

بامره فارسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه فى الفجرية وهو يتوضا الصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا رأسه واحضروها إلى مصر وكانوا ياتون باشخاص من بقايا البيوت القديمة فيمثلونهم بين يدى الكتخدا فيسالهم فيخبرون عن انفسهم ونسبتهم فيكذبهم ويامر بهم إلى الحبس الأعلى حتى يتبين أمرهم فاما تدركهم الألطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا فى النادر فقتل فى هذه الحادثة اكثر من الف انسان امراء واجناد وكشاف ومماليك ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الأرض فوق بعضهم البعض لا يتميز الأمير عن غيره وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء والقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر فكانت هذه الكائنة من اشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها ولم ينج الألفية الا أحمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير فانه كان غائبًا بناحية بوش وامين بك تسلق من القلعة وهرب من ناحية الشام وعمر بك ايضًا الألفى كان مسافرًا فى ذلك اليوم إلى الفيوم فقتلوه هناك وبعثوا برأسه بعد خمسة ايام ومعها نحو الخمسة عشر رأسا وارسل دبوس اوغلى حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير.

وأما من قتل فى ذلك اليوم ممن له ذكر وبلغنى خبره فهم شاهين بك كبير الألفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلى بك هؤلاء من الألفية ومن غيرهم أحمد بك الكيلارجى ويوسف بك أبو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك بن إبراهيم بك تابعاه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجى ورستم بك الشرقاوى ومصطفى بك أيوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك إبراهيم وذو الفقار تابع جوجر وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين هرب هو ومصطفى بك الجداوى وأخر عند صالح بك السلحدار والتجؤا إليه وطمنهم وأرسل بخبرهم فحضر الأمر بقطع رؤوسهم فأحضر المشاعلى وقطع رؤوسهم فى مقعده وأرسلها.

وفى يوم الاثنين رابع عشره نزل الباشا إلى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ونقل الأحجار فى المراكب مستمر فاقام عند السد اربع ليال وذهب إلى

الإسكندرية عندما اتته الأخبار بوجود مراكب الإنكليز لأجل مشترى الغلال فذهب ليبيع عليهم الغلال التى جمعها فباع عليهم كل اردب بمائة قرش رومى عنها أربعة الآف فضة وأكثر واجتهد ببناء أسوار الإسكندرية وجدد بها أبراجًا وحصونًا وأرسل بطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك واقامته لتتميم اغراضه وامن مَشايخ عربان اولاد على المستولين على البحيرة وتحيل عليهم فلما حضروا اليه قبض عليهم وقرر عليهم اموالاً عظيمة ثم خلع عليهم وعوقهم وارسل العساكر فنهبت نجوعهم وسبوا نساءهم واولادهم ومواشيهم وأما كتخدا بك فإنه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه ونظموا كيفية أخرى وهى أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق إيراد أربع سنوات وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض فى دفعتين وبعد أن تقرر النصف الأول وتحصل منه ما تحصل وبقى الباقى مع النصف الآخر ويطلب من أربابه ولا بد لا مسامحة فى شىء منه ومن نكفل بما تقرر على حصته والزم نفسه بدفعه وكتب على نفسه وثيقة لأجل طولب به حتى قبل حلول الأجل لاحتياج المهمات فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون انفاسه ويكفلونه ما لا يطيق فلا يجد ملجا ولا خلاصًا الا باحد الشيئين اما الدفع باى وجه كان واما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ويصبح فقيرًا لا يملك شيئًا ان لم يكن له ايراد من جهة اخرى.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦ وفيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بانه ولد للسلطان مولودة انثى فعملوا لها شنكًا وهى مدافع تضرب من ابراج القلعة فى الأوقات الخمسة ثلاثة ايام.

وفيه فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس وأهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذى لم يكن عنده بغلة تلزم بالشراء او انه يدفع ثمنها كيسًا عشرون الف فضة.

وفيه انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل إلى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الأسواق والدكاكين فلا يوجد الا مع

المشقة وصنع الناس القهوة من انواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر العاقول وغيره مخلوطًا مع البن وبغير خلط.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦ فى عشرينه خرج الباشا إلى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهل طائفة من العسكر للسفر إلى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون الحمير والبغال والجمال وكل ما صادفوه من الدواب ومن وجدوه راكبًا ولو من وجهاء الناس انزلوه عن دابته وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم واخفوا حميرهم وبغالهم واقام الباشا ثلاثة ايام جهة البركة ثم ركب إلى السويس.

وفيه وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لأجل حمل العساكر واللوازم وإنحل سعر البن قليلاً.

فى ثانى عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وكسر السد فى صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس.

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨هـ وفى أوائله وردت أخبار من الجهة الرومية بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدى طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها نيفًا وأربعين سنة والله أعلم بصحة ذلك. وفيه عزل محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان أغا المعروف بالوردانى.

وفى خامس عشره وصل عثمان المضايفى صحبة المتسفرين معه إلى الريدانية اخر الليل واشيع ذلك فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من القلعة اعلامًا وسرورًا بوصوله اسيرًا وركب صالح بك السلحدار فى عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته واحضاره فلما واجه صالح بك نزع من عنقه الحديد واركبه هجينًا ودخل به إلى المدينة واماه الجاويشية والقواسة الاتراك وبايديهم العصى المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به إلى القلعة وادخله إلى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقى اعيانهم ونجيب افندى قبى كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متاخرًا عن السفر ينتظر قدوم المضايفى ليأخذه بصحبته إلى دار السلطنة فلما دخل عليهم اجلسوه معهم فحدثوه ساعة وهو يجيبهم من جنس

كلامهم باحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب وظاهر عليه اثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفا على مثل هذا اذا ذهب إلى اسلامبول يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم حصة ثم احضروا الطعام فواكلهم ثم اخذه كتخدا بك إلى منزله فاقام عنده مكرمًا ثلاثًا حتى تمم نجيب أفندى أشغاله فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق وانزلوه فى السفينة مع نجيب افندى ووضعوا فى عنقه الجنزير وأنحدروا طالبين الديار الرومية وذلك يوم الأثنين حادى عشرينه.

وفى أواخره وصلت أخبار بأن مسعود الوهابى أرسل قصادًا من طرفه إلى ناحية جدة فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم وأخذهم إلى أبيه فخاطبهم وسألهم عما جاؤوا فيه فقالوا الامير مسعود الوهابى يطلب الافراج عن المضايفى ويفتديه بمائة الف فرانسة وكذلك يريد إجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فانه سافر إلى الدولة واما الصلح فلا نأباه بشروط وهو ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من اول ابتداء الحرب إلى وقت تاريخه وان ياتى بكل ما اخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان ياتى بعد ذلك ويتلاقى معى واتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وأن أبى ذلك فنحن ذاهبون إليه فقالوا له أكتب له جوابًا فقال لا اكتب جوابًا لأنه لم يرسل معكم جوابًا ولا كتابًا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا إليه كذلك فلما اصبح الصباح وقت إنصرافهم أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحروب والرمى المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا عنه مرسلهم.

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨ وفى ليلة الاحد تاسع عشره وقعت كائنة لطيف باشا وذلك ان المذكور مملوك الباشا أهداه له عارف بك وهو عارف أفندى بن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات واختص به الباشا وأحبه ورقاه فى الخدم والمناصب إلى أن جعله إنختار أغاسى أى صاحب المفتاح وصار له حرمة زائدة وكلمة فى باب الباشا وشهرة فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة واتوا بمفاتيح زعموا انها مفاتيح المدينة كان

هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة وارسلوا صحبته مضيان الذى كان متامرًا بالمدينة ولما وصل إلى دار السلطنة ووصلت أخباره احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالاً زائدًا ونزلوا لملاقاته فى المراكب فى مسافة بعيدة ودخلوا إلى اسلامبول فى موكب جليل وأبهة عظيمة إلى الغاية وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانًا وكان يوم دخوله يومًا مشهودًا وقتلوا مضيان المذكور فى ذلك اليوم وعلقوه أعلى باب السراية وعملوا شنانك ومدافع وافراحًا وولائم وأنعم السلطان على لطيف المذكور واعطاه اطواخًا وارسل إليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ورجع إلى مصر فى أبهة زائدة وداخله الغرور وتعاظم فى نفسه ولم يحتفل الباشا بامره وكذلك أهل دولته لكونه من جنس المماليك وايضًا قد تاسست عداوتهم فى نفوسهم وكراهتهم له أشد من كراهتهم لابنائنا وخصوصًا كتخدا بك فانه اشد الناس عداوة وبغضًا فى جنس المماليك وطفق يلقى لمخدومه ما يغير خاطره عليه ومنها أنه يضم إليه أجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته ويغترون به بحيث ان الباشا فوض إليه الأمر أن ظهر منه شىء فى غيابه وسافر الباشا فى اثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة فى صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الايقاع به وهو فى غفلة وتيه لا يظن بهم سوا فطلب من الكتخدا الزيادة فى رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا انا لست صاحب الأمر وقد كان هنا ولم يزدك شيئًا فرأسله وكاتبه فإن أمر بشىء فأنا لا أخالف ماموررياته وتزايد هو والحاضرون فى الكلام والمفاقمة ففارقهم على غير حالة ونزل إلى داره وأرسل فى العشية إلى مماليك الباشا ليحضروا إليه فى الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة وأسر إليهم أن يصبحوا ما خف من متاعهم واسلحتهم فلما اصبحوا استعدوا كما اشار اليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم إلى الكتخدا فطلب كبيرهم وساله فأخبره ان لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال إن هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفى الحال احضر حسن باشا وأحمد أغا المسمى بونابارته الخازندار وصالح بك السلحدار وإبراهيم أغا أغات الباب ومحو بك وخلافهم ودبوس أوغلى وإسمعيل باشا بن

الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الايقاع به وأصبحوا يوم السبت مجتمعين وقد بلغه الخبر وآخذوا عليه الطرق وارسلوا يطلبونه للحضور فى مجلسهم فامتنع وقال ما المراد من حضورى فنزل اليه دبوس اوغلى وخدعه فلم يقبل فركب وعاد اليه ثانيًا يامره بالخروج من مصر إن لم يحضر مجلسهم فقال أما الحضور فلا يكون وأما الخروج فلا أخالف فيه بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا فإنى لا أمن أن يتبعونى ويقتلونى وخصوصًا وقد اوقفوا بجميع الطرق ففارقه دبوس اوغلى فتحير فى أمره وأمر بشد الخيول وأراد الركوب فلم يتسع له ذلك ولم يزل فى نقض وإبرام إلى الليل فشركوا الجهات وابواب المدينة ايضًا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وابوابها وفى تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ونحو بك فى نحو الألفين من العسكر واحتاطوا بداره فى سويقة العزى وقد أغلق داره فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين إلى أخر الليل فلما اعياهم ذلك هجموا على دور الناس التى حوله وتسلقوا عليه من الاسطحة ونزلوا إلى سطح داره وقتلوا من صادفوه من عسكره واتباعه واختفى هو فى مخباة اسفل الدار مع ستة اشخاص من الجوارى ومملوك واحد وعلم بمكانهم أغات الحريم فداروا فى الدار يفتشون عليه فلم يجدوه فنهبوا جميع ما فى الدار ولم يتركوا بها شيئًا وسبوا الحريم والجوارى والمماليك والعبيد وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ودور حواشيه وهم نيف وعشرون دارًا حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطة ودار على كتخدا صالح الفلاح هذا ما جرى بتلك الناحية وباقى نواحى المدينة لا يدورون بشىء من ذلك الا انهم لما طلع نهار يوم الاحد وخرج الناس إلى الاسواق والشوارع وجدوا العساكر مائجة وابواب البلد مغلقة وحولها العساكر مجتمعة ومنهم من يعدو ومعه شىء من المنهوبات فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها وظنوا ظنًا واستمر لطيف باشا بالمخباة إلى الليل واشتد به الخوف وتيقن ان العبد الطواشى سينم عليه ويعرفهم بمكانه فلما اظلم الليل وفرغوا من النهب والتفتيش وخلا المكان خرج من المخباة بمفرده ونط من الاسطحة حتى خلص إلى دار خازنداره وصحبته كبير عسكره واخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا

الاجناد المصرية وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين والكتخدا وأهل دولته يدابون في الفحص والتفتيش عليه ويتهمون كثيرًا من الناس بمعرفة مكانه ومحمود بك داره بالقرب من داره اوقف اشخاصًا من عسكره على الاسطحة ليلاً ونهارًا لرصده وكان المذكور له اعتقادًا في شخص يسمى حسن افندى الليلبي ولبلب لفظ تركى علم على الحمص المجوهر اى المقلى ومن شان حسن افندى هذا انه رجل درويش يدخل بيوت الاعيان والاكابر من الناس الأتراك وغيرهم وفي جيوبه من ذلك الحمص فيفرق على أهل المجلس منه ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ويعرف باللغة التركية ويجانس الفريقين فمن اعطاه شيئًا اخذه ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئًا وبعضهم يقول له أنظر ضميرى أو فالى فيعد على سبحته أزواجًا وافرادًا ثم يقول ضميرك كذا وكذا فيضحكون منه فوشى بحسن أفندى هذا إلى كتخدا بك وباقى الجماعة بأنه كان يقول لطيف باشا انه سيلى سيادة مصر واحكامها ويقول له هذا وقت انتهاز الفرصة في غيبة الباشا ونحو ذلك وجسموا الدعوى وانه كان يعتقد صحة كلامه ويزوره في داره ورتب له ترتيبًا واشاعوا إنه أراد أن يضم إليه أجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ويغتال الكتخدا بك وحسن باشا وأمثالهما على حين غفلة ويتملك القلعة والبلد وان الليلبي يغريه على ذلك وكل وقت يقول له جار وقته ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله اعلم بصحته فأرسل كتخدا بك إلى الليلبي فحضر بين يديه في يوم الاثنين فساله عنه فقال لا أدرى فقال إنظر في حسابك هل نجده أم لا فأمسك سبحته وعدها كعادته وقال إنكم تجدونه وتقتلونه ثم أن الكتخدا أشار إلى أعوانه فأخذوه ونزلوا به واركبوه على حماره وذهبوا به إلى بولاق فأنزلوه في مركب وانحدروا به إلى شلقان وشلحوه من ثيابه وأغرقوه في البحر.

وكانت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف واستهل المحرم بيوم الإثنين ووالى مصر وحاكمها الوزير محمد على باشا وهو المتصرف فيها قبليها وبحريها بل والأقطار الحجازية وضواحيها وبيده أزمة الثغور الإسلامية ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره والمتصدر في

ديون الأحكام الكلية والجزئية وفصل الخصومات ومباشرة الأحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة وآغات الباب إبراهيم آغا ومتولى أيضًا آمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ويخفى أمره فيشدد الفحص فى المكيل والموزون والمزروع حتى يستخرج المخبأ ولو قليلاً فيجتمع من القليل الكثير من الأموال فيحاسب المتولى مدة ولايته فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه لأن ذلك شىء قد استهلك فى عدة أيدى أشخاص واتباع ويلزم الكبير بأدائه ويقاسى ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمة ومكابدة الأهوال وسلحدار الباشا سليمان أغا عوضًا عن صالح بك السلحدار لاستعفائه عنها فى العام السابق وهو السلط على أخذ الأماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعًا وحوانيت فيأتى إلى الجهة التى يختار البناء فيها ويشرع فى هدمها ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها كما هى فى حججهم القديمة وهو شىء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات فى هذا الوقت لعموم التخرب وكثرة العالم وغلاء المؤن وضيق المساكن بأهلها حتى أن المكان الذى كان يؤجر بالقليل صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ونحو ذلك ومحمود بك الخازندار وخدمته قبض أموال البلاد والأطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى وديوانه بخط سويقة اللالا والمعلم غالى كاتب سر الباشا ورئيس الأقباط وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية والروزنامجى مصطفى أفندى وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان والزعيم على أغا الشعراوى ومصطفى أغا كرد المحتسب وقد بردت همته عما كان عليه ورجع الحال فى قلة الأدهان كالأول وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئًا إلا بشق الأنفس وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شىء منه من الفلاحين الداخلين إلى المدينة من القرى فيأخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين وأما المعاملة فلم يزل أمرها فى اضطراب بالزيادة والنقص وتكرار المناداة كل قليل وصرف الريال الفرانسة إلى أربعمائة نصف فضة والمحبوب إلى أربعمائة وثمانين والبندقى إلى تسعمائة نصف والمجر إلى ثمانمائة نصف وأما هذه الأنصاف العددية التى تذكر فهى أسماء لا وجود لمسمياتها فى الأيدى.

وفى ثانى عشره سافر الباشا إلى جهة الإسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات.وفى تاسع عشره ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة إلى الحجاز.

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٢ فى ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربة.

وفى يوم الجمعة سابع عشره وصل جاويش الحاج وفى ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من إبراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية وقبض على أميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن فى السن. واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣ فيه وصل قابجى من دار السلطنة فعملوا له موكبًا وطلع إلى القلعة وضربوا له شنكًا سبعة أيام وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة.

وفى هذا الشهر انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفًا إذا وجد.

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٣ ووافقه أيضًا أول أمشير القبطى.

وفى منتصفه سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعوها على الناس جزافًا من غير وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم فذهب الكثير للشراء منهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ولو وقف عليهم بالثمن الزائد. وفى أواخره حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء وأن عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هاربًا إلى الدرعية ليلاً وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه. وفى يوم السبت حادى عشرينه حضر الباشا من غيبته بالإسكندرية أواخر النهار فضربوا لقدومه مدافع فبات بقصر

شبرا وطلع فى صبحها إلى القلعة فضربوا بها مدافع أيضًا فكانت مدة غيبته بالإسكندرية أربعة أشهر وتسعة أيام.

وفى أواخره وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن إبراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ولم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة فضربوا شنكًا ومدافع.

وفيه وصل هجان من حسن باشا الذى بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز وأنه حاصر من تلك النواحى من العساكر وقتلهم ولم ينج منهم إلا القليل وهو من فر على جوائد الخيل.

ووقع فيه أيضًا الاهتمام فى تجريد عساكر للسفر وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى هو وخلافه وحصل الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر فقرئ يومين وفرق على مجاورى الأزهر عشرة أكياس وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٣ فى منتصفه ليلة الثلاثاء حصل خسوف للقمر فى سادس ساعة من الليل وكان المنخسف منه مقدار النصف وحصل الأمر أيضًا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر.

وفيه ورد الخبر بموت الشريف حمود وأنه أصيب بجراحة مات بها وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه حصل كسوف للشمس فى ثالث ساعة من النهار وكان وفى ذلك اليوم ضربت مدافع لوصول بشارة من إبراهيم باشا بأنه ملك جانبًا من الدرعية وأن الوهابية محصورون وهو ومن معه من العربان محيطون بهم.

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣ وفيه حضر خليل باشا وحسين بك دالى باشا من الجهة البحرية ونزلوا بدورهم.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ فى منتصفه وصل نجاب وأخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحى الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضى على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة وأحرقوا الجبخانه فعند ذلك قوى الاهتمام وارتحل جملة من العساكر

فى دفعات ثلاث برًا وبحرًا يتلو بعضهم بعضًا فى شعبان ورمضان وبرز عرضى خليل باشا إلى خارج باب النصر وترددوا فى الخروج والدخول واستباحوا القطر فى رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق. وكان هلاله عسر الرؤية جدًا فحضر جماعة من الأتراك إلى المحكمة وشهدوا برؤيته.

وفى سادسه يوم السبت خرج خليل باشا المعين إلى السفر فى موكب وشق من وسط المدينة وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح ورجع إلى داره فى قلة من أتباعه فى طريقه التى خرج منها.

وفيه انتدب مصطفى أغا المحتسب ونادى فى المدينة ويأمر الناس بقطع أراضى الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات الغير النافذة فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم فى قطع الأرض والحفر ونقل الأتربة وحملها من خوفهم من أذيته ولعدم الفعلة والأجراء واشتغال حمير الترابين باستعمالهم فى عمائر أهل الدولة فلو كان الاهتمام فى قطع أرض الخليج الذى يجرى به الماء فإنه لم تقطع أرضه وينقطع جريانه فى أيام قليلة لعلو أرضه من الطمى وبما يتهدم عليه من الدور القديمة وما يلقيه على ذلك بهذه الفعلة إلقاء ما يحفرونه وينقلونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة منه فيه ليلاً ونهارًا. وفى ثامنه ارتحل خليل باشا مسافرًا إلى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر. وفى يوم السبت ثالث عشره نزلوا بكسوة الكعبة إلى المشهد الحسينى على العادة.

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه عمل الموكب لأمير الحاج وهو حسين بك دالى باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمائل ثم انتقل فى يوم الأربعاء إلى البركة وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ومن باقى الأجناس مثل المغاربة والقرمان والأتراك أنفار قليلة. وفى ذلك اليوم وصل قبجى وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة وطلع إلى القلعة فى موكب وقرئ التقرير بحضرة الجمع وضربت

مدافع كثيرة وكذلك وصل قابجى صحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة وذلك فى منتصفه.

وفى ثانى عشره وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع وذلك قبل العصر فأكثروا من ضربْ المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر إلى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع وصادف ذلك شنك أيام العيد وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانه ببولاق من النجارين والخراطين والحدادين وتقيد لذلك أمين أفندى المعمار وشرعوا فى العمل وحضر كشاف النواحى والأقاليم بعساكرهم وأخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه ونودى بالزينة وأولها الأربعاء فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر وأظهروا الفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد فى تحصيل أسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فإنه شح وجوده ولا يوجد منه إلا القليل عندَ بعض الزياتين ولا يبيع الزيات زيادة عن الأوقية وكذلك اللحم لا يوجد منه إلا ما كان فى غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل وامتنع أيضًا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق ولما أنهى الأمر إلى من لهم ولاية الأمر فأخرجوا من شون الباشا مقدارًا ليباع فى الرقع وقد أكلها السوس ولا يباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوس وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل أطلقوا للزياتين مقدار من الشيرج فى كل يوم يباع فى الناس لوقود الزينة وفى كل يوم يطوف المنادى ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة وعدم غلق الحوانيت ليلاً ونهارًا وانقضى العام بحوادثه ومعظمها مستمر. فمنها وهو أعظمها شدة الأذية والضيق خصوصًا بذوى البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الأحباسية وضبط الأنوال التى تقدم ذكرها وكان يتعيش منها ألوف من

العالم ولما اشتد الضنك بالملتزمين وتكرر عرضحالهم فأمر لهم بصرف الثلث وتحول المصرفجى على بعض الجهات فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين وانقضى العام وأكثر الناس لم يحصل على شيء وذلك لكثرة المصاريف والإرساليات من الذخائر والغلال والمؤن وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقى والمحبوب الإسلامى بالأحمال وهى الأصناف الرائجة بتلك النواحى وأما القروش فلا رواج لها إلا بمصر وضواحيها فقط أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة فى مرة من المرات خمسة وأربعين ألف فرانسه وذلك من الينبع إلى المدينة حسابًا عن أجرة كل بعير ستة فرانسه يدفع نصفها أمير الينبع والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك ثم من المدينة إلى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسه وهو شيء مستمر التكرر والبعوث ويحتاج إلى كنوز قارون وهامان وإكسير جابر بن حيان.

وفى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٥هـ ، توجه إبراهيم باشا إلى أبيه بالإسكندرية فأقام هناك أيامًا وعاد فى آخر الشهر فأقام بمصر أيامًا قليلة وسافر إلى ناحية قبلى ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفول والعدس لثلاثة أصناف وأخذوا كل سفينة غصبًا وساقوا الجميع إلى قبلى لحمل الغلال وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الإفرنج والروم بالأثمان الغالية وإنقضت السنة.

ومنها أن حسن باشا سافر إلى الجهة القبلية وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضى الصعيد والفحص وفحر الأراضى والكهوف والبرابى واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى وقطع الصخور بالبارود وأشاعوا أنه ظهر لهم شيء مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد وبه بعض بريق ذكروا أنه معدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب وأخبرنى بعض من أثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد فى الوزن على رطلين وذهب بها عند رجل صائغ فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار فخرج منها فى آخر الأمر وهو ينقلها من بوط إلى آخر

بعد كسره قطعة مثل الرصاص قدر الأوقية وذكروا أيضًا أن بالجبل أحجارًا سوداء مثل الفحم وذلك أنهم آتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج وأوقدها بالضريخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت ولا تصير رمادًا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج إلى نقلها إلى الكيمان وقالوا أن بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها فأقام نحو ثلاثة أشهر وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط وليس هو وأتوا بشيء منه إلى مصر وأوقدوا منه فى السرج فملؤا منه سبعة مصافى وانقطع وأشيع فى الناس قبل تحقق صورته بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا ينقطع جريانها يكفى مصر وأقطاعها بل والدنيا أيضًا وأخبرنى بعض أتباعهم أن الذى صرف فى هذه المرة نحو الألفى كيس.

ومنها أمر المعاملة وما يقع فيها من التخطيط والزيادة حتى بلغ صرف الريال الفرانسة اثنى عشر قرشًا عنها أربعمائة وثمانون نصفًا والبندقجى ألف فضة وكذلك المجر والفندقلى الإسلامى سبعة عشر قرشًا والقرش الإسلامبولى بمعنى المضروب هناك المنقول إلى مصر يصرف بقرشين وربع يزيد عن المصرى ستين نصفًا وكذلك الفندقلى الإسلامبولى يصرف فى بلدته بأحد عشر قرشًا وبمصر بسبعة عشر كما تقدم فتكون زيادته ستة قروش وكذلك الفرانسة فى بلادها تصرف بأربعة قروش وبإسلامبول بسبعة وبمصر باثنى عشر وأما الأنصاف العددية التى تذكر فى المصارفات فلا وجود لها أصلاً إلا فى النادر جدًا واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان فى جميع المبيعات والمشتروات وصار البشلك الذى يقال له الخمساوية أى صرفة خمسة أنصاف هى بدل النصف لأنه لما بطل ضرب القروش بضريخانة مصر وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذى هو البشلك ولم يبق بالقطر إلا ما كان موجودًا قبل وهو كثير يتناقل بأيدى الناس وأهل القرى ويعود إلى الخزينة ويصرف فى المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ويصرف القرش عند الاحتياج إلى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن

فباعتبار كونها فى مقام النصف يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير وباعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة لأن الخمسة وعشرين قرشًا التى هى بدل الألف إذا نقصت فى المصارفة الثمن تكون إحدى وعشرين وإذا ضربنا السبعة فى الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير وأوزان هذه القطع مختلفة لا تجد قطعة وزن نظيرتها وفى ذلك فرط آخر والقليل فى الكثير كثير والذى أدركناه فى الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة وأول من أحدثها بمصر على بك القازدغلى بعد الثمانين ومائة وألف عندما استفحل أمره وأكثر من العساكر والنفقات وأظهر العصيان على الدولة ولما استولى محمد بك المعروف بأبى الذهب أبطلها رأسا من الإقليم وخسر الناس بسبب إبطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بإبطالها ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب ولم يبق من أصناف المعاملة إلا أنواع الذهب الإسلامى والإفرنجى والفرانسة ونصفه وربعه والفضة الصغيرة التى يقال لها نصف فضة مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التى يقال لها الجدد إما عشرة أو اثنا عشرة إذا كانت مضروبة ومختومة أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ويقال لها السحاتة فكان غالب المحترات يقضى بهذه الجدد بل وخلاف المحقرات وفى البيع والشراء وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة فى المخالى ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ويربحون فيها فكان الفقير أو الآجير إذا اكتسب نصفًا وصرفه بهذه الجدد كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ويشترى منها خبزًا وأدمًا وإذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة فى التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية وإذا وجدت فلا ينتفع بها أصلاً وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضًا وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد وهذه بخمسة فقط فإذا أخذ الشخص شيئًا من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين لم يجد عند البائع

بقية الخمساوية فإما يترك الباقى لوقت احتياج آخر إن كان يعرفه وإلا تعطلا وإذا كان الإنسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدًا أو يملأ صاحب الحانوت إبريقه بجديد وفى هذه الأيام إذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به وإلا بقى عطشان حتى يشرب من داره ولا يهون عليه أن يدفع ثمن قربة فى شربة ماء وذلك لعدم وجود النصف وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم وقد كان الناس من أرباب البيوت إذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف يسألون الخادم فى اليوم الثانى عنه لكونه نصف المصروف ويحاسبونه عليه وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم إذا ادخر الغلة والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك يكفيه فى مصرف يومه العشرة أنصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد لغلو الأسعار فى كل شىء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الأصناف ولا يخفى أن أسباب الخراب التى نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت فى هذه السنين وهى زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضًا والمكوس وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس فلا تجد مرزوقًا إلا من كان فى خدمة الدولة متوليًا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرًا أو كاتبًا أو صانعًا فى الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة استيلائه فيجتمع عليه جملة من الأكياس فيلزم بدفعها وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تأخر عليه فأما يهرب إن أمكنه الهرب وإما يبقى فى الحبس هذا إن كان من أبناء العرب وأهالى البلدة وأما إن كان بخلاف ذلك فربما سومح أو تصدى له من يخفف عنه أو يدخله فى منصب أو شركة فيترفع حاله ويرجع أحسن حالاً ما كان.

ومما حدث أيضًا فى هذه السنة الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب التلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس وذلك بإغراء بعض صناعهم وتحاسدهم وإن مكسبها يزيد على ألف كيس فى السنة لأن غالب الحوادث بإغراء الناس على بعضهم البعض وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود

وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمر هندى والشتم وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك.

ومنها الحجر على عسل النحل وشمعه فيضبط جميعه للدولة ويباع رطل الشمع بستة قروش ولا يوجد إلا ما كان مختلسًا ويباع خفية وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش فإذا وردت مراكب إلى السحل نزل إليها المفتشون على الأشياء ومن جملتها الشمع فيأخذون ما يجدونه ويحسب لهم بأبخس ثمن فإن أخفى شىء وعثر عليه أخذوه بلا ثمن ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك وسموه حراميًا ليرتدع غيره والمتولى على ذلك نصارى وأعوانهم لا دين لهم وقد هاف النحل فى هذه السنة وامتنع وجود العسل وكذلك ثمر النخيل بل والغلال فلم تزك فى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت منها الأراضى بل وتعطل بسببها الزرع وزادت أثمانها وخصوصًا الفول وأما العدس فلا يوجد أيضًا إلا نادرًا.

وكذلك التزم بالملاحة وتوابعها من زاد فى مالها وبلغ ثمن الكيلة قرشًا وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفًا وفيما أدركنا بثلاثة أنصاف وأما أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف بالقرش وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لا تنقضى أبدًا ونقل الأتربة إلى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس إلى غروبها حتى ستر علوها الأفق من كل ناحية وإذا بنى أحدهم دارًا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير ويأخذ ما حولها من دور الناس بدون القيمة ليوسع بها داره ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجمعيته وأخرى لعسكره وهكذا.

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمصيبة الكبرى فإنه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ونقل أحجارها إلى داخل باب البرقية بالغريب وكذلك ما كان جهة باب النصر وجمعوا أحجارها خارج باب النصر وأنشأ جهة خان الخليلى وكالة وجعل بها حواصل وطباقًا وأسكنها نصارى الأروامهوالأرمن بأجرة زائدة أضعاف الأجر المعتادة وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى وفتح لها بابًا يخرج منه إلى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين لأنها

بظاهرها وأجر الحوانيت كانت بأجرة زائدة فأجر الحانوت بثلاثين قرشًا فى الشهر وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفًا فى الشهر والعجب فى إقدام الناس على ذلك وإسراعهم فى تآجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال ولكنهم أيضًا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانًا متسعًا يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء كان محطًا لعربان الطور ونحوهم إذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره وكذلك أهالى شرقية بلبيس فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق وسكن غالبها أيضًا الأرمن وخلافهم بالأجر الزائدة ثم انتقل إلى جهة خان الخليلى فأخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت والجامع المجاور الذى تصلى فيه الجمعة بالخطبة فهدم ذلك جميعه وأنشأ خانًا كبيرًا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتًا أجرة كل حانوت ثلاثون قرشًا فى كل شهر وأنشأ فوق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة يصعد إليها بدرج عوضًا عن الجامع ثم انتقل إلى جهة الخرنفش بخط الأمشاطية فأخذ أماكن ودورًا وهدمها وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدًا من الإجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه إن شاء عشر الثمن أو أقل أو أزيد بقليل وذلك لشفاعة أو واسطة خير وإذا قيل له أنه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخريبه أمر بتخريبه ليلاً ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابًا فيقضى له وكان يثقل عليه لفظة وقف ويقول إيش يعنى وقف وإذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله لا يدفعه ولا يلتفت لتلك اللفظة ويتمم عمائره فى أسرع وقت لعسفه وقوة مراسه على أرباب الأشغال والموانة ولا يطلق للفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام إلى باكر النهار ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ويبتدؤن العمل من وقت صلاة الشافعى إلى قبيل الغروب حتى فى شدة الحر فى رمضان وإذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العمارة بالشرب وأحضر لهم السقاء ليسقهم وظن أكثر الناس أن هذه العمائر إنما هى لمخدومه لأنه لا يسمع لشكوى أحد فيه واشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة وضاقت بأهلها لشمول الخراب وكثرة

الأغراب وخصوصًا المخالفين للملة فهم الآن أعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم وبأيديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ويتسرون بالجوارى بيضًا وحبوشًا ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأغلى الأثمان ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ومنهم من عمر له دارًا وصرف عليها ألوفًا من الأكياس وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطه على جميع دورها وأخذها من أربابها بأى وجه وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع إلى إذلال المسلمين لأنهم يحتاجون إلى كتبة وخدم وأعوان والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير إنكار ويقف الشريف والعامى بين يدى الكافر ذليلاً فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف وأبدل لفظ الريال الذى كان يذكر فى قيم الأشياء بالكيس وكذلك الأجر والأمر فى كل شىء فى الازدياد والله لطيف بالعباد ولو أردنا استيفاء بعض الكليات فضلاً عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال وعشنا ومتنا ما نرى غير ما نرى تشابهت العجما وزاد انعجامها نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين.

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ وفى أوائله حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ما طاف الفيوم أيضًا وأحضر معه جملة أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان وهم فى الجنازير الحديد وشقوا بهم البلد ثم حبسوهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ وفى أوائله حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية البواقى فى حالة رثة وضعف وضيم واحتياج واجتياح وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا إلى ذلك.

وفيه أشهروا العربان الذين أحضرهم إبراهيم باشا معه وقتلوهم وهم أربعة اثنان بالرميلة واثنان بباب زويلة.

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٦ وفيه أخرج الباشا عبد الله بك الدرندلى منفيًا وكان عبد الله بك هذا يسكن بخطة الخرنفش وهو رجل فيه

سكون قليل الأذى وملك بتلك الناحية دورًا وأماكن وله عزوة وعساكر وأتباع وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه فى الكلام والمسامرة وسبب تغير خاطر الباشا عليه أنه جرى ذكر على باشا تبدلان الأرنؤدى وحروبه ومخالفة العساكر عليه فقال عبد الله المذكور أن العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلامًا هذا معناه فتغير وجه الباشا من ذلك القول ويقال إنه أمر بقتله فشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وأن يخرج منفيًا هكذا أشيع واستفيض وانضم إلى ذلك أنه قال لشريف بك أمين الخزنة عند تأخر علوفته خدمة نصرانى أحسن من خدمتكم مع المشاجرة فبلغها شريف بك للباشا أيضًا وأوغر صدره عليه ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك ووصله على عدة جمال محملة بالدراهم وسافر فى ثامنه على طريق البر وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر.

وفى ستة عشره أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر فاجتمعوا فى يوم الاثنين سابع عشره وقرأوا فى الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة أيام آخرها الخميس وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم وكذلك على مجاورى الأزهر فى نظير قراءة البخارى.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٦ فيه حضر إبراهيم باشا ونزل بقصره الجديد بل قصوره لأنه أنشأ عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متسعة مزخرفة منها قصر لديوانه وقصر لحريمه وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ فيه عزم إبراهيم باشا على إعادة قياس أراضى قرى مصر وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصًا.

وفى يوم السبت خامسه عدى إلى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسى الإفرنج وقاس كل قياسته وكيفية عمله فعاند المعلم غالى وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط وقال كل منهم على الصحيح

وعلم إبراهيم باشا أن قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ولكن فيها بطء فقال أريد الصحيح ولكن مع السرعة بعد أن عمل امتحانًا ومثالاً فى قطعة من الأرض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل إلى آخر النهار ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرد الآخرين وسافر فى رابع عشره إلى ناحية شرق اطفيح وأخذ من المهندسخانه كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصًا وكذلك أشخاصًا من الإفرنج المهندسين وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة.

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ فيه سافر مماليك الباشا إلى جهة أسيوط مثل العام المضى ليكرتنوا هناك حذرًا وخوفًا عليهم من حدوث الطاعون بمصر.

وفى سابع عشره ارتحل محمد بك الدفتردار مسافرًا إلى دار فور ببلاد السودان بعد أن تقدمه طوائف كثيرة عساكر أتراك ومغاربة.

وفى خامس عشرينه أمر الباشا بنفى محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذى هو الآن كتخدا بك والسيد أحمد الرشيدى كاتب المرزق وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود ثلاثتهم إلى قلعة أبى قير لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم ومحمد كتخدا كان ناظرًا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور.

وفى أواخره حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم أحمد بك الألفى وهو زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير.

فى ثامنه يوم الجمعة عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر وكان قد تخرب ولم يبق به إلا الجدران فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور وسقفه أيضًا بأفلاق النخيل والجريد والبوص وأقام له عمدًا من الحجارة وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم واجتمع به عالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسًا وأملى فيه حديث من بنى لله مسجدًا وبعد

انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسى وعمل لهم شربات سكر. وفى يوم السبت ثالث عشرينه حضر إبراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح. وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه سافر بمن معه إلى ناحية شرقية بلبيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد ١٢٣٦ وعملت الرؤية فى تلك الليلة كالعادة وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضى أربع ساعات من الليل ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالى الأثمان وتعاليها بسوء فعل السوقة وإظهار ردىء المأكولات وإخفاء جيدها وقد انقضى بخير.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ فى ثالثه حضرت هجانة من أراضى نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وذلك أنهم لما رجعوا إلى الدرعية بعد رحيل إبراهيم باشا وعساكره وكان معهم مشارى بن مسعود وقد كانوا هربوا فى الدرعية بعدما رحل عنها إبراهيم باشا وتركى ابن عبد الله ابن أخى عبد العزيز وولد عم مسعود الأمشارى فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد مسعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر فى الحمراء وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر وذهب إلى الدرعية واجتمع عليه من فرحين قدمت العساكر وأخذوا فى تعميرها ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشارى ودعا الناس إلى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك فأوثقوا مشارى وأرسلوه إلى مصر فمات فى الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم فخرجوا له إلا تركى فإنه خرج من القلعة ليلاً وهرب وأما حسين بك فإنه قيد الجماعة وأرسلهم إلى مصر فى الشهر المذكور وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفى قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت.

فيه حضر إبراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة.

وفى منتصفه سافر الباشا إلى الإسكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من إسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضًا من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحًا عن آخرهم ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحى وانقطعت السبل فنزل الباشا إلى الإسكندرية وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية وبعد سفر الباشا سافر أيضًا إبراهيم باشا إلى ناحية قبلى قاصدًا بلاد النوبة.

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦ فيه خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساهم وفيهم محو بك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجية وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان. محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية إلى أسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين. وفيه وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء إسمعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعة. وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث وانقضى بعضها والبعض باق إلى الآن.

فمنها توقف زيادة النيل وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفاء إلى ثامن عشر مسرى القبطى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون.

ومنها أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى ألفًا ومائتى نصف والمجر والفندقلى عشرين قرشًا عنها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسة أربعة عشر قرشًا عنها خمسمائة نصف وستون نصفًا وقس على ذلك باقى الأصناف.

ومنها غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب إلى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن إلى خمسين نصفًا وإلى ستين نصفًا وقس على ذلك.

■ حوادث أهل الذمة عند الجبرتى:

وفى ثالث عشر رمضان من سنة ثمان ومائة وألف قتل يأسف اليهودى قامت العساكر على ياسف اليهودى. قتلوه وجروه من رجله وطرحوه فى الرميلة و قامت الرعايا فجمعوا حطبًا وأحرقوه وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة. وسبب ذلك أنه كان ملتزمًا بدار الضرب فى دولة على باشا المنفصل ثم طلب إلى اسلامبول وسئل عن أحوال مصر فأملى أمورًا والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد وحسن بمكره أحداث محدثات ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق واطلعوه إلى الديوان وقرأت الأوامر التى حضر بها ووافقه الباشا على أجرائها وتنفيذها.

وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر فاغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد إلى الأمراء وراجعوهم فى ذلك فركب الأمراء والصناجق وطلعوا إلى القلعة وفاوضوا الباشا فجادلهم بما لا يرضيهم فقاموا عليه قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع من تسليمه فاغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه فأمرهم بوضعه فى العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا فى أمره ففعلوا به كما أمرهم فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور ليقتلوه فامتنع فمضوا إلى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر. وفيه أيضا نودى على طائفة النصارى بان لا يركبوا الدواب ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجوارى والعبيد ومن كان عنده شىء من ذلك باعه أو اعتقه وأن يلزموا زيهم الأصلى من شد وفيه أرسل حسن باشا إلى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم إبراهيم الجوهرى على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح.

وفى يوم الخميس نودى على طائفة النصارى بالأمان وعدم التعرض لهم بالإيذاء وسببه تسلط العامة والصغار عليهم. وفى يوم الأربعاء نودى على النصارى واليهود بأن يغيروا اسماءهم التى على اسماء الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحق وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجوارى والعبيد وإن لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك فى دورهم واماكنهم فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو وأذنوا لهم فى آن يبيعوا ما عندهم من الجوارى والعبيد ويقبضوا أثمانهم لانفسهم ولايستخدموا المسلمين فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين. وفيه حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة.

وفى يوم الخميس أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم إسماعيل كتخدا إلى عرب البحيرة لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الخلف بينهم وبين قبيلتهم ثم حضروا مع أخصامهم بين يدى القبطان واصطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضر الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم إسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر فى المراكب فهربوا ورجع إسماعيل كتخدا ومن معه على الفور.

وفى يوم الجمعة غاية شوال وصلت العساكر البرية صحبة عابدى باشا ودرويش باشا إلى بركة الحج وكان أمير الحاج مقيمًا بالحجاج بالعادلية ولم يذهبوا إلى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء.

وفى يوم السبت غرة القعدة ارتحل الحجاج من العادلية وحضر عابدى باشا ودرويش باشا إلى العادلية وخرج حسن باشا إلى ملاقاتهم ودخلت طوائف عساكرهما إلى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشكال منكرة وراكبون خيولاً واكاديش كامثال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها دماغه والطربوش مقلوب على قفاء مثل حزمة البراطيش وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليها وصورهم بشعة وعقائدهم مختلفة واشكالهم شتى واجناسهم متفرقة ما بين اكراد ولاوند ودروز وشوام.

ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد وإذا اشتروا شيئًا آخذوه بالمصلحة فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة.

وفى يوم الأحد ركب عابدى باشا ودرويش باشا وذهبوا إلى البساتين من خارج البلد فمروا بالصحراء وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره.

وفيه نودى على النصارى بإحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاريخه ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى واستخرجوا ما فيها فكان شيئًا كثيرًا واحضروهم إلى القبطان فاخرجوهم إلى المزاد وباعوهم واشترى غالبهم العسكر وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرابحة فاذا اراد انسان ان يشترى جارية ذهب إلى بيت الباشا وطلب مطلوبه فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحريم فاذا اعجبته جارية او اكثر حضر صاحبها الذى اشتراها فيخبره برأس ماله ويقوله له: وانا اخذ مكسى كذا فلا يزيد ولا ينقص فان اعجبه الثمن دفعه وإلا تركها وذهب. ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلالين والنخاسين القدم والجدد واستدلوا منهم على المبيوعات.

وفيه أحضر القبطان المهندسين ليستخبر منهم عن الخبايا والدفائن التى صنعوها فى البيوت وفى يوم الاثنين أمر القبطان الأمراء والصناجق والوجاقلية ان يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا فذهب الصناجق اولاً بسائر اتباعهم وطوائفهم وتلاهم الوجاقلية فسلموا ورجعوا من البساتين وكلاهما فى جمع كثير.

وفى يوم الثلاثاء رابعه حضر عابدى باشا عند القبطان وسلم عليه ثم طلع إلى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ثم نزل وخرج إلى مخيمه بالبساتين.

وفيه قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون الف ريال.

وفيه أمر ايضًا باحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهم وان يكتب جميع ذلك فى قوائم ويقرر عليها اجرة مثلها فى العام وان يكشف فى السجل على ما هو جار فى املاكهم.

ثم قرر عليهم ايضًا خمسمائة كيس فوزعوها على افرادهم فحصل لفقرائهم الضرر الزائد وقيل انهم حسبوا لهم الجوارى الماخوذة منهم من اصل ذلك على كل رأس اربعون ريالاً.

وقرر ايضًا على كل شخص دينارًا جزية العال كالدون وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة.

وفى يوم الخميس عمل محمد باشا ديوانًا وخلع على مصطفى أغا تابع حسن أغا تابع عثمان وكيل دار السعادة سابقًا وقلده وكيل دار السعادة كاستاذ استاذه وكانت شاغرة من ايام على بك.

وفيه ايضًا سمحوا فى جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية كما كان قديمًا وكان ذلك مرفوعًا عنهم من ايام ظهور على بك. وفيه انتقل عابدى باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين إلى قصر العينى بشاطئ النيل وجلسوا هناك. وفيه دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التى كان اقترضها من التجار فدفع ما للافرنج وجانبًا لتجار المغاربة ووعدهم بغلاق الباقى. وفيه قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى واستخلص منه صندوقًا من ودائع النصارى.

وفيه ايضًا قبض على شخص من الاجناد من بيته بخشقدم واخرجوا من داره زلعتين مسدودتين كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالالة لا يعلم ما فيها.

وفى شهر شوال سنة ١١٦٦هـ قصد نصارى القبط الحج إلى بيت المقدس وفى هذا التاريخ آحضر بطرك الأروام مرسومًا سلطانيًا بمنع طائفة النصارى الشوام من دخولهم كنائس الأفرنج وإن دخلوا فإنهم يدفعون للدولة ألف كيس فأرسل إبراهيم كتخدا فأخذ أربعة قسوس من دير الأفرنج وحبسهم وأخذ منهم مبلغًا عظيمًا من المال.

واستمر نصارة الشوام يدخلون كنائس الأفرانج ولعلها من تحيلات إبراهيم كتخـدا، ومن الحوادث أيضًا فى نحو هذا التاريخ أن نصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس وكان كبيرهم إذ ذلك نوروز كاتب رضوان كتخدا فكلم

الشيخ عبد الله الشبراوى فى ذلك وقدم له هدية وألف دينار فكتب له فتوى وجوابا ملخصه ان أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم. فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا فى قضاء أشغالهم وتشهيل أغراضهم وخرجوا فى هيئة وابهة وأحمال ومواهى وتختروانات فيها نساؤهم واولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عرضيًا عند قبة العزب واحضروا العربان ليسيروا فى خفارتهم واعطوهم اموالاً وخلعًا وكساوى وانعامات. وشاع امر هذه القضية فى البلد واستنكرها الناس فحضر الشيخ عبد الله الشبراوى إلى بيت الشيخ البكرى كعادته وكان على افندى اخو سيدى بكرى متمرضًا فدخل إليه بعوده فقال له_:_ أى شىء هذا الحال يا شيخ الإسلام على سبيل التبكيت كيف ترضى وتفتى النصارة وتاذن لهم بهذه الافعال لكونهم رشوك وهادوك. فقال: لم يكن ذلك. قال: بل رشوك بالف دينار وهدية وعلى هذا تصير لهم سنة ويخرجون فى العام القابل بأزيد من ذلك ويصنعون لهم محملاً ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سنة عليك وزرها إلى يوم القيامة.فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظًا واذن للعامة فى الخروج عليهم ونهب ما معهم وخرج كذلك معهم طائفة من مجاورى الأزهر فاجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصى والمساوق ونهبوا ما معهم وجرسوهم ونهبوا ايضًا الكنيسة القريبة من دمرداش وانعكس ولاية مصطفى باشا وعزله وولاية على باشا اوغلى الثانية وحضر مصطفى باشا وطلع إلى القلعة ثالث عشر ربيع الاول ١١٦٧ واستمر واليًا على مصر إلى أن ورد الخبر بعزله فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١١٦٩ وولاية حضرة الوزير المكرم على باشا حكيم أوغلى وهى ولايته الثانية.

وفى يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من عام ١١٧٤ هـ هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غريبة وغرق منها بالإسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبًا فى مرسى المسلمين وثلاثة مراكب فى مرسى النصارى.

ومات التاجر الخير الصدوق الصالح الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسى الاصل الدمياطى سكن دمياط مدة وهو يتجر واختص بالشيخ الحفنى فكان ياتى غليه فى كل عام يزوره ويرأسله بالهدايا ويكرم من ياتى من طرفه وكان منزله

مأوى الوافدين من كل جهة ويقوم بواجب اكرامهم وكان من عادته انه لا يأكل مع الضيوف قط إنما يخدم عليهم ما داموا يأكلون ثم يأكل مع الخدم وهذا من كمال التواضع والمروءة.

وإذا قرب شهر رمضان وفد عليه كثيرة من مجاورى رواق الشوام بالأزهر وغيره فيقيمون عنده حتى ينقضى شهر الصوم فى الإكرام ثم يصلهم بعد ذلك بنفقة وكساوى ويعودون من عنده مجبورين.

وفى سنة ١١٨٣هـ حصلت له قضية مع بعض أهل الذمة التجار بالثغر فتطاول عليه الذمى وسبه فحضر إلى مصر واخبر الشيخ الحفنى فكتبوا له سؤالاً فى فتوى وكتب عليه الشيخ جوابًا وأرسله إلى الشيخ الوالد فكتب على جوابًا واطنب فيه ونقل من الفتاوى الخيرية جوابًا عن سؤال رفع للشيخ خير الدين الرملى فى مثل هذه الحادثة بحرق الذمى ونحو ذلك وحضر ذلك النصرانى فى اثر حضور الحاج عمر خوفًا على نفسه وكان إذ ذاك شوكة الإسلام قوية فأشتغل مع جماعة بمعونة كبار النصارى بمصر بعد ان تحققوا حصول الانتقام وفتنوهم بالمال فأدخلوا على شكوكا وسبكوا الدعوى فى قالب آخر وذلك أنه لم يسبه بالألفاظ التى أدعاها الحاج عمر وأنه بعد التسابب صالحه وسامحه وغيروا صورة السؤال الأول بذلك وأحضروه إلى الوالد فأمتنع من الكتابة عليه فعاد به الشيخ حسن الكفراوى فحلف لا يكتب عليه ثانيًا أبدًا وتغير خاطر الحاج عمر من طرف الشيخ واختل اعتقاده فيه وسافر إلى دمياط ولم يبلغ قصده من النصرانى ومات الشيخ بعد هذه الحادثة بقليل. وانتهت رياسة مصر إلى على بك وارتفع شان النصارى فى ايامه بكاتبه المعلم رزق والمعلم ابراهيم الجوهرى فعملوا على نفى المترجم من دمياط فارسلوا له من قبض عليه فى شهر رمضان ونهبوا امواله من حواصله وداره ووضعوا فى رقبته ورجليه القيد وانزلوه مهانًا عريانًا مع نسائه واولاده فى مركب وارسلوه إلى طرابلس الشام فاستمر بها إلى ان زالت دولة على بك واستقل بامارة مصر محمد بك واظهر الميل إلى نصرة الإسلام فكلم السيد نجم الدين الغزى محمد بك فى شان رجوعه إلى دمياط فكان ان يجيب لذلك وكنت حاضرًا فى ذلك المجلس والمعلم ميخاييل الجمل والمعلم

يوسف بيطار وقوف اسفل السدلة يغمزان الأمير بالإشارة فى عدم الإجابة لأنه من المفسدين بالثغر ويكون السبب فى تعطيل الجمارك فسوف السيد نجم الدين بعد أن كان قرب من الإجابة.

وفى شهر صفر سنة ١٢١٣ هـ قلدوا برطلمين النصرانى الرومى وهو الذى تسميه العامة فرط الرمان كتخدا مستحفظان وركب بموكب من بيت صارى عسكر وأمامه عدة من طوائف الأجناد والبطالين مشاة بين يده وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون وهو لابس فروة بزعادة وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ورتب له بيوك باشى وقلقات عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوارى وغير ذلك والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر وكان من الطبجية عند محمد بك الألفى وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة وقلدوا أيضا شخصًا إفرنجيا وجعلوه أمين البحرين وآخر جعلوه أغات الرسالة وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرويعى وسكن به رئيس الديوان وسكن روتوى قائمقام مصر ببيت إبراهيم بك الوالى المطل على بركة الفيل وسكن شيخ البلد ببيت إبراهيم بك الكبير وسكن مجلون ببيت مراد بك على رصيف الخشاب وسكن بوسليك مدير الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم وطلبوا الدفاتر من الكتبة ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئًا فشيئًا حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا فى البيوت ولكن لم يشوشوا على أحد ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ففجر السوقة وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه وفتح الناس عدة دكاكين بجواره ساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات مثل الفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوى وفتح بعض الإفرنج البلدين بيوتًا يصنع فيها أنواع الأطعمة والاشربة على طرائقهم فى بلادهم فيشترى الأغنام الدجاج والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ويطبخه الطباخون ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم فإذا مرت

طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا إلى ذلك المكان وهو يشتمل على عدة مجالس دون وأعلى وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه فيدخلون إلى ما يريدون من المجالس وفى وسطه دكة من الخشب وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام وحولها كراسى فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم. وفى يوم السبت خامس عشر صفر من ذلك العام اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة وهى مقدار خمسمائة ألف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام وتجار الإفرنج أيضا فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا فى تحصيلها. وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضًا فأكثر الناس من اللغط ولم يعلموا سبب وفى يوم الأحد اجتمعوا فى الديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث فقال ملطى مشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث فأخبروه بفروض المواريث الشرعية فقال ومن أين لكم ذلك فقالوا من القرآن وتلوا عليهم بعض آيات المواريث فقال الإفرنج نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ونفعل كذا وكذا بحسب تحسين عقولهم لان الولد أقدر على التكسب من البنت فقال ميخائيل كحيل الشامى وهو من أهل الديوان أيضا نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها فسايروهم ووعدوهم بذلك - وانفضوا وفى ذلك اليوم عزلوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحاج واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقًا عوضًا عنه ونودى بذلك. وفى يوم الاثنين عملوا لهم ديوانًا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك فاستحسنوا ذلك.

وفى نفس السنة ١٢١٣هـ ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام و الأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم الفرنسيس ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستذلالهم المسلمين كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد والحال المركوز فى الطبع مازال والبعض استهوته

الشياطين ومرق والعياذ بالله من الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف كان ابتداء المحرم يوم الأحد فى خامسه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وكان أرسل إلى كبار القبط بأن يسعوا فى قضيته ورهن حصصه ويغلق الذى عليه فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقى أولاً ولا يمكن غير ذلك وأما الحصص فليست فى تصرفه ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم نقلوهم إلى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهى المرة الثالثة. وفيه أشيع حضور مراكب من ناحية الروم إلى ثغر الإسكندرية وسافر سارى عسكر كلهبر وصحبته الفرنساوية فغاب أيامًا ثم عاد إلى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر.وفيه طلبوا عسكرًا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك وأرسلوا إلى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلى مصر وأضافوهم إلى العسكر.

وفى شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٥ فيه اشتد أمر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله فنزل بالناس منه ما لا يوصف فكان يدخل إلى دار أى شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير إلى غير ذلك وخصوصًا ما فعله ببولاق فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق وينوع عليهم العذاب ثم رجع إلى مصر يفعل كذلك. وفيه أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانًا بعد خان فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته فإن بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره وإن زاد له شىء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم وإذا فتحوا مخزنًا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبًا.

وفى شهر محرم سنة ١٢١٦ حضر حسين كاشف اليهودى إلى قائمقام واخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بك وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحرى من البر الغربى وعثمان بك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق فلما حصل ذلك ركب قائمقام وذهب للست نفيسة وآمنها وطيب خاطرها واخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن. وفى عشرينه توكل رجل قبطى يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل متاريس فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه فتشكى الناس من ذلك القبطى وانهوا شكواهم إلى بليار قائمقام فأمر بالقبض على ذلك القبطى وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة.

وفى يوم الاثنين ثالث عشر شهر صفر الخير سنة ١٢١٧هـ قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم ألطون أبو طاقية وإبراهيم زيدان وبركات معلم الديوان سابقًا وفى الحال أرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم وشرعوا فى نقل ذلك إلى بيت الدفتردار على الجمال ليباع فى المزاد فبدأوا بإحضار تركة ألطون أبى طاقية فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها وجوار سود وحبوش وساعات واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام.

وفى ثامن عشر ربيع الأول من عام ١٢١٨هـ وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات وهو أن رجلاً صيرفيًا بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه انه قال السيد أحمد البدوى بالشرق والسيد إبراهيم الدسوقى بالغرب يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام فجاوبه بعضهم واسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر فقام النصرانى وذهب إلى دبوى واخبره بالقصة فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته وختم على داره وتشفع فيه المشايخ عدة مرات فأطلقوه بعد يومين وأرسلوه إلى

بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسة فضرب مائة سوط وأطلق إلى سبيله وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول سنة ١٢١٩ هـ أفرجوا عن النصارى الأقباط بعدما قرروا عليهم ألف كيس خلاف البرانى وقدره مائتان وخمسون كيساً ونزلوا إلى بيوتهم بعد العشاء الأخيرة فى الفوانيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ١٢٢٣هـ فيه وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية وظهر حريقها من كنيسة الأروام. وفى أواخره ورد الخبر بأن محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الأشراف بدمنهور وأهانه وضربه وصادره وأخذ منه ألفى ريال بعد أن حلف أنه لم يأت بها فى مدة أربع وعشرين ساعة وإلا قتله فوقع فى عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٢٥ فى سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالى كبير المباشرين الأقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس أخى المعلم غالى وباقى أعيان المباشرين فأما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة إلى بولاق وأنزلوهما فى مركب ليسافرا إلى دمياط وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالى نيفاً وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ثم قلدوا المباشرة إلى المعلم منصور ضريمون الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقًا والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القلعة إلى بيت إبراهيم بك الدفتردار بالأزبكية وفيه جرجس الطويل وأخوه حنا وجرجس وفرنسيس أخو غالى ويعقوب كاتبه وغيرهم وأشاعوا عمل حسابهم ثم دار الشغل وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه إلى أن تم الأمر على أربعة وعشرين كيساً ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر وذلك فى آخر رمضان.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ فيه نودى على طائفة المخالفين للملة من الأقباط الأروام بان يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ولا يلبسوا

العمائم البيض لأنهم خرجوا عن الحد فى كل شىء ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وأمامهم وخلفهم الخدم وبأيدهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ولا يظن الرائى لهم إلا أنهم من أعيان الدولة ويلبسون الأسلحة وتخرج الطائفة منهم إلى الخلاء ويعملون لهم نشنبًا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك فما أحسن هذا النهى لو دام. ومنها العمارة التى أمر بإنشائها الباشا بين السورين وحارة النصارى المعروفة بخميس العدس المتوصل منها إلى جهة الخرنفش وذلك بإشارة أكابر نصارى الإفرنج ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الإفرنج وغيرهم وهى عمارة عظيمة ابتدؤا فيها من العام الماضى واستمروا مدة فى صناعة الآلات الأصولية التى يصطنع بها اللوازم مثل السندانات والمخارط للحديد والقواديم والمناشير والتزجات ونحو ذلك وأفردوا لكل حرفة وصناعة مكانًا وصناعًا يحتوى المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة الوضع والتركيب لصناعة القطن وأنواع الحرير والأقمشة والمقصبات.

■ الحج والمحمل وطريق الحج والحجاج:

كان للعرب فى القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف إلى زمن الهجرة. فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وظهر الإسلام وعلت كلمة الله تعالى اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها. وتدرج ذلك إلى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر فكان اسم السنة الأولى سنة الإذن بالرحيل من مكة إلى المدينة والثانية سنة الأمر أى بالقتال إلى أخره. وقال أصحاب التواريخ أن العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الآلهة وتقصد مكة للحج وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكان لما كان لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء أخرى وكذا فى الفصلين الآخرين أرادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير وهو وقت إدراك الفواكه والغلال واعتدال الزمن فى الحر والبرد ليسهل عليهم السفر ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم.

فشكوا ذلك إلى أميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم عند إقبال العرب من كل مكان فخطب ثم قال: أنا أنشأت لكم فى هذه السنة شهرًا ازيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرًا وكذلك افعل فى كل ثلاث سنين أو اقل حسبما يقتضيه حساب

وضعته ليأتى حجكم وقت إدراك الفواكه والغلال فتقصدونا بما معكم منها. فوافقت العرب على ذلك ومضت إلى سبيلها فنسأ المحرم وجعله كبيسًا وآخره إلى صفر وصفر إلى ربيع الأول وهكذا فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم وهو ذو الحجة عندهم. وبعد انقضاء سنتين أو ثلاثة وانتهاء نوبة الكبيس أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج وانتقاله إلى الشهر الذى بعده قام فيهم خطيبًا وتكلم بما أراد ثم قال: أنا جعلنا الشهر الفلانى من السنة الفلانية الداخلة للشهر الذى بعده. ولهذا فسر النسئ بالتأخير كما فسر بالزيادة. وكانوا يديرون النسئ على جميع شهور السنة بالنوبة حتى يكون لهم مثلا فى سنة محرمان وفى أخرى صفران ومثل هذا بقية الشهور فإذا آلت النوبة إلى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم أن هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم فلما انتهت النوبة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذى الحجة وتم دور النسئ على جميع الشهور حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة حجة الوداع وهى السنة العاشرة من الهجرة لموافقة الحج فيها عاشر الحجة ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس لوقوعه فى عاشر ذى القعدة. فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى.ومن جملته: إلا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض يعنى رجوع الحج إلى الموضع الأول كما كان فى زمن سيدنا إبراهيم صلوات الله تعالى عليه ثم تلا قوله تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعملوا أن الله مع المتقين إنما زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين. و منع العرب من هذا الحساب وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من فصول السنة الشمسية فصارت سنوهم دائرة فى الفصول الأربع والحج واقع فى كل زمان منها كما كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام. ثم

كون حجة الصديق واقعة فى القعدة فهو قول طائفة من العلماء. وقال آخرون بل وقعت حجته أيضا فى ميقاتها من ذى الحجة وقد روى فى السنة ما يدل على ذلك والله اعلم بالحقائق.

وفى ثالث عشر صفر سنة ثلاث ومائة وألف ورد نجاب من مكة واخبر بان الشريف سعد تغلب على محسن وتولى إمارة مكة فأرسل الباشا عرضًا إلى السلطنة بذلك.

وفى ثامن ربيع أول ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعة من الصناجق فتولى إبراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحج حالاً عوضًا عن أغات مستحفظان ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضًا عن كتخدا مستحفظان وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضًا عن كتخدا العزب وإسماعيل بك على أوقاف الحرمين عوضًا عن باش جاويش مستحفظان .

مات الأمير ذو الفقار بك تابع الأمير حسن بك الفقارى وقد تولى الصنجقية وإمارة الحج فى يوم واحد وطلع بالحج إحدى عشرة مرة وتوفى سنة اثنتين ومائة وألف.

ومات ابنه الأمير إبراهيم بك تولى الإمارة بعد أبيه وطلع أميراً على الحج سنة ثلاث ومائة وألف وتحارب مع العرب تلك السنة فى مضيق الشرفة فكانت معركة عظيمة وامتنع العرب من حمل غلال الحرمين فركب عليهم هو ودرويش بك وكبس عليهم أخر الليل عند الجبل الأحمر وساقوا منهم نحو ألف بعير ونهب بيوتهم واحضر الجمال إلى قراميدان وأحضر أيضاً بدنة أخرى شالوا معهم الغلال والقافلة.

وولى من طرفه إبراهيم أغا الصعيدى زعيم مصر أخاف الناس وصار له سمعة وهيبة وطلع بالحج بعد ذلك ثلاث مرات فى أمن وأمان. وتاقت نفسه الرئاسة ولا يتم له ذلك إلا بملك باب مستحفظان وكان بيد القاسمية فاعمل حيلة بمعضدة حسن أغا وإغراء على باشا والى مصر حين ذاك فقلد رجب كتخدا مستحفظان وسليم أفندى صناجق ثم عملوا دعوة على سليم بك المذكور

انحط فيها الأمر على حبسه وقتله. فلما رأى رجب بك ذلك ذهب إلى إبراهيم بك واستعفى من الإمارة فقلده سردار جداوى وسافر من القلزم وتوفى بمكة وخلف ولدًا اسمه باكير حضر إلى مصر بعد ذلك ولما قتل سليم بك المذكور لا عن وارث ضبط مخلفاته الباشا لبيت المال واخذوا جميع ما فى بيته الذى بالأزبكية المجاور لبيت الدادة أبى قاسم الشرايبى وهو الذى اشتراه القاضى مواهب أبو مدين جريجى عزبان فى سنة أربع ومائة وألف.

وفى سنة عشر ومائة وألف وفى رابع عشر شوال كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى تحمل كل سنة للبيت الحرام ويمرون بها فى وسط القاهرة وتحمل المغاربة جانبًا منها للتبرك بها ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى طريق مرورهم. فرأوا رجلاً من اتباع مصطفى كتخدا القازدغلى فكسروا أنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه وكان فى مقدمتهم طائفة منهم متسلحون وزاد التشاجر واتسعت القضية وقام عليهم أهل السوق. وحضر أوده باشة البوابة فقبض على أكثرهم ووضعهم فى الحديد وطلع بهم إلى الباشا وأخبروه بالقضية فأمر بسجنهم بالعرقانة. فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عن باقيهم. وقد وصل الحجاج وقد تأخروا إلى نصف صفر بسبب دخول مراكب الهند وشراء ما بها من الأقمشة. ثم تولى قرة محمد باشا وحضر إلى مصر منتصف ربيع الثانى سنة إحدى عشرة ومائة وألف وهوكتخدا إسماعيل باشا المتقدم ذكره. وفى أيامه سنة أربع عشرة حصلت حادثة الفضة وفى سنة خمس عشرة وردت الأخبار بوفاة السلطان مصطفى وجلوس السلطان أحمد بن محمد خان فى سابع عشر ربيع الآخر منها وأمر الباشا بقطع سقائف الدكاكين لأجل توسعة الطرق والأسواق ففعل ذلك ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك. ثم أمر بقطع الأرض إلى أن كشفت الجدران. ومكث محمد باشا واليًا بمصر خمس سنوات إلى أن عزل فى شهر رجب سنة ست عشرة ومائة وألف. ومن مآثره تعمير الأربعين الذى بجوار باب قراميدان وأنشأ فيه جامعًا بخطبة وتكية لفقراء الخلواتية من الأروام وأسكنهم بها وأنشأ تجاهها مطبخًا ودار

ضيافة للفقراء وفى علوها مكتبا للأطفال يقرءون فيه القرآن ورتب لهم ما يكفيهم.

وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغورى حمامًا فسيحًا مفروشًا بالرخام الملون وجدد بستان الغورى وغرس فيه الأشجار ورمم قاعة الغورى التى بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن أميرا خور وبنى مسطبة عظيمة برسم إلباس القفاطين وتسليم المحمل لأمير الحج وأرباب المناصب وعمر مسطبة يرمى عليها النشاب وأنشأ الحمام البديع بقراميدان ونقل إليه من القلعة حوض رخام صحن قطعة واحدة أنزلوه من السبع حدارات وعملوا به فسقية فى وسط المسلخ وعمر بالقرافة مقام سيدى عيسى بن سيدى عبد القادر الجيلانى وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم ما يكفيهم وأنشأ صهريجًا بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرًا يقرؤون القرآن كل يوم بعد الشمس وهو الذى تسبب فى قتل عبد الرحمن بك حاكم جرجا لحزازة معه من أجل مخدومه إسماعيل باشا. وفى سبع عشرة تقلد قيطاس بك إمارة الحج عوضًا عن أيوب بك.

سنة خمس وعشرين ومائة وألف ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة ورجع الحجاج فى شهر صفر صحبة محمد بك قطامش وانتهت رياسة مصر إلى قيطاس بك ومحمد بك وحسن كتخدا النجدلى وكور عبد الله وإبراهيم الصابونجى. محمد بك ابن الأمير إسماعيل بك الكبير الفقارى تابع حسن بك الفقارى وصهر حسن أغا تولى بعده الإمارة وطلع بالحج سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ولما وقف العرب بطريق الحجاج فى العقبة سنة سبع وأربعين و مائة وألف وكان أمير الحاج رضوان بك أرسل إلى محمد بك قطامش فعرفه ذلك فاجتمع الأمراء بالديوان وتشاوروا فيمن يذهب لقتال العرب فقال المترجم أنا اذهب إليهم واخلص من حقهم وأنقذ الحجاج منهم ولا اخذ من الدولة شيئًا بشرط أن أكون حاكم جرجا عن سنة ثمان وأربعين فأجابوه إلى ذلك وألبسه الباشا قفطانًا وقضى أشغاله فى أسرع وقت وخرج فى طوائفه ومماليكه وأتباع أستاذه وتوجه إلى العقبة وحارب العرب حتى أنزلهم من الحلزونات وأجلاهم وطلع أمير الحاج

الحجاج وساق هو خلف العرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق الحجاج بنخل ودخل صحبتهم .

وظهر شأن المترجم ونما أمره واشتهر صيته وتقلد إمارة الحج سنة ١١٥٤ ورجع سنة ١١٥٥ ولم يزل حتى حصلت كائنة قتل خليل بك ومن معه بالديوان سنة ١١٦٠ فخرج المترجم هارباً من مصر إلى الصعيد ثم ذهب إلى الحجاز ومات هناك: ومات الأمير خليل بك قطامش أمير الحاج سابقًا تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وأربعين وطلع بالحج أميرا سنة ثمان وخمسين و مائة وألف و لم يحصل فى إمارته على الحجاج راحة وكذلك على غيرهم. وكان أتباعه يأخذون التبن من بولاق ومن المراكب إلى المناخ من غير ثمن ومنع عوائد العرب وصادر التجار فى أموالهم بطريق الحج. وكانت أولاد خزنته ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون فى حلزونات العقبة ويطلبون من الحجاج دراهم مثل الشحاتين. وكان الأمير عثمان بك ذو الفقار يكرهه ولا تعجبه أحواله ولما وقع للحجاج ما وقع فى إمارته ووصلت الأخبار إلى مولاى عبد الله صاحب المغرب وتأخر بسبب ذلك الراكب عن الحج فى السنة الأخرى أرسل مكتوبًا إلى علماء مصر وأكابرهن ينقم عليهم فى ذلك ويقول فيه: وان مما شاع بمغربنا والعياذ بالله وذاع وانصدعت منه صدور أهل الدين والسنة أى انصداع وضاقت من اجله الأرض على الخلائق وتحمل من فيه إيمان لذلك ما ليس بطائق من تعدى أمير حجكم على عباد الله وإظهار جرأته على زوار رسول الله فقد نهب المال وقتل الرجال وبذل المجهود فى تعديه الحدود وبلغ فى خبثه الغاية وجاوز فى ظلمه الحد والنهاية فيالها من مصيبة ما أعظمها ومن داهية دهماء ما أجسمها فكيف يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم يهان أو يضام حجاج بيت الله الحرام وزائرو نبينا عليه الصلاة والسلام وبسببها تأخر الركب هذه السنة لهنالك وافصحت لنا علماء الغرب بسقوطه لما ثبت عندهم ذلك فيا للعجب كيف بعلماء مصر ومن بها من أعيانها لا يقومون بتغيير هذا المنكر الفادح بشيوخها وشبانها. فهى والله معرة تلحقهم من الخاص والعام إلى أخر ما قال فلما وصل الجوار واطلع عليه الوزير محمد باشا راغب أجاب عنه بأحسن جواب وأبدع فيما أودع من درر وغرر

تسلب عقول أولى الألباب ومات خليل بك المذكور قتيلاً فى ولاية راغب باشا سنة ٦٠ قتله عثمان أغا أبو يوسف القلعة وقتل معه أيضا عمر بك بلاط وعلى بك الدمياطى ومحمد بك قطامش الذى كان تولى الصنجقية وسافر بالخزينة سنة سبع وخمسين عوضًا عن عمر بك ابن على بك ونزلت البيارق والعسكر والمدافع لمحاربة إبراهيم بك وعمر بك وسليمان بك القطامشة فخرجوا بمتاعهم وعازقهم وهجنهم من مصر إلى قبلى ونهبوا بيوت المقتولين والفارين.

ومات الأمير إبراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلى وسليمان هذا تابع مصطفى كتخدا والد عبد الرحمن كتخدا المشهور لبس الضلمة فى سنة ١١٤٨ وعمل جاويشًا وطلع سر دار قطار فى الحج فى إمارة عثمان بك ذى الفقار سنة ١١٥٣. وفى تلك السنة استوحش منه عثمان بك باطنًا لأنه كان شديد المراس قوى الشكيمة وبعد رجوعه من الحج فى سنة ١٥٢ نما ذكره وانتشر صيته ولم يزل من حينئذ ينمو أمره وتزيد صولته وتنفذ كلمته وكان ذا دهاء ومكر وتحيل ولين وقسوة وسماحة وسعة صدر وتؤدة وحزم وإقدام ونظر فى العواقب .

ولم يزل يدبر على عثمان بك وضم إليه كتخداه أحمد السكرى ورضوان كتخدا الحلفى وخليل بك قطامش عمر بك بسبب منافسة معه على بلاد هوارة كما تقدم حتى أوقع به على حين غفلة وخرج عثمان بك من مصر على الصورة المتقدمة فعند ذلك عظم شأنه وزادت سطوته واستكثر من شراء المماليك وقلد عثمان مملوكه الذى كان أغات متفرقة صنجقًا وهو أول صناجقه وهو الذى عرف بالجرجاوى . ولما قتل خليل بك قطامش وعمر بك بلاط وعلى بك الدمياطى ومحمد بك فى أيام راغب باشا بمغامرة حسين بك الخشاب ثم حصلت أيضا كائنة الخشاب وخروجه ومن معه من مصر وزالت دولة القطامشة والدمايطة والخشابية وعزلوا راغب باشا فى أثناء ذلك كما تقدم فعند ذلك انتهب رئاسة مصر وسيادتها للمترجم وقسيمه رضوان كتخدا الجلفى ونفذت كلمتهما وعلت سطوتهما على باقى الأمراء والاختيارية الموجودين بمصر وتقلد المترجم كتخدائية باب مستحفظان ثلاثة اشهر ثم انفصل عنها،

وذلك كما يقال لأجل حرمة الوجاق وقلد مملوكيه عليا وحسينًا صنجقين وكذلك رضوان كتخدا كما سبق وصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق.

واشتغل المترجم بالأحكام وقبض الأموال الميرية وصرفها فى جهاتها وكذلك العكوفات وغلال الأنبار ومهمات الحج والخزينة ولوازم الدولة والولاة وقسيمه رضوان كتخدا مشتغل بلذاته ومنهمك على خلاعاته ولا يتدخل فى شىء مما ذكر والمترجم يرسل له الأموال ويوالى بر الجميع ويراعى خواطرهم وينفذ أغراضهم وعبد الرحمن كتخدا مشتغل بالعمائر وفعل الخيرات وبناء المساجد. واستكثر المترجم من شراء المماليك وقلدهم الأمريات والمناصب وقلد إمارة الحج لمملوكه على بك الكبير وطلع بالحج ورجع سنة ١١٦٧.

وفى تلك السنة نزل على الحجاج سيل عظيم بمنزلة ظهر الحمار فاخذ معظم الحجاج بجمالهم وأحمالهم إلى البحر ولم يرجع من الحجاج إلا القليل. ومات الأمير الكبير عمر بك بن حسن بك رضوان وذلك انه لما قلد إبراهيم كتخدا تابعه على بك الكبير إمارة الحج وطلع بالحجاج ورجع فى سنة ١١٦٧ ونزل عليهم السيل العظيم بظهر حمار وألقى الحجاج وأحمالهم إلى البحر ولم يرجع منهم إلا القليل تشاور فيمن يقلدونه إمارة الحج فاقتضى رأى إبراهيم كتخدا تولية المترجم وقد صار مسنًا هرمًا فاستعفى من ذلك فقال له إبراهيم كتخدا : أما أن تطلع بالحج أو تدفع مائتى كيس مساعدة . فحضر عند إبراهيم كتخدا فرأى منه الجد . فقال : إذا كان ولابد فأنى اصرفها واحد ولو أنى اصرف ألف كيس . ثم توجه إلى القبلة وقال : اللهم لا ترنى وجه إبراهيم هذا بعد هذا اليوم إما إنى أموت أو هو يموت . فاستجاب الله دعوته ومات إبراهيم كتخدا فى صفر قبل دخول الحجاج إلى مصر بخمسة ومات الرجل الفاضل النبيه الذكى المتفنن المتقن الفريد الأوسطى إبراهيم السكاكينى كان إنسانا حسنًا عطارديا يصنع السيوف والسكاكين ويجيد سقيها وجلاءها ويصنع قراباتها ويسقطها بالذهب والفضة ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم والبر كارات للصنعة وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة وغير ذلك.وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط

لا تخفى وكتب بخطه ذلك كثيرًا مثل مقامات الحريرى وكتب أدبية ورسائل كثيرة فى الرياضيات والرسميات وغير ذلك وبالجملة فقد كان فريدا فى ذاته وصفاته وصناعته لم يخلف بعده مثله . توفى فى حدود هذا التاريخ وكان حانوته تجاه جامع المردانى بالقرب من درب الصياغ .

فى سنة ١١٧٢ ولد للسلطان مصطفى مولود فى تلك السنة وورد الأمر بالزينة فى تلك الأيام . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الان ولما قتل حسين بك القازدغلى المعروف بالصابونجى وتعين فى الرياسة بعده على بك الكبير وأحضر خشداشينه المنفيين وأستقر أمرهم وتقلد إمارة الحج سنة ١١٧٣ فبيت مع سليمان بك الشابورى وحسن كتحدا الشعراوى وخليل جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش المجنون وأتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا فى غيبته وأقام عوضه فى مشيخة البلد خليل بك الدفتر دار فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع فى نفى الجماعة المذكورين فأغرى بهم على بك بلوط فنفى خليل جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش إلى الحجاز من طريق السويس على البحر ونفى حسن كتخدا الشعراوى وسليمان بك الشابورى مملوك خشداشه إلى فارسكور . فلما وصل على بك وهو راجع بالحج إلى العقبة وصل إليه الخبر فكتم ذلك وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار ولم يزل سائرًا إلى أن وصل إلى قلعة نخل فانحاز إلى القلعة وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة وسلمهم الحجاج والمحمل وركب فى خاصته وسار إلى غزة وسار الحجاج من غير أمير إلى أن وصلوا إلى أجرود فأقبل عليهم حسن بك كشكش ومن معه يريد قتل على بك فلم يجده فحضر بالحجاج ودخل بالمحمل إلى مصر واستمر على بك بغزة نحو ثلاثة شهر وأكثر وكاتب الدولة بواسطة باشة الشام فارسلوا إليه واحدًا أغا ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استقصوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك. وحضر حمزة باشا فى سنة ١١٧٩ واستقر الحال وتقلد فى إمارة الحج حسين بك كشكش وطلع سنة ١١٧٤ ووقف له العرب فى مضيق وحضر إليه كبراؤهم وطلبوا مطالبهم وعوائدهم فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة والصراف

وآمرهم بدفع مطلوبات العرب . فذهبوا معه إلى خيمته وأحضر المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم فضرب عند ذلك مدفع الشيل فقال لهم حينئذ : لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب. وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق إلى الوسع ورتب مماليكه وطوائفه وحضر العرب وفيهم كبيرهم هزاع فأمر بقتلهم فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم وفيهم نيف وعشرون كبيرًا من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور وأمر بالرحيل وضربوا المدفع وسار الحج وتفرق قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر . فتجمعب القبائل من كل جهة ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضايق وهو يسوق عليهم من إمام الحج وخلفه ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل إلى مصر بالحج سالما ومعه رءوس العربان محملة على الجمال . ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورا مؤيدا فاجتمع عليه الأمراء من خشداشيته وغيرهم وقال له على بك بلوط قبن : أنك افسدت علينا العرب وأخربت طريق الحج ومن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها . فقال : أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب أصطفل. فطلع أيضًا فى السنة الثانية وتجمع عليه العرب ووقفوا فى كل طريق ومضيق وعلى رءوس الجبال واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة فصادمهم وقاتلهم وحاربهم وصار يكر ويفر ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة فإنه لم يكن معه إلا نحو الثلثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورًا حسامه فيشتت شملهم ويفرق جمعهم فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته وأنكفوا عن الحج . فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة . فحج أربع مرات أميرًا بالحج آخرها سنة ١١٧٦ ورجع سنة ١١٧٧هـ ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابًا وايابًا بعد ذلك . وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفرحين ويسلبون النا. س فكان يخرج إليهم على حين غفلة فيقتلهم وينهب مواشيهم ويرجع بغنائمهم ورءوسهم فى أشناف على الجمال فارتدعوا وأنكفوا عن أفاعيلهم . وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك . سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر حضر نجاب الحج وأطمان الناس وفى يوم الجمعة سابع عشره وصل الحجاج بالسلامة ودخلوا المدينة وأمير الحاج خليل بك بلغيه وسر الناس بسلامة الحجاج وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .وفى تاسع عشر شوال خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحاج رضوان بك بلفيا وسافر وفيه جاءت الأخبار بورود إسماعيل باشا والى مصر إلى الإسكندرية.

وفى يوم الخميس ثامن عشر شوال من عام ١١٩٣هـ عمل موكب المحمل وخرج الحجاج وأمير الحاج مراد بك وخرج فى موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر وماجت مصر وهاجت فى أيام خروج الحج بسبب الأطلاب وجمع الأموال وطلب الجمال والبغال والحمير وغصبوا بغال الناس ومن وجدوه راكبًا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها منه قهرًا فإن كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها وإلا فلا وغلت أسعارها جدًا ولم يعهد حج مثل هذه السنة فى كل شىء . وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس وسافر صحبة مراد بك أربع صناجق وهم عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابورى وعلى بك المالطى وذو الفقار بك وأمراء وأغوات وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار . وفيه حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لإسماعيل باشا على مصر كما كان ولما أتاه العزل نزل من القلعة فى غرة رمضان وصام رمضان فى مصر العتيقة .

ولما انقضى رمضان تحول إلى العادلية ليتوجه إلى السويس ويذهب إلى جدة حسب الأوامر السابقة فقدر الله بموت إبراهيم باشا وحضر التقرير له بالولاية ثانيًا فركب فى يوم الاثنين سادس القعدة وطلع إلى القلعة من باب الجبل. وفى سنة أربع وتسعين ومائة وألف فيها فى يوم الخميس حادى عشر صفر دخل الحجاج إلى مصر وأمير الحاج مراد بك ووقف لهم العربان فى الصفرة والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغزو الأجناد ونهبت بضائع وأحمال كثيرة وكذلك من الجمال والدواب والعرب بأعلى الجبال والحج أسفل كل ذلك والحج سائر .

وفى عام ١١٩٧هـ فى يوم الخميس عشرين من شهر شوال كان خروج المحمل والحجاج وأمير الحاج مصطفى بك الكبير ولما انقضى أمر الحج برزوا

للتجريدة وأميرها إبراهيم بك الكبير وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها وعطلوا أسباب التجار والمسافرين وجمعوا الأموال كما تقدم من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك وكان أمرًا مهولاً أيضًا وبعد أيام وصل الخبر بأن إبراهيم بك ضمهم للصلح واصطلح معهم وأنه واصل صحبتهم جميعًا .

وفى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر محرم من عام ١١٩٨هـ وصل الحجاج إلى مصر ودخل أمير الحج مصطفى بك بالمحمل فى يوم الأحد. .

وفى يوم الاثنين حادى عشرين شوال من نفس العام كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج مصطفى بك الكبير فى موكب حقير جدًا بالنسبة للمواكب المتقدمة ثم ذهب إلى البركة فى يوم الخميس وقد كان تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها فطلب ذلك من إبراهيم بك فأحاله على مراد بك من الميرى الذى طرفه وطرف أتباعه وأحال عليه أمير الحاج وركب من البركة راجعًا إلى مصر وتركه وإياه فلم يسع مراد بك الدفع وتشهيل الحج وعاد إلى مصر وخرج إلى قصره بالروضة وأرسل إلى الجماعة الذين بالوجه القبلى فلما علم إبراهيم بك بذلك أرسل إليه يستعطفه وترددت بينهما الرسل من العصر إلى بعد العشاء ونظر إبراهيم بك فلم يجد عنده أحدًا من خشداشينه .

وفى أواخر الحجة سنة تسع وتسعين وآلف حصلت واقعة عظيمة بين إبراهيم بك ابن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين خلف جبل الجيوشى وقتلوا كثيرًا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم واحضر منهم اسرى كثيرة ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة فقتلوا من الحاج خلقًا كثيرًا واخذوا نحو ألف جمل بأحمالها وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا إلى العقبة وهرب العربان.

ولما كانت سنة أربع وتسعين ومائة وألف فى يوم الخميس حادى عشر صفر دخل الحجاج إلى مصر وأمير الحاج مراد بك ووقف لهم العربان فى الصفرة والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغزو الأجناد ونهبت بضائع وأحمال كثيرة وكذلك من الجمال والدواب والعرب بأعلى الجبال والحج أسفل كل ذلك والحج سائر .

وفى سنة مائتين وألف كان أول المحرم يوم الجمعة وفى ذلك اليوم وصل الباشا الجديد إلى بر إنبابة واسمه محمد باشا يكن فبات ليلة الجمعة هناك وفى الصباح ذهب إليه الأمراء وسلموا عليه على العادة وعدوا به إلى قصر العينى فجلس هناك إلى يوم الاثنين رابعه وركب بالموكب وشق من الصليبة وفى يوم الخميس ثانى عشر صفر حضر مبشر الحاج بمكاتيب العقبة وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضًا فى هذه السنة مثل العام الماضى بسبب طمع أمير الحاج فى عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة وأن أحمد باشا أمير الحاج الشامى أكد عليه فى الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة فاعتل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة فى العام الماضى وهذا العام واستمر على امتناعه.

وحضر الشريف سرور شريف مكة وكلمه بحضرة أحمد باشا وقال : إذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء وتضع عليه خطك وختمك وللسلطان النظر بعد ذلك، فأجاب إلى ذلك ووضع خطه وختمه وحضر إليهم الجاويش فى صبحها فخلعوا عليه كالعادة ورجع بالملاقاة وخرج الأمراء فى ثانى يوم إلى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم .

وفى يوم الاثنين وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر ونزل أمير الحج بالجنبلاطية بباب النصر ولم ينزل بالحصورة أولاً على العادة وركب فى يوم الثلاثاء ودخل بالمحمل بموكب دون المعتاد وسلم المحمل إلى الباشا .

وفى يوم الأربعاء اجتمع الأمراء ببيت إبراهيم بك وأحضروا مصطفى بك أمير الحج وتشاجر معه إبراهيم بك ومراد بك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال وادعوا عليه أنه تسلم جميع الحمائل وطلبوا منه حساب ذلك واستمروا على ذلك إلى قرب المساء .

ثم أن مراد بك أخذ أمير الحاج إلى بيته فبات عنده وفى صبحها حضر إبراهيم بك عند مراد بك وأخذ أمير الحاج إلى بيته ووضعه فى مكان محجوزًا عليه وأمر الكتاب بحسابه فحاسبوه فاستقر فى طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى .

وفى يوم الجمعة طلع إبراهيم بك إلى القلعة وأخبر الباشا بما حصل وأنه حبسه حتى يوفى ما استقر بذمته فاستمر أيامًا وصالح وذهب إلى بيته مكرمًا .

وفى ذلك اليوم بعد صلاة الجمعة ضج مجاور والأزهر بسبب أخبازهم وقفلوا أبواب الجامع فحضر إليهم سليم أغا والتزم لهم بإجراء رواتبهم بكرة تاريخه فسكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثانى يوم فلم يأتهم شىء فأغلقوه ثانيًا وصعدوا على المنارات يصيحون فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات وأجرى لهم الجراية ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارًا .

وفى ليلة خروج الأمراء إلى ملاقاة الحجاج ركب مصطفى بك الإسكندرى وأحمد بك الكلارجى وذهبا إلى جهة الصعيد والتقا على عثمان بك الشرقاوى ولاجين بك وتقاسموا الجهات والبلاد وأفحشوا فى ظلم العباد . وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج محمد بك المبدول بالموكب على العادة ما عدا طائفة الينكرجية والعزب خوفًا من اختلاط العثمانية بهم وحضر حسن باشا القبطان إلى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة ولم يزل جالسًا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير فكانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة فيرسل لهم ألف نصف فضة فى قرطاس ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة وازدحمت الناس للفرجة عليه وكان لابسًا على هيئة ملوك العجم وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد مخروط الشكل وعليه عصابة لطيفة من حرير مرصعة بالجوهر ولها ذوائب على آذانه وحواجبه وعليه عباءة لطخ قصب أصفر .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين وألف فكان ابتداؤها المحرم يوم الخميس واستهل شهر جمادى الأولى فى غرته قلدوا غيطاس بك إمارة الحج وفى عشرينه جمع إسماعيل بك الأمراء الوجاقلية وقال لهم أيا إخواننا إن حسن باشا أرسل يطلب منى باقى الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فاحضروا حسن أفندى شقبون أفندى الديوان وحسبوا الذى طرف إسمعيل بك وجماعته فبلغ ثلاثمائة وخمسين كيسًا وطلع على طرف حسن بك وأتباعه نحو أربعمائة كيس

وعلى طرف على بك الدفتردار مائة وستون كيسًا وكانوا ارسلوا إلى على بك فلم يات فقال لهم حسن بك أى شيء هذا العجب والأغراض بلاد على بك فارسكور وبارنبال وسرس الليانة حلوانهم قليل وزاد اللغط والكلام فقام من بينهم إسماعيل بك ونزل وركب إلى جزيرة الذهب وكذلك حسن بك خرج إلى قبة العزب وعلى بك ذهب إلى قصر الجلفى بالشيخ قمر واصبح على بك وركب إلى الباشا ثم رجع إلى بيته ثم ان على بك قال لابد من تحرير حسابى وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا إلى وقتنا وما صرفته على أمير الحج تلك السنة وادعى أمير الحج الذى هو محمد بك المبدول ببواقى ووقع على الجداوى فاجتمعوا ببيت رضوان كتخدا تابع المجنون وحضر حسن كتخدا على بك وكيلاً عن مخدومه ومصطفى أغا الوكيل وكيلاً عن إسمعيل بك وحرروا الحساب وفى غاية شعبان خرج أمير الحاج غيطاس بك بالمحمل وركب الحجاج . وقد تقلد الأمير صالح بك إمارة الحاج فى عام ١٢١٢ هـ وهو أيضا من مماليك محمد بك أبى الذهب وتولى زعامة مصر بعد إبراهيم بك الوالى وأحسن فيها السيرة ولم يتشك منه احد ولم يتعرض لأحد بأذية وتقلد أيضا كتخدا الجاويشية عندما خرج إبراهيم بك مغاضبًا لمراد بك .

وكان خصيصًا به فلما اصطلحا ورجع إبراهيم بك وعلى أغا كتخدا الجاويشية تقلد على منصبه كما كان واستمر المترجم يطالا لكنه وافر الحرمة معدودًا فى الأعيان ولما خرجوا من مصر فى حادثة حسن باشا أرسله خشداشينه إلى الروم وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان إذ ذاك بالعرضى فى السفر ولما رجعوا إلى مصر بعد موت إسماعيل بك سكن ببيت البارودى وتزوج بزوجته وهى أم أيوب ألتى كأن سرية مراد بك ثم سافر ثانيًا إلى الروم بمراسلة وهدية وقضى أشغاله ورجع بالوكالة واخذ بيت الحبانية من مصطفى أغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت واختص بمراد بك اختصاصًا زائدًا وبنى له دارًا بجانبه بالجيزة وصار لا يفارقه قط وصار هو بابه الأعظم فى المهمات وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالإشارة يظن من يراه انه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه ويميل بطبعه إلى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار

ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده ثم ولى الصنجقية وتقلد إمارة الحج سنة ١٢١٣هـ وتمم أشغاله وآموره ولوازمه على ما ينبغى وطلع بالحج فى تلك السنة فى أبهة عظيمة على القانون القديم فى امن وأمان ورخاء وسخاء وراج موسم التجار فى تلك السنة إلى الغاية وفى أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية إلى القطر المصرى وطار إليهم الخبر بسطح العقبة وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج فى طائفة قليلة فأرسل إليهم إبراهيم بك يطلبهم إلى بلبيس فعرج المترجم بالحاج إلى بلبيس وجرى ما تقدم ذكره ولم يزل حتى مات بالديار الشامية وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ودفنتها بمصر بترية المجاورين .

وفى عشرين ربيع الأول سنة ١٢١٨هـ ورد الخبر بوصول على باشا الطرابلسى إلى إسكندرية واليًا على مصر عوضًا عن محمد باشا وحضر منه فرمان خطابًا للأمراء يعلمهم بوصوله ويذكر لهم انه متولى على الأقطار المصرية عوضًا عن محمد باشا من إسكندرية إلى أسوان ولم يبلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم إلى مصر ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا أنهم يتوجهون بالعساكر إلى الحجاز بسبب الوهابيين.

وفى خامس عشرين شوال ١٢١٨هـ عملوا ديوانًا وقرءوا فرمانًا وصل من الدولة مع الططر خطابًا لعلى باشا والأمراء بتشهيل أربعة آلاف عسكرى وسفرهم إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين وإرسال ثلاثين ألف إردب غلال إلى الحرمين وإنهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر . وفى ربيع الأول سنة ١٢١٩هـ وردت مكاتبات من الحجاز واخبروا فيها بموت محمود جاويش الذى سافر بالمحمل وكذلك الحاج يوسف صير فى الصرة وان طائفة من الوهابيين حاصروا جدة ولم يملكوها وان ببلاد الحجاز غلاء شديدًا لمنع الوارد عنهم والإردب القمح بثلاثين ريالاً فرانس عنها من الفضة العددية خمسة آلاف وأربعمائة . وفى ليلة الخميس السابع عشر شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٩هـ وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية وطلع إلى بولاق فى صبحها وركب إلى القلعة فانزله الباشا ببيت رضوان كتخدا إبراهيم بك بدرب الجماميز ولم يعلم ما

بيده من الأوامر ثم تبين أن من الأوامر التى معه إخراج خمسمائة من العسكر إلى بندر ينبع البحر يقيمون بها محافظين لها من الوهابيين ويدفع لهم جامكية سنة كاملة وذخيرتها وما يحتاجون إليه من مؤونة وغلال جبخانة . وفى يوم الثلاثاء قرءوا تلك الأوامر وفيها انه تعين محمد باشا أبو مرق بعساكر الشام إلى الحجاز فاحضر الباشا كبار العسكر وعرض عليهم ذلك الأمر وقال لهم انه ورد لى اذن عام فى تقليد من اقلده فمن أحب منكم قلدته أمرية طوخ او طوخين فامتنعوا من ذلك وقالوا نحن لا نخرج من مصر ولا نتقلد منصبًا خارجًا عنها ووصلت الأخبار فى هذه الأيام أن الوهابيين ملكوا الينبع .فى التاسع من شهر شعبان سنة ١٢١٩هـ يوم الجمعة وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان جواب على مراسلة للباشا بإرسال باشة الينبع لمحافظتها من الوهابيين وأنه أعطاه ذخيرة شهرين وبان يرسل إليه ما يحتاجه من الذخيرة وكذلك محمد باشا والى جدة يعطى له ما يحتاجه من الذخيرة لأجل حفظ الحرمين والوصية برعية مصر ودفع المخالفين وأمثال ذلك فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم وقرأوا وفيه مات الشيخ حجاب . وفى شهر رجب الفرد سنة ١٢٢٠هـ وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم بعد حصارها نحو سنة ونصف من غير حرب بل تحلقوا حولها وقطعوا عنها الوارد وبلغ الإردب الحنطة بها مائة ريال فرانسة فلما اشتد بهم الضيق سلموها ودخلها الوهابيون ولم يحدثوا بها حدثًا غير منع المنكرات وشرب التنباك فى الأسواق وهدم القباب ما عدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفيه حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ومعه مكاتبات من محمد بك الدفتردار الذى تولى امارة الصعيد عوضًا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه إلى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية يذكر فيها نصح المعلم غالى وسعيه فى فتح ابواب تحصيل الأموال للخزينة وأنه ابتكر شيئًا وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال فقوبل بالرضا والإكرام وخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته واخذ فيما ندب إليه وحضر لأجله التى منها حسابات جميع الدفاتر واقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الاقاليم .

وفيه تجردت عدة عساكر اتراك ومغاربة إلى الحجاز وصحبتهم ارباب صنائع وحرف . وفى عاشر شهر شوال من عام ١٢٣٢ هـ فى يوم السبت نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسينى ..

وفى يوم السبت سابع عشره أداروا المحمل وخرج أمير الركب إلى خارج باب النصر ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب إلى بر إنبابة وبولاق وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافًا من غير وزن ويذهب الكثير من الناس إلى الشراء منهم فيقعون فى الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف وأكثر وضرورتهم فى الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى وقد هزلت من السفر والإقامة بالجوع والعطش ويموت الكثير منها فيسلمونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس وفيه المتغير الرائحة وما تعافه النفوس فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن وتحمل سوء أخلاقهم وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى ومجاريح والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفًا من وقوع الفتن ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملئوا الأزقة والنواحى وحضر أيضًا الركب الفارسى وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما فأحسن الباشا نزلهم وتقيد السيد محمد المحروقى بملاقاتهم ولوازمهم وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى وأجريت عليهم نفقات تليق بهم وأهديا للباشا هدية وفيها عدة بغال وبرانس حرير وغير ذلك . وفى ثامن عشرينه ارتحل الحج المصرى من البركة وكانت الحجاج فى هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس أتراك وططر وبشناق وجركس وفلاحين من سائر الأجناس ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم إلى الحجاز من السويس لقلة المراكب التى تحملهم.

■ وفاء النيل عند الجبرتى:

فى سنة ست ومائة وألف لما قصر مد النيل وشرقت البلاد وكان القمح بستين نصفًا فضة للأردب فزاد سعره وبيع باثنتين وسبعين فضة نزل كجك محمد إلى بولاق وجلس بالتكية وأحضر الأمناء ومنعهم من الزيادة عن الستين وخوفهم وحذرهم وأجلس بالجملة اثنين من القابجية ويرسل حماره كل يومين أو ثلاثة مع الحمار يمشى به جهة الساحل ويرجع فيظنون أن كجك محمد ببولاق فلا يمكنهم زيادة فى ثمن الغلة . كما ذكر أن بيع القمح فى ذلك اليوم بمائة نصف فضة ولم يزل يزيد حتى بلغ ستمائة نصف فضة .

وفى عام ١١١٠ هـ توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على جبل الجيوشى وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء فاستجاب الله لهم فى حادى عشر توت وشذ ذلك من النوازل فروى بعض البلاد وهبط سريعًا فحصل الغلاء وبلغ سعر الإردب القمح مائتين وأربعين فضة والفول كذلك والعدس مائتى نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والأرز أربعمائة نصف فضة الإردب وبيع اللحم الضانى كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسى والبقرى بنصفى فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلاثمائة وخمسين والدجاجة بثمانية أنصاف .

وفى شهر شوال الموافق لكيهك القبطى ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة اذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفل للماء فى

الأودية واستمرت الأمطار تنزل وتسكب إلى غاية الشهر وكان ابتداؤها من غرة رمضان .

وفى صبحها يوم الجمعة رابع شهر رجب الفرد من عام ١١٩١هـ الموافق لرابع مسرى القبطى نودى بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء إلى الخليج وعاد الباشا إلى القلعة .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر رجب من عام١١٩٣هـ الموافق لثانى شهر مسرى القبطى وفاء النيل المبارك ثم زاد فى ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى الماء فى الخليج بنفسه وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريًا وفيه المراكب فلم تحصل الجمعية ولم ينزل الباشا على العادة .

وفى يوم الجمعة عاشر شعبان من عام ١١٩٤هـ الموافق لسابع مسرى القبطى أوفى النيل المبارك وكسر السد فى صبحها يوم السبت بحضرة إبراهيم بك قائمقام مصر والأمراء .

وفى يوم الأحد المبارك ليلة النصف من شعبان من عام ١١٩٥ هـ الموافق لاول مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك ونزل الباشا وكسروا السد بحضرته على العادة صبح يوم الاثنين .

وفى هذه السنة (١١٩٦ هـ) قصر مد النيل وانهبط قبل الصليبة بسرعة فشرقت الاراضى القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك وبسبب نهب الأمراء وانقطاع الوارد من الجهة القبلية وشطح سعر القمح إلى عشرة ريالات الاردب واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد بك إلى بنى سويف واقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ونهبوا كل ما مر بهم فى المراكب الصاعدة والهابطة .

وانقضت هذه السنة (١١٩٨ هـ) كالتى قبلها فى الشدة والغلاء وقصور النيل والفتن المستمرة وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء وانتشار أتباعهم فى النواحى لجبى الأموال من القرى والبلدان وأحداث أنواع المظالم ويسمونها

مال الجهات ودفع المظالم والفردة حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم فحولوا الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم المعينين فى بيوتهم فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة .

ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خسارتهم من زيادة الأسعار ثم مدوا أيديهم إلى المواريث فإذا مات الميت أحاطوا بموجوده سواء كان له وارث أو لا .

وصار بيت المال من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير .

فحل بالناس ما لا يوصف من انواع البلاء الا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيئًا من حقه فان اشتهروا عليه عوقب على استخراجه .

هذا والغلاء مستمر والأسعار فى الشدة وعز الدرهم والدينار من أيدى الناس وقل التعامل إلا فيما يؤكل وصار سمر الناس وحديثهم فى المجال ذكر المأكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير ولولا لطف الله تعالى ومجىء الغلال من نواحى الشام والروم لهلك أهل مصر من الجوع .

وبلغ الاردب من القمح الفًا وثلثمائة نصف فضة والفول والشعير قريبًا من ذلك واما بقية الحبوب والابزار فقل ان توجد .

واستمر ساحل الغلة خاليًا من الغلال بطول السنة والشون كذلك مقفولة وارزاق الناس وعلائفهم مقطوعة وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم وخروج طائفة ورجوع الاخرى ومن خرج إلى جهة قبض اموالها وغلالها .

وفى يوم الاحد ثامن شهر شوال من عام ١١٩٩هـ الموافق لتاسع مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك وكانت زيادته كلها فى هذه التسعة ايام فقط ولم يزد قبل ذلك شيئًا واستمر بطول شهر ابيب وماؤه اخضر فلما كان اول شهر

مسرى زاد فى ليلة واحدة اكثر من ثلاثة اذرع واستمرت دفعات الزيادة حتى اوفى اذرع الوفاء يوم التاسع وفيه وقع جسر بحر ابى المنجا بالقليوبية فيعينوا له اميرًا فاخذ معه جملة اخشاب ونزل وصحبته ابن ابى الشوارب شيخ قليوب وجمعوا الفلاحين ودقوا له اوتادًا عظيمة وغرقوا به نحو خمسة مراكب واستمروا فى معالجة سده مدة ايام فلم ينجع من ذلك شيء وكذلك وقع ببحر مويس .

وفى يوم الجمعة خامس ربيع الأول من عام ١٢١٣ هـ لثالث عشر مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك فامر صارى عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج إلى النزهة فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم أرسل صارى عسكر اوراقًا لكتخدا الباشا والقاضى وارباب الديوان واصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صحبها وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلى قصر قنطرة السد وكسروا الجسر بحضرتهم وعملوا شنك مدافع ونفوطًا حتى جرى الماء فى الخليج وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسائهم وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها .

وفى يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الأول ١٢١٤ هـ الموافق التاسع مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك فنودى بوفائه على العادة وخرج النصارى من القبطة والشوام والأروام وتاهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة واكتروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغانى وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمراء سابقًا من النزول فى المراكب الكثيرة المقاذيف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين وبعضهم تزيا بزى امراء مصر ولبس سلاحًا وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك واجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها انواع الطبول والمزامير فى البحر

ووقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسوق ما لا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة واسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون ان ينكر احد على احد من الحكام او غيرهم بل كل انسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله وان لم يكن من امثاله . واكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل وباتوا يضربون انواع الطبول والمزامير وفى الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته اكابر الفرنسيس واكابر أهل مصر وحضروا إلى قصر السد وجلسوا به واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة باسلحتهم وطبولهم وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى ان انكسر السد وجرى الماء فى الخليج فانصرف.

وفى سابع جمادى الأولى ١٢١٤هـ بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا فى الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الان انما هى زراعة العام الماضى وأما هذا العام فلا تخرج زراعته إلا فى العام المقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله ورحمته ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

شهر جمادى الأولى من عام ١٢١٦ هـ ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضًا حتى غطى الذراع زاده الفرنساوية على عامود المقياس فإن الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود وزادوا فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم باربعة وعشرين قيراطًا وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء ايضًا ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة ولم يقع فى هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية وخصوصًا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم واوضاعهم وعدم المراكب وتخريب الفرنسيس اماكن النزاهة وقطع الاشجار وتلف

المقاصف التى كانت تجلس بها اولاد البلد مثل دهليز الملك والجسر والرصيف وغير ذلك مثل الكازرونى والمغربى وناحية قنطرة السد وقصر العينى والقصور .

وفى ثامن عشرين ربيع الأول من عام ١٢١٦ هـ الموافق لثالث مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك وركب محمد باشا المعروف بابى مرق المرشح لولاية مصر فى صبحها إلى قنطرة السد وكسروا جسر الخليج بحضرته وفرق العوائد وخلع الخلع ونثر الذهب والفضة.

وكانت زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضى وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرق غالب البلاد التى على السواحل فتهدم من دورها شىء كثير وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسى وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلول البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف وانتهى سعر كل شىء إلى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك فبلغ الرطل الصابون إلى ثمانين نصفًا واللوزة الواحدة بنصفين وقس على ذلك وأما الأشياء البلدية فإنها كثيرة موجودة وغالبها يباع رخيصًا مثل السمن والعسل النحل والأرز والغلال وخصوصًا الأرز فإنه بيع فى أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به فى بلاليص محملة على الحمير ينادون عليه فى الأزقة بأرخص الأثمان .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر ربيع الثانى من عام ١٢١٧هـ الموافق لسادس مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك وكسر السد فى صبحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضى والشنك المعتاد وجرى الماء فى الخليج ولم يطف مثل العادة ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية.

عليه ومعهم الرءوس والاسرى فى أيديهم فعند ذلك سكن جاشه وامتلاء فرحًا ولما مثل بين يديه أحمد بك تابع البرديسى الذى كان اميرًا بدمياط وحسن شبكة ومن معهما قال لأحمد بك يا أحمد بك وقعت فى الشرك فطلب ماء فحلوا كتافه واتوا بماء يشرب فنظر لمن حوله وخطف يقطانًا من وسط بعض الواقفين وهاج فيهم وأراد قتل محمد على باشا وقتل أنفارًا فقام الباشا وهرب إلى فوق وتكاثروا عليه وقتلوه ووضعوا باقى الجماعة فى جنازير وفى ارجلهم القيود وربطوهم بالحوش وهم على الحالة التى حضروا فيها من العرى والحقارة والذلة .

يوم الاربعاء ثامن عشرين جمادى الأولى من عام ١٢٢١هـ الموافق لثامن مسرى القبطى أوفى النيل: اذرعه وركب الباشا فى صبيحة يوم الخميس إلى قنطرة السد وحضر القاضى والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج جريانًا ضعيفًا بسبب علو ارضه وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه ويقال إنهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع وخصوصًا وقد وصل إلى بر الجيزة الكثير من أجناد الألفى .

وفى يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأخرة من عام ١٢٢٢هـ الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل اذرعه وذلك بعد أن حصل فى الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات وزادت أثمانها فلما حصل الوفاء اطمان الناس وتراجعت إليهم أنفسهم وأظهروا الغلال فى العرصات والرفع وركب كتخدا بك فى صبح يوم السبت وكذلك القاضى وطوسون ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج .

فلما كان يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة من عام ١٢٢٣هـ وخامس عشر مسرى القبطى نقص النيل نحو خمسة أصابع وانكشف الحجر الراقد الذى عند فم الخليج تحت الحجر القائم فضج الناس ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل فى العام الماضى وهيفان الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع فى ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال

بالخروج إلى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوى ينبغى ان ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال إنا لست بظالم وحدى وانتم اظلم منى فانى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم اكرامًا لكم وآنتم تاخذونها من الفلاحين وعندى دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص تبلغ ألفى كيس ولا بد أنى أفحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحيته ارفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والتقيا فى صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون إليه فى زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم والأطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا إلى الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد أن صلى الاستسقاء ودعا الله وامن الناس على دعائه وحول ردائه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وفى تلك الليلة رجع الماء إلى محل الزيادة الأولى واستتر الحجر الراقد بالماء .

وفى يوم الإثنين خرجوا أيضًا وأشار بعض الناس باحضار النصارى أيضًا فحضروا وحضر المعلم غالى ومن يصحبه من الكتبة الأقباط وجلسوا فى ناحية من المسجد يشربون الدخان وانفض الجمع ايضًا .

وفى تلك الليلة التى هى ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودى بالوفاء وفرح الناس وطفق النصارى يقولون أن الزيادة لم تحصل إلا بخروجنا .

فلما كانت ليلة الأربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة .

وفى صبحها حضر الباشا والقاضى واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء فى الخليج جريانًا ضعيفًا لعلو أرض الخليج وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه من مدة سنين وكان ذلك يوم الاربعاء غرة شهر رجب وتاس عشر مسى القبطى .

وفى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الأخرة من عام ١٢٢٤ هـ الموافق لخامس مسرى القبطى اوفى النيل المبارك ونودى بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس

لأجل الفرجة والضيافات فى الدور المطلة على الخليج فلما كان أخر النهار برزت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة فبرد طعام أهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضى وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج وانفض الجمع ..

وفى أواخر شهر رمضان حرروا دفتر الأطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شىء كما وقع فى العام الماضى والذى قبله فى المراجعة بحسب الرى و الشراقى وأما فى هذه السنة فليس فيها شراقى فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الرى فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الأعالى وتلف بزيادته المفرطة الدراوى والاقصاب بقبلى وكذلك غرق مزارع الأرز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى بسبب انسداد الترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلى وأرسل بطلبها ليطلع عليها فسافر إليه المعلم غالى وأخذ صحبته أحمد أفندى اليتيم من طرف الروزنامة وعبد الله بكتاش الترجمان فذهبوا إليه بأسيوط وآطلعوه عليها فحتم عليها وانقضى شهر رمضان .

فى شهر ربيع الأخر من عام ١٢٢٥هـ منتصف شهر بشنس القبطى زاد النيل زيادة ظاهرة أكثر من ذراع ونصف واستمر أياما ثم رجع إلى حاله الأول وهذا من جملة عجائب الوقت .

وفى يوم السبت عاشر جمادى الثانية من هذا العام الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضى وباقى الأعيان وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الأحد وجرى الماء فى الخليج .

وفى شهر شعبان من ذلك العام (١٢٢٥هـ) اختل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه شرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتعين لسدها ديوان أفندى وأخذ معه مراكب وأحجارًا وأخشابًا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك

تابع الأشقر مقيمًا عليها لخفرتها وليمنع مرور المراكب ويقوى ردمها لئلا تنحرها المياه فيزداد اتساع الخرق .

وفى هذه الأيام توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وهكذا فأشار بالاجتماع بالاستسقاء بالأزهر فتجمع القليل ثم تفرقوا وذلك يوم الثلاثاء رابعه وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضًا واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القساوقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائد وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصى المفضضة وعملوا فى ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات وأسمطة وسكردانات عند جميز العبد ويقولون أن النيل لما توقفت زيادته فى العام الذى قبل العام الماضى وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى فى ثانى يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا أصل له على أنه لا استغراب للزيادة فى أوانها وهذه الأيام أيضًا أواخر مسرى وأيام النسىء وفيها قوه الزيادة وأيام النوروز .

وفى خامس عشرينه زاد النيل ورجع ما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين وثبت إلى أواخر توت واطمأن الناس .

فى ثانى عشرين جمادى الآخرة من عام ١٢٢٦هـ يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطى أوفى النيل اذرعه وكسر السد فى صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس . ومنها أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ فى الزيادة مبلغًا عظيمًا حتى غرق الزرع الصيفى والدراوى ولما انحسر عن الأرض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة فى الارض فتولدت فيه الدودة واكلت الذى زرع فبذروه ثانية فأكلته أيضا وفحش أمر الدودة جدًا فى الزرع البدرى وخصوصًا بإقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقى الاقاليم .

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة ١٢٢٧ فى رابعه يوم الأربعاء الموافق لسابع مسرى القبطى اوفى النيل المبارك ادرعه ونزل الباشا فى صبح يوم الخميس فى جم غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضى وجرى الماء فى الخليج ومنع المراكب من دخولها الخليج .

وفى عام ١٢٢٧هـ ايضاً وهى من الحوادث الغريبة التى لم يتفق فى هذه الاعصار مثلها ان فى اواخر ربيع الاخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون إلى قـ يب إنبابة بمداساتها وكذلك بحر مصر القديمة بقى مخاضًا وفقدت أهل الـاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تسخير السقائين ونادى الأغا والوالى على ان يكون حمل القربة للمكان البعيد باثنى عشر نصف فضة استهل شهر بشنس القبطى فزاد النيل فى اوله فى ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد فى كل يوم وليلة مثل دفعات اواخر ابيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثئ مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوى وما كان مزروعًا بالسواحل وهو شيء كثير جدًا استمرت الزيادة نحو عشرين يومًا حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التى فى غير وقتها حتى اعتقدوا انه يوفى اذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم انى طالعت فى تاريخ الحافظ المقريزى المسمى بالسلوك فى دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترافدت هذه الزيادات خرج الوالى إلى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل فى سد فم الخليج ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكسح اوساخه وقطع ارضه ثم وقفت الزيادة بل نقص قليلاً وزاد فى اوان الزيادة على العادة واوفى اذرعه فى ايامه المعتادة ومنها شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس إلا ما بقى بأيدى فلاحى الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير إلى العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل أردب بأربعة وعشرين قرشًا خلاف المكس والكلف واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة وإجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية او نحوها مائة نصف واقل واكثر واجرته من بولاق إلى مصر خمسة وعشرون نصفًا .

وفى يوم الخميس رابع عشرين شعبان من عام ١٢٢٩هـ الموافق لسادس شهر مسرى القبطى أوفى النيل المبارك اذرعه فداروا بالرايات ونودى بالوفاء وكسروا

السد فى صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضى والجم الغفير من العساكر .

وفى يوم السبت تاسع عشرين شعبان من عام ١٢٣٠ هـ الموافق لأخر يوم من شهر أبيب القبطى أوفى النيل المبارك اذرعه وكان ذلك اليوم أيضًا ليلة رؤية هلال رمضان فصادف حصول الموسمين فى ان واحد فلم يعمل فيها موسم ولا شنك على العادة ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم وكذلك شنك قطع الخليج وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله وعند السد وكذلك فى صبحه وفى البيوت المطلة على الخليج فبطل ذلك ولم يشعر بهما احد وصام الناس باجتهادهم وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر فإن النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر أبيب إلا شيئًا يسيرًا حتى حصل فى الناس وهم زائد وغلا سعر الغلة ورفعوها من السواحل والعرصات فأفاض المولى فى النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة وفى ليلتين أوفى اذرعه قبل مظنته فان الوفاء لا يقع فى الغالب إلا فى شهر مسرى ولم يحصل فى أواخر أبيب إلا فى النادر وانى لم أدركه فى سنين عمرى أو فى أبيب إلا مرة واحدة وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعًا وأربعين وفيه أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقى فطلع إليه وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفرته فلما واجهه قال له هذا الذى حصل للناس من نهب أموالهم فى صحائفى والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد أخرى وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها على وجه التحرير والصحة وأنا أقوم لهم بدفعه بالغًا ما بلغ فشكر له ودعا له ونزل إلى داره وعرف الناس بذلك وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان وطلع إلى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بك ودبوس أوغلى وحجو بك ومحو بك واعتذروا وتنصلوا وذكروا واقروا ان هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ولا يخفاه خبث طباعهم فتقدم إليهم بأن يتفقدوا بالفحص وإحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم وشدد عليهم فى الأمر بذلك فأجابوه بالسمع والطاعة

وامتثلوا لأمره واخذوا فى جمع ما يمكنهم وإرساله إلى القلعة وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وأمامهم المناداة بالأمان واحضر الباشا المعمار وأمره بجمع النجارين والمعمرين وأشغا هم فى تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ويدفع لهم أجرتهم وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

وفى منتصف شعبار من عام ١٢٣١هـ يوم الجمعة الموافق الرابع من شهر مسرى القبطى أوفى النيل اذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت .

فى شهر شعبان من عام ١٢٣٣هـ وفى اثناء ذلك زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك فى منتصف بؤنه القبطى وغرق المقاثىء من البطيخ والخيار والعبدلاوى واهمل امر الحفر فى الترعة المذكورة إلى ما بعد النيل واستردت الدراهم التى اعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة وفرحوا بذلك الاهمال وقد كان اطلق الباشا لمصارفها اربعة الاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون إلى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ليطلع عليها الباشا عيانًا وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان .

ومنها زيادة النيل فى هذا العام (١٢٣٣هـ) الزيادة المفرطة التى لم نسمع ولم نر مثلها حتى غرقت الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والأرز وأكثر الجنائن بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق الكثير من الناس والحيوان حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة حتى كانت المراكب تمشى فوق جزيرة الروضة وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصًا الذرة الذى هو معظم قوتهم وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف .

وفى شهر شعبان من عام ١٢٣٢هـ فى اليوم الموافق لثامن عشرة شهر ابيب القبطى اوفى النيل اذرعه فاخروا فتح سد الخليج ثلاثة ايام العيد ونودى بالوفاء يوم الاربعاء وحصل الجمع يوم الخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضى ومن له عادة بالحضور فكان جمعًا وازدحامًا عظيمًا من اخلاط العالم فى جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار فى الحريقة واحترق فيها أشخاص ومات بعضهم .

ومنها أن الباشا زاد فى هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج فدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين وهى زيادة النيل وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان فإن من عادة الفلاحين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والدراوى وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ويكون ذلك مبادى زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحى وقائمقام الملتزمين والصيارف والعينون وخلت النواحى منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون أعراسهم ويجدون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون جسورهم وحبوسهم فإذا أخذ النيل فى الزيادة شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم حتى إذا انحسر الماء وانكشفت الأراضى وآن أوان التحضير وزراعة الشتوى من البرسيم والغلة وجدوا ما يسدون به مال التجهية وما يرقعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحاريث وتقاوى وأجر عمال ونحو ذلك فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين الأرضية والسماوية ورحل الكثير عن أهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزياجة قبل زيادة النيل ومجىء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤ وفى رباع عشره الموافق لأخر يوم من شهر أبيب نودى بوفاء النيل وكان الباشا سافر إلى جهة الإسكندرية بسبب ترعة الأشرفية وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل فاخذوا فى جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط انهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول واخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما هم الا والطلب للعود إلى الشغل فى الترعة ونزح المياه التى لا ينقطع نبعها من الارض وهى فى غاية الملوحة والمرة الأولى كانت فى شدة البرد وهذه المرة فى شدة الحر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا

على الجمال مع بعد المسافة وفى سابع عشرينه ارتحل ركب الحجاج من البركة وامير الحاج عابدين بك اخو حسن باشا .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤ والعمل فى الترعة مستمر .

وانقضت السنة وما تجدد بها من الحوادث التى منها زيادة النيل الزيادة المفرطة اكثر من العام الماضى وهذا من النوادر وهو الغرق فى عامين متتابعين واستمر ايضًا فى هذه السنة إلى منتصف هاتور حتى فات اوان الزراعة وربما نقص قليلاً ثم يرجع فى ثانى يوم اكثر ما نقص ..

ومن حوادث عام ١٢٣٥هـ زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصًا بعد الصليب وقد كان حصل الاعتناء الزائد بامر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السابقين من التلف فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب وطفى الماء على اعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والارز والقطن واشجار البساتين وغالب اشجار الليمون والبرتقال بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الارض المنوعة نبعًا ولا عاصم من امر الله وطال مكث الماء على الارض حتى فات اوان الزراعة ولم نسمع ولم نر فى خوالى السنين تتابع الغرقات بل كان الغرق نادر الحصول وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ونبع الماء من الاراضى الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة وجامع الامير حسين ونحو ذلك .

ومنها أن ترعة الإسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود فتحوا لها شرمًا دون فمها المعد لذلك وامتلأت بالماء فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء فى المواضع الوطية وغرقت الأراضى فسدوا ذلك الشرم وابقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين فكانوا ينقلون منها إلى مراكب البحر ومن البحر إلى مراكبها وبقى ماؤها مالحًا متغيرًا ومنها انه لما وقع القياس فى أراضى القرى قرروا مسموحًا لمشايخ البلاد فى نظير مضايقهم خمسة افدنة من كل مائة فدان وفى هذا العام يدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل اوانه وما صدقوا انهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء وكانوا ايضًا طولبوا فى السنين

الخوالى التى كانوا عجزوا عنها ولم يزك رمى الغلال فى هذه السنة وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم فانه ربما يجىء على الواحد ألف ريال واقل واكثر وقد قاسوا الشدائد فى غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والارز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك .

وفى أثر ذلك فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشًا وعلى الجمل ستون قرشًا وعلى الشاة قرش والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفًا وثلث البقرة خمسة عشر والفرس كذلك .

ومنها احتكار الصابون ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجارة بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن وهو شىء كثير ويستقر ثمنه على ستين نصفًا بعد أن كان بخمسين جردًا من غير نقو .ومنها ما احدث على البلح بأنواعه وما يجلب من الصعيد والأبريمى وأنواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بأزيد من ذلك وفى هذه السنة لم تثمر النخيل إلا القليل جدًا ولم يظهر البلح الأحمر فى أيام وفرته ولم يوجد بالأسواق إلا أياما قليلة وهو شىء ردىء وبسر ليس بجيد ورطله بخمسة أنصاف وهى ثمن العشرة أرطال فى السابق وكذلك العنب لم يظهر منه الا القليل وهو الفيومى والشرقاوى وقد التزم به من يعصره شرابًا باكياس كثيرة مثل غيره من الاصناف وغير ذلك جزئيات لم يصل الينا علمها ومنها ما وصل الينا علمها واهملنا ذكرها .

وانقضت سنة ١٢٣٦هـ وما تجدد بها من الحوادث وأنقضى بعضها والبعض باق إلى الآن . فمنها توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم اذرع الوفاء إلى ثامن عشر مسرى القبطى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون . ومنها امر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى الفًا ومائتى نصف والمجر والفندقلى عشرين قرشًا عنها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسة اربعة عشر قرشًا عنها خمسمائة نصف وستون نصفًا وقس على ذلك باقى الاصناف . ومنها غلو الاثمان

فى جميع المبيعات من ملبوسات وماكولات والغلال حتى وصل الإردب إلى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن إلى خمسين نصفًا وإلى ستين نصفًا وقس على ذلك .

■ الوثائق الرسمية المُتضمنة فى كتاب الجبرتى:

فى ثانى عشر القعدة سنة اثنتين ومائة وألف حضر قره سليمان من الديار الرومية ومعه مرسوم مضمونه الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان إبراهيم فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة .

وفى ثالث عشر صفر سنة ثلاث ومائة وألف ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن وتولى إمارة مكة فأرسل الباشا عرضًا إلى السلطنة بذلك.

وفى ١٢ رمضان من عام ١١٠٨هـ " أحضر الباشا الشيخ محمد الزرقانى أحد شهود المحكمة بسبب أنه كتب حجة وقف منزل آل إلى بيت المال فأمر بحلق لحيته وتشهيره على جمل فى الأسواق والمنادى ينادى عليه : هذا جزاء من يكتب الحجج الزور.

وفى ثامن ربيع أول ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعة من الصناجق فتولى إبراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحج حالاً عوضًا عن أغات مستحفظان ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضًا عن كتخدا مستحفظان وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضًا عن كتخدا العزب وإسمعيل بك على أوقاف الحرمين عوضًا عن باش جاويش مستحفظان. فألبسهم على باشا قفاطين على ذلك .

وكان الأمير عثمان بك ذو الفقار بكره الأمير خليل بك قطامش وطلع بالحج أميرًا سنة ثمان وخمسين ومائة وألف و لم يحصل فى أمارته على الحجاج راحة وكانت لا تعجبه أحواله ولما وقع للحجاج ما وقع فى أمارته ووصلت الأخبار إلى مولاى عبد الله صاحب المغرب وتأخر بسبب ذلك الراكب عن الحج فى السنة الأخرى أرسل مكتوبًا إلى علماء مصر وأكابرهم ينقم عليهم فى ذلك ويقول فيه: وإن مما شاع بمغربنا والعياذ بالله وذاع وانصدعت منه صدور أهل الدين والسنة أى انصداع وضاقت من أجله الأرض على الخلائق وتحمل من فيه أيمان لذلك ما ليس بطائق من تعدى أمير حجكم على عباد الله وإظهار جرأته على زوار رسول الله فقد نهب المال وقتل الرجال وبذل المجهود فى تعديه الحدود وبلغ فى خبثه الغاية وجاوز فى ظلمه الحد و النهاية فيالها من مصيبة ما أعظمها و من داهية دهماء ما أجسمها فكيف يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم يهان أو يضام حجاج بيت الله الحرام وزائرو نبينا عليه الصلاة والسلام وبسببها تأخر الركب هذه السنة لهنالك وأفصحت لنا علماء الغرب بسقوطه لما ثبت عندهم ذلك فيا للعجب كيف بعلماء مصر و من بها من أعيانها لا يقومون بتغيير هذا المنكرالفادح بشيوخها وشبانها . فهى والله معرة تلحقهم من الخاص والعام إلى آخر ما قال فلما وصل الجوار وأطلع عليه الوزير محمد باشا راغب أجاب عنه بأحسن جواب وأبدع فيما أودع من درر وغرر تسلب عقول أولى الألباب يقول فيه بعد صدر السلام وسجع الكلام : ينهى بعد أبلاغ دعاء نبع من عين المحبة وسما وملأ بساط أرض الود وطما أن كتابكم الذى خصصتم الخطاب به إلى ذوى الإفاضة الجلية النقية سلالة الطاهرة الفاخرة الصديقية أخواننا مشايخ السلسلة البكرية تشفت أنظارنا بمطالعة معانيه الفائقة والتقطت أنامل آذهاننا درر مضامينه الكافية الرائقة التى آدرجتم فيها ما آرتكبه أمير الحاج السابق فى الديار المصرية فى حق قصاد بيت الله الحرام وزوار روضة النبى الهاشمى عليه أفضل الصلاة والسلام . فكل ما حررتموه صدر من الشقى المذكور بل أكثر مما تحويه بطون السطور لكن الزارع لا يحصد إلا من جنس زرعه فى حزن الأرض وسهله ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله لأن الشقى

المذكور لما تجاسر إلى بعض المنكرات فى السنة الأولى حملناه إلى جهالته وأكتفينا بتهديدات تلين عروق رعونته وتكشف عيون هدايته فلم تفد فى السنة الثانية إلا الزيادة فى العتو والفساد ومن يضلل الله فما له من هاد . ولما تيقنا أن التهديد بغير الأيقاع كالضرب فى الحديد البارد او كالسباخ لا يرويها جريان الماء الوارد هممنا باسقائه من حميم جراء أفعاله لآن كل أحد من الناس مجزى بأعماله فوفقنى الله تعالى لقتل الشقى المذكور مع ثلاثة من رفقائه العاضدين له فى الشرور وطردنا بقيتهم بأنواع الخزى إلى الصحارى فهم بحول الله كالحيتان فى البرارى وولينا إمارة الحج من الأمراء المصريين من وصف بين أقرانه بالإنصاف والديانة وشهد له بمزيد الحماية والصيانة . والحمد لله حق حمده رفعت البلية من رقاب المسلمين خصوصًا من جماعة ركبوا غارب الاغتراب بقصد زيارة البلد الأمين . فإن كان العائق من توجه الركب المغربى تسلط الغادر السالف فقد انقضى أوان غدره على ماشرحناه وصار كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف والحمد لله ما منحنا من نصرة المضلومين وأقدرنا على رغم أنوف الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين والحمد لله رب العالمين تحريرًا فى سادس عشر المحرم افتتاح سنة ١١٦١هـ ..

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين وألف فكان ابتداؤها المحرم يوم الخميس وفى ذلك اليوم وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات فعملوا فى صبحها ديوانًا بقصر العينى وقرئت المرسومات فكان مضمون احدها تقرير العابدى باشا على ولاية مصر والثانى الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين وإبعادهم من القطر المصرى والثالث بطلب الافرنجى المرهون إلى الديار الرومية فلما قرئ ذلك عمل عابدى باشا شنكًا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة وانكسف بال إسماعيل كتخدا بعد أن حضر إليه المبرش بالمنصب واظهر البشر والعظمة وانفذ المبشرين ليلاً إلى الأعيان ولم يصبر إلى طلوع النهار حتى أنه أرسل إلى محمد افندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل وأعطاه مائة دينار وحضر إليه الأمراء وفى يوم الجمعة ثانى عشره رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلى وبيده جوابات وأخبر أن إبراهيم بك الكبير ترفع إلى قبلى وصحبته إبراهيم بك الوالى وسليمان بك الأغا وأيوب بك .

وفى يوم الأحد رابع عشره عمل الباشا ديوانًا حضره المشايخ والأمراء فلم يحصل سوى سفر الإفرنجى .

وفى أواخره حضر سراج باشا إبراهيم بك وبيده جوابات يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا إلى ذلك وكتبت لهم جوابات بذلك وسافر السراج المذكور.

وفى ثالث شهر جمادى الأولى وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات مضمونها ولاية إسماعيل كتخدا حسن باشا على مصر واخبروا أن حسن باشا دخل إلى اسلامبول فى ربيع الأول ونقض ما ابرمه وكيل عابدى باشا وألبس قابجى كتخدا إسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الثانى وتعى قابجى الولاية وخرج من اسلامبول بعد خروج الططر بيومين وحضر الططر فى مدة ثلاثة وعشرين يومًا فلما وصل الططر سر إسمعيل كتخدا سرورًا عظيمًا وأنفذ المبشرين إلى وفيه ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين إلى المنية وسافر رضوان بك إلى المنوفية وقاسم بك إلى الشرقية وعلى بك الحسنى إلى الغربية.

وفى شهر جمادى الأخرة فيه حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغوات وهم عريف أغا وعلى أغا وإدريس أغا وإسمعيل أغا فحنق لذلك جوهر أغا دار السعادة وشرع فى كتابة مرافعة . وفى عاشره وصل فرمان لإسماعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة . وفى يوم الأحد عمل إسمعيل باشا المذكور ديوانًا فى بيته بالأزبكية وحضر الأمراء والمشايخ وقرءوا المكاتبة وفيها الأمر بحساب عابدى باشا وبعد انفضاض الديوان أمر الروزنامجى والأفندية بالذهاب إلى عابدى باشا وتحرير حساب الستة اشهر من أول توت إلى برمهات لأنها مدة إسمعيل باشا وما أخذه زيادة عن عوائده واخذ منه الضربخانة وسلمها إلى خازنداره وقطعوا راتبه من المذبح .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه ورد مرسوم من الدولة فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم وقرأوه وفيه الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو فانهم تغلبوا واستولوا على قلاع ومدن عظيمة من مدن المسلمين وكذلك يدعون له بعد الاذان فى كل وقت وامر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخارى فى كل يوم ورتب لهم فى كل يوم

مائتين نصف فضة لكل مدرس عشرون نصفًا من الضربخانة ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان.

فى رابع شعبان من ذلك العام وصل إلى مصر أغا معين بإجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه فعمل الباشا ديوانًا وقرأ المرسوم الوارد بذلك بحضرة الجمع والسبب فى تأخيره لهذا الوقت الاهتمام بأمر السفر واشتغال رجال الدولة بالعزلة والتولية وورد الخبر ايضًا بعزل حسن باشا من رياسة البحر إلى رياسة البر وتقلدا الصدارة وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلى وأخبروا أيضًا بقتل بستحى باشا .

وفى آواخره حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية وبيده اوامر وفيها الحث على محاربة الأمراء القبالى والخطاب للوجاقلية وباقى الأمراء بان يكونوا مع إسمعيل بك بالمساعدة والاذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة مع تشهيل الخزينة للدولة.

وفى عاشر شعبان وصل ططرى وعلى يده اوامر منها حُسن عيار المعاملة من الذهب والفضة وان يكون عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطًا ويصرف بمائة وعشرين نصفًا بنقص اربعة انصاف عن الواقع فى الصرف بين الناس والاسلامبولى بمائة واربعين وينقص عشرة والفندقلى بمائتين بنقص خمسة والريال الفرانسة بمائة بنقص خمسة ايضًا والمغربى بخمسة وتسعين بنقص خمسة ايضًا وهو المعروف بأبى مدفع والبندقى بمائتين وعشرة بنقص خمسة عشر فنزل الآغا.

وفى شهر ربيع الأول عام ١٢١٣هـ شرعوا فى ترتيب ديوان اخر وسموه محكمة القضايا وكتبوا فى شأن ذلك طومارًا . وشرطوا فيه شروطًا ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة انفار من تجار المسلمين وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبًا عند ايوب بك الدفتردار وفوضوا اليهم القضايا فى امور التجار والعامة والمواريث والدعاوى وجعلوا لذلك الديوان قواعد واركانًا من البدع السيئة وكتبوا نسخًا من ذلك كثيرة ارسلوا منها إلى الأعيان

ولصقوا منها نسخًا فى مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد وشرطوا فى ضمنه شروطًا وفى ضمن تلك الشروط شروطًا أخرى بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ومحصله التحيل على أخذ الأموال كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك فإذا احضروها وبينوا وجه تملكهم لها إما بالبيع أو الإنتقال لهم بالإرث لا يكتفى بذلك بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار فإن وجد تمسكه مقيدًا بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ويدفع على ذلك الإشهاد بعد ثبوته وقبوله قدرًا أخر ويأخذ بذلك تصحيحًا ويكتب له بعد ذلك تمكين وينظر بعد ذلك فى قيمته ويدفع على كل مائة أثنين فإن لم يكن له حجة أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل او مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد فإنها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم وهذا شيء متعذر وذلك أن الناس انما وضعوا ايديهم على املاكهم أما بالشراء او بأيلولتها لهم من مورثهم أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد أو بحجج أسلافهم ومورثيهم فاذا طولبوا بإثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل فإن قبلت فعل به ما ذكر ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة كقولهم إذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلومًا لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان ايضًا ولا حق فيها للورثة وإن فتحت على الرسم بإذن الديوان يدفع على ذلك الاذن مقررًا أو كذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وكذلك من يدعى دينًا على الميت يثبته بديوان الحشريات ويدفع على إثباته مقرر أو يأخذ له ورقة يستلم بها دينه فاذا استلمه رفع مقررًا ايضًا ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئية والكليات والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدرًا وكذلك المولود إذا ولد ويقال له إثبات الحياة وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك وغير ذلك .

وفى يوم الأحد سابع عشرشوال سنة ١٢١٣هـ رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الأغراب ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته خطابًا لأهل مصر وبلاق ومصر القديمة ونواحيها : انكم تمتثلون هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص العظيم وهى المحافظة من تشويش الكبة وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو رَبع يلزمهم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة ويجب قفل ذلك المكان ويلزم شيخ الحارة او السوق الذى فيه ذلك ان يخبر حالاً قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قائمقام مصر واقاليمها ويكون ذلك فورًا . وكذلك كل ملة من سكان مصر واقاليمها وجوانبها والاطباء اذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قائمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش وكل من كان عنده خبر من كبار الاخطاط او مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قائمقام ويجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير وملزوم ايضًا من اصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى أخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله وكل رئيس ملة فى خط إذا لم يخبر بالنكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بها أيضًا حالاً فوريًا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت والمغسل إن كان رجلاً أو إمراة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أوشك فى موته ولم يخبر قبل مضى اربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصه الموت وهذه الاوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائمقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام .

ومضمون الثانية :الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسنى قائمقام يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهون لها وكل من

خالف يحصل له مزيد الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو إقليم أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد ولا يتأخر عن الأخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدمه منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أى طائفة أو ضيفًا أو تاجرًا أو زائرًا أو غريمًا مخاصمًا لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديًا ومذنبًا وخائنًا ومواليًا مع المماليك .

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالاً فرانسة فى المرة الأولى وأما فى المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ونخبركم أن الأمر بهذه الاحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة ١٢١٣ هـ فى سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم آخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبًا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق فكونوا مطمئنين وبعد سبعة أيام نحضر عندكم بسلام.

وفى خامس عشرين القعدة فى تلك السنة وصلت مراسلة من المذكور خطابًا للمشايخ بالشام ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدائه ويتحفظون على الأمتعة التى أخذوها فإنها من متعلقات الدولة فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب فى شأنه فإنه من الجائز أنه يكذب فى قوله ..

وفيه ثبت أن محمد بك الألفى مر من خلف الجبل وذهب إلى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى وقدم له وفى سابع عشرينه لخص الفرنساوية طومارًا

قرئ بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك . وصورتها: من محفل الديوان الكبير بمصر بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة سارى عسكر الكبير خطابًا منه إلى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه . وفى هذا الشهر كتبوا أوراقًا بأوامر

ونصها : من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة إننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النساء المشهورات لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يومًا من تاريخه أعلاه لجميع الناس إن كان فرنساويًا أو مسلمًا أو روميًا أو نصرانيًا أو يهوديًا من أى ملة كان كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة النساء المشهورات إن كان فى بيوت العسكر أو من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضًا يقاصصن بالموت . سادس عشرينه كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق:

مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل . وفيه ألصقوا أوراقًا أيضًا مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يومًا عوقب بما يليق به ونادوا بموجب ذلك بالأسواق .

وفى سابع عشرينه كتبوا أوراقًا أيضًا مضمونها انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس ومن أراد استثمار شىء من ذلك فليحضر إلى الديوان ويأخذ ما يريد بالمزاد . وفيه أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسًا دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون فى

البعض الباقى فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه.

وفى ثامن عشرينه تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضًا فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة مائة كيس فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا(تشاوروا) فى مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على دينكم وادفعوا الخراج الذى عليكم الدين النصيحة والسلام . وفيه كتب المشايخ عدة أوراق وأرسلوا منها نسخًا للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق ذلك على لسان المشايخ أيضًا ولكن تزيد صورتها عن الأولى. •

وصورتها: نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن إبراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظًا شديدًا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وتركوا عيالهم وأوطانهم فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارًا مع أغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائمًا يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنساوية والموسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة،والطائفة الفرنساوية يعادون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشىء من أنواع

الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدًا فى دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفى عشرينه كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها أن فى يوم الجمعة حادى عشرينه قصدنا أن نطير مركبًا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم فرأيت قماشًا على هيئة الأدية على عمود قائم وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال وفى وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها إلى الدائرة وهى مشدودة ببكر وأحبال وأطراف الأحبال بأيدى أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها إلى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصار مثل البكرة وطلب الدخان الصعود إلى مركزه فلم يجد منفذًا فجذبها معه إلى العلو فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض فقطعوا تلك الحبال فصعدت إلى الجو مع الهواء ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة وسقط أيضًا ذلك القماش وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير فى الهواء بحكمة مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات بل ظهر أنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٣هـ استهل بيوم الثلاثاء وفيه قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع فى بحر النيل وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئًا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر.

وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام وطلبوا وهيأوا جملة من الهجن وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ثم رسموا على الأهالى عدة كبيرة من الحمير وكذلك عدة من البغال فطلب شيخ الحمارة وأمر بجمع ذلك وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال فاختفى غالب أصحاب الحمير وخاف الناس على حميرهم فامتنع خروج السائقين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير وسقائين الجمال والبراسمية فحصل للناس ضيق بسبب ذلك . وفى يوم الاثنين حادى عشرينه كتبوا أوراقًا ولصقوها بالأسواق على العادة :

ونصها : الحمد لله وحده هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الأنام علماء الإسلام والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية وعفا عفوًا شاملاً وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ورتبه من أربعة عشر شخصًا أصحاب معرفة وإتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان وذلك لأجل قضايا حوايج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه بمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتص من عسكره الذين أساؤوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى وقتل منهم اثنين بقراميدان وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصًا مع النساء الأرامل فإن ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل

خسيس ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس لأنه بلغه آنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة رزقنا اللّه وإياكم التوفيق والتسليم ومن كانت له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم إلا من كان له دعوى شرعية فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية والسلام على أفضل الرسل على الدوام . وفى خامس عشرين رمضان من عام ١٢١٣ هـ ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفى غد يعملون شكنًا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكًا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم وخرج بعض الناس فشاهدهم ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى خرج الأغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف ومشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف الرومى وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه ثم حضر إليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش إلى

غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بك أمين البحرين فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وإحاطتهم حولها فنزلوا قريبًا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل فاستشهد قاسم بك وغيره وانهزم الباقون ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يومًا فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا إلى مصر كما ذكر وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم . وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم إنضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس والبعض لم يرض بذلك فأخذوا سلاحه وأطلقوهم فى حال سبيلهم وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة وفى ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا فى بيوتهم الولائم وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا فى القبح والشناعة . وفى يوم الأربعاء توفى أحمد كاشف المذكور فجأة وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين هم راكبون الهجن وعلى رؤوسهم عمائم بيض ولابسون برانس بيضًا على أكتافهم فذهبوا إلى بيت قائمقام بالأزبكية فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقرأوا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس وأخبار مختلفة . منها أنهم وجدوا ابراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس وعدد كبير منهم وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمائم بيض وجماعة أيضًا ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق وهى التى كانت عند المسلمين على قلعة العريش إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركبانًا بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على

منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقًا وعلى منارة أخرى بيرقًا ثالثًا وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورًا وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند الغرب ضربوا عدة مدافع أيضًا إعلامًا بالعيد وبعد العشاء الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن يلبسوا أحسن ثيابهم ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقًا وأرسلوها إلى البلاد ونصها : فرمان عام موجه من أمير الجيوش إلى أهالى الشام قاطبة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من طرف بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى بعد السلام نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم وإلى أى سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه وإلى أى سبب أيضًا أرسل عساكره إلى قلعة العريش بذلك هجم على أراضى مصر فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجًا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزًا ومعتبرًا والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . إذ كل خير يأتى من الله تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلاً ولا نفع لهم به لأن كل ما نضع به يدنا لابد من تمامه للخير والذى يتظاهر بالغدر يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيدًا أننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا . وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء المساكين .

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارًا بصورة الواقعة وبصموه نسخًا وقرئ بالديوان وألصقوا نسخه المطبوعة بالأسواق وصورته : بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال اسكندر يرتبه خطابًا إلى حضرة سارى عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان فى خان يونس وفى فجر تلك الليلة توجهوا سائرين إلى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة فتوجه إليهم الجنرال مرارًا مع عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزار فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية مات عسكرى واحد ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلائل وحين تشاغل سارى عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة سارى عسكر كلهبر الذى كان حاكمًا بالاسكندرية وكان ساكنًا بالأزبكية إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعًا وحاصلاً كبيرًا مملوءًا بالخيام الكثيرة وجللاً وبنبات مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقًا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء اللَّه وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام .

وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر واختفائهم بالليل جملة كافية وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجىء وزيارة الإخوان ليلاً والمشى على العادة بالفوانيس ودونها واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ووقود المساجد صلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والنقول وترجى المأمول وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار . ثم دخلت سنة أربع عشر ومائتين وألف استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم فلما كان فى

ثانى يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبًا مترجمًا ونسخته : صورة جواب من العرضى قدام عكا وفى سابع عشرين فريبال الموافق لحادى عشر شهر الحجة ١٢١٣ من بونابارته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى محفل ديوان مصر نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر فإنى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يومًا وجائب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجرًا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد إلى طريق البحر والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت ومن جملة ثلاثين مركبًا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب منهم عدم وإنى بغاية الشوق إلى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم لكن جملة فلاتية دائرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر فى وقت دخولى كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس ومنتوره مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جدًا والسلام . منتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبًا متبحرًا ويعرف اللغة التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع إلى مصر أرسل بونابارته مكاتبة إلى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببًا .

الأول : الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جاءت الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج .

الثانى : الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الإنكليز قدام يافا .

الثالث: الطاعون الذى رقع فى العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريًا .

الرابع : عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .

الخامس: وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى.

السادس : بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد ..

السابع: المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب .

الثامن: ورود الإنكليز تجاه الاسكندرية ودمياط .

التاسع: ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

العاشر: ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء ..

الحادى عشر: ورود جواب مكتوب منا لتيبو أحد ملوك الهند، كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا. .وتيبو هذا هو الذى كان حضر إلى اسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الإنكليز المحاربين له فى بلاده فوعدوه ومنوه وكتبوا له أوراقًا وأوامر وذلك فى سنة ١٢٠٢ أيام السلطان عبد الحميد وقد سبقت الإشارة إليه فى حوادث تلك السنة وهو رجل كان مقعدًا تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم ثم إنه توجه إلى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره إلى مصر واتفق معه على أمر فى السر لم يطلع أحد غيرهما ورجع إلى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان ثم إن تيبو المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به.

الثانى عشر: موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

الثالث عشر: سمع أن رجلاً يقال له مصطفى باشا أخذه الإنكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

الرابع عشر: أن الجزار آنزل ثقله بمراكب الإنكليز وعزم على آنه عندما تملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم .

الخامس عشر: لزوم ومحاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب انتهى. وفى تاسع عشرمحرم من عام ١٢١٤هـ هلك مخاييل كحيل النصرانى الشامى وهو من رجال الديوان الخصوصى فجأة وذلك لقهره وغمه وسبب ذلك أنهم قرروا عليه فى السلفة ستة آلاف ريال فرانسة وأخذ فى تحصيلها ثم بلغه أن آحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من وفيه كتبوا أوراقًا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء . وصورتها: من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر خطابًا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة النصيحة من الإيمان قال تعالى فى محكم القرآن : ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقال تعالى وهو أصدق القائلين فى الكتاب المكنون : ولا تطيعوا آمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فعلى العاقل أن يتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحذور نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية ونزل بعسكره فى العادلية سليمًا من العطب والأسقام ودخل إلى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية وكان يومًا عظيمًا مشهودًا وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه وهو الأمير الأول بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه شرح الله صدره للإسلام والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية وتعطيل الأموال الديوانية لا يحبون راحة العبيد وقد أزال اللّه دولتهم من شدة ظلمهم أن بطش ربك لشديد وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعيايدة الفجرة المفسدين يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين إن ربك لبالمرصاد

ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال أنها ليس بحاضرة فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر مثل ما كان يفعل إبراهيم بك فى غزة حيث كان ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ويدعى أنها من طرف السلطان ويصدقه أهل الأرياف خسفاء العقول ولا يقرأون العواقب فيقعون فى المصائب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفًا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم فإن المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكان أهل الصعيد أحسن عقلاً من أهل بحرى بسبب هذا الرأى السديد ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخيار والأشرار وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها وأحبوا اجتماعهم عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده أن يصل إلى قطيا فتوجه حضرة سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ونادوا : الفرار الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف وملك قلعة العريش وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى فى رعيتها بالأمان وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية وإكرام العلماء والتجار والأعيان ثم انتقل إلى الرملة وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب أكثر من ألفى قربة كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه إلى مصر ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخائر الجزار بالتمام ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه وقتل منهم نحو أربعة آلاف أو يزيدون بعدما هدم سورها وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم وجهزهم فى المراكب إلى مصر وغفرهم بعسكره خوفًا عليهم من العربان وأجزل عطاياهم وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعًا وبعضهم ما نجاه إلا الفرار ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس فكسر

من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان ثم آخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر حتى إنه يقال كان هناك مدينة وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين وظلم فى بنيانها عباد اللّه وهكذا عاقبة بنيان الظالمين ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة فهل ترى لهم من باقية نزل عليهم كصاعقة من السماء ثم توجه راجعًا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين : الأول : أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحرين . والسبب الثانى : أنه بلغه آن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية وحبه لمصر وأقاليمها شىء عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد اللّه وارضوا بتقدير اللّه وامتثلوا لأحكام اللّه ولا تسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ولا تتسببوا فى نهب آموالكم ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ولا تقولوا إن فى الفتنة إعلاء كلمة الدين حاشا اللّه لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام .

والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس ولما حضر سارى عسكر إلى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان وآمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية وإجراء خيرات الأوقاف السلطانية وآعطى عوائد الوجاقلية وسعى فى حصول أقوات الرعية فانظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية وعرفنا أن مراده آن يبنى لنا مسجدًا عظيمًا بمصر لا نظير له فى الأقطار وأنه يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام انتهى بحروفه .

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بأن سارى عسكر بونابارته مات بحرب عكا وتناقله الناس وأنهم ولوا أخلافه فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار : وقد حضر سليمًا من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته إلى آخر السياق المتقدم .

وفى ثانى عشرينه أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ونهبوا بعضًا من ثيابه وكتبه وطلعوا به إلى القلعة فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجًا شديدًا وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها أن سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخًا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودًا بها يتولى القضاء ويقضى بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم : إننا جميعًا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده إلى مكانه فإن والدته وجدته وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه وسارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد فى القول بأن قال : وأيضًا إنكم تقولوا دائمًا إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثملى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصًا عند العامة فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله لا بأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر سارى عسكر فى اختيار قاض خلافه وألا تكونوا مخالفين ويلحكم الضرر بالمخالفة فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون وذهب به الوكيل إلى سارى عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه وأمر بإحضاره آخر النهار فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل دوجا قائمقام وركبوا صحبته إلى بيت سارى عسكر

ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة وركبوا جميعًا إلى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم إلى دار السيد أحمد المحروقى وجلسوا عنده ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢١٤ وفيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا إلى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان أغا كتخدا الدولة وحسين أغا نزله أمين ومصطفى أفندى الدفتردار وباقى رجال الدولة وعسفوا فى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال فلما كان فى منتصفه وردت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها فى تاسع عشره .

واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم فاتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة وكان شيئًا كثيرًا فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرنؤود الجلفى وغيره من المصرلية ومات كثير ممن كان خارجًا عنها وبقربها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش وأن عساكر العثمانيين زاحفة إلى جهة الصالحية تهيأ سارى عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت وخرج بعساكره وجنوده إلى الصالحية وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سينت كبير الإنكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطابًا إلى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما سيشترطونه بينهم فوجهوا إليه من طرفهم بوسليك رئيس

الكتاب وديزه سارى عسكر الصعيد فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كلهبر سارى عسكر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار .

واستهل شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٤ هـ فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين فيه إلى الصالحية فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجان إليه وحضرا إلى مصر وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطًا رسمت وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك إلى مصر وفرح الناس بذلك فرحًا شديدًا .

وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال إلى دوجا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخًا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع . وصورته : بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بسليغ مدير الحدود العام نواب سارى العسكر العام كلهبر المفوضين بكامل السلطان . وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى رأسيه أفندى رئيس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام أن للجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب العالى فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى صلح العام فى بلاد المغرب قاطبة .

الشرط الأول - أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة إلى الاسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرنسا إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم أم فى تلك التى يقتضى للباب العالى

أن يقدمها لهم بقدر الكفاية ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال فقد وقع الاتفاق بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه إلى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرًا .

الشرط الثانى ـ فلا بدعن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى وذلك من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة يقتضى مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال ومن الواضح أنه لابد عن إصراف الوسايط الممكنة من قبيل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس إن كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم.

الشرط الثالث ـ فريل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسارى العسكر كلهبر وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد فلينتخب من قبل حضرة سيد نهى سميت رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز .

الشرط الرابع ـ قطية والصالحية لابد من خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضاء شروط الاتفاق هذه ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يومًا وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يومًا وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر وأما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر والدلطا أى الإقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يومًا من بعد خلو مصر . ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر فممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس ـ ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يومًا .

الشرط السادس ـ إنه لقد وقع الاتفاق صريحًا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحى : بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته وذلك إما من أهالى البلاد وإما من جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع ـ وحفظًا لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلابد عن استعمال الوسائط فى أن عسكر الإسلام يكون دائمًا متباعدًا عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن ـ فمن تقرير وإمضاء هذه الشروط فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوائف من رعايا البلم الأعلى بدون تمييز الأشخاص أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الإطلاق والتعلق . وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان وّالأساكل من مملكة العثملى وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن انعتاقهم.

الشرط التاسع ـ فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالاً من بعد خلو مصر والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا الصدد .

الشرط العاشر ـ فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى من أى حالة كانت . وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم نظرًا إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر.

الشرط الحادى عشر - ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه أعنى بها مملكة انكلترة ومملكة المسكوب فرمانات الإذن والأوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرنسا .

الشرط الثانى عشر - وعند نزول الجيش الفرنساوى المذكور الكائن بمصر الآن فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرانسا لا يحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سارى العسكر لعام يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر بأنه لا يصدر منهم ما يؤول إلى المعاداة على الإطلاق مادامت المدة المذكورة وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرانسا ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر - ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ودخل بميناء إسكندرية فلازم عن سفره حالاً وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ويرجع إلى فرنسا وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة وإذا صادف الأمر أن مركبًا من هذه المراكب يحتاج إلى الترقيع فهذه لا غير يباح لها الإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرانسا نظير التى قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها .

الرابع عشر - وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر سارى العسكر العام أن يرسل خبرًا إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرانسا .

الخامس عشر ـ وإذا قد اتضح آن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى مادامت الثلاثة آشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتدأها من يوم نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شؤونه وذلك من بعد إمضاء هذه الشروط فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر ـ ثم إن الجيش الفرنساوى منذ ابتدأ وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعًا بالإقليم المصرى لا بل وبالعكس فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه وذلك إلى حين سفرهم . وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال وأخيرًا مخازن الخراج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الإنكليزى وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سارى العسكر وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه فالخسيس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة تلك التى يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر سارى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر ـ ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر فلابد أن تقبض وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط

المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يومًا خمسمائة كيس وفى غلاق الثلاثين يومًا خمسمائة كيس آخرى وبتمام الأربعين يومًا ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الخميس يومًا ثلثمائة كيس شرحه وعند غلاق الستين يومًا ثلثمائة كيس آخرى وفى السبعين يومًا ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الثمانين يومًا ثلثمائة كيس أخرى وعند غلاق التسعين يومًا خمسمائة كيس أخرى وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسمائة غرش عثملى ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ولكى يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين.

الشرط الثامن عشر ـ ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر ـ ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعًا فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة فى الميناء بالإقليم المصرى مباح به مادامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الاسكندرية ومن اسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون ـ حيث أنه للطمأن الكلى فى جهات البلاد الغربية يقتضى الاحترأس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى أن ينزل بالمراكب بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ويستمر نفى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشىء الذى لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش ثم

إن أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة ولابد عنها.

الشرط الحادى والعشرون ـ فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط فلابد عن تجاوزها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالى الشأن وحضرة الجنرال كلهبر سارى العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو.

الشرط الثانى والعشرون ـ هذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بمدة ثمانية أيام ومن بعد حصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما . صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهر يلويوز سنة ثمان من إقامة المشيخة الفرنساوية وفى رابع عشرينه شهر كانون الثانى غربى من سنة ألف وثمانمائة الواقع فى ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة ١٢١٤ هجرية . الممضيين الجنرال متفرقة ذره البلدى بوسيهلغ المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى رأسيسه أفندى رئيس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية إلى الوكلاء العثملى بدلاً من التى قد وجهوها باللغة التركى ممضى دزه وبوسيهلغ تقرير الجنرال سارى العسكر العام محرر فى آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سارى العسكر العام أمير الجيش الفرنساوى بالإقليم المصرى أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على إجرائه بالعمل بالنوع والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطًا المشروحة إلى الآن هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير

الأعظم والمقررة من جناب عالى الشأن الترجمة التى لابد عن الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر ممكن حصول بعض الاختلافات ومن ثم فتقلد بعض المشاكل . صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر يلويوز سنة ثمان من المشيخة . ممضى كلهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى. ممضى داماس انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية والله أعلم .

واستهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة ١٢١٤ هـ فى ثانيه حضر سارى عسكر الفرنساوية كلهبر إلى ناحية العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا فأرسل سارى عسكر إلى حسن أغا نجاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكرامًا زائدًا فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب فحصل للناس ضجة عظيمة وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف وانطلقت النساء والزغاريت من الطيقان واختلفت آراؤهم فى ذلك القادم ولم يعلموا ما هو فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فنزل هناك فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس. فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانًا وجمع العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانًا من الوزير فقرئ عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك أى المكوس بمصر بولاق ومصر القديمة وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن وأبرز فرمانًا آخر قرئ بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسر بأبى قير وكيلاً عنه وقائمقام بمصر إلى حين حضوره وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية. وانفض المجلس على ذلك وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر

من الناس وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف وشرعوا فى تحكير الأقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله وأخرجه عن طيفه قلب وانشراح خاطر وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين، وأرسل الوزير فرمانات إلى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل إلى البنادر وجعل فى كل بندر أميرًا ووكيلاً لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل ولا يخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فإنهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا فى عواقب الأمور ولم يتركوا معهم للصلح مكانًا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقًا وطوائف حسبة وهم يجهرون ويقولون كلامًا مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم كقولهم : اللّه ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان ونحو ذلك وظنوا فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرًا حتى تنقضى الأيام المشروطة على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس. وقال الشعبى من جملة كلام : وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل وشرعوا فى بيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس ثم إن العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا

يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قائمقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة.

ووصل الخبر بوصول حضرة الوزير إلى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا إلى مراد بك ومن معه بالحضور إلى العرضى فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه فى الصعيد. فلم يقبلوا عذره فأكدوا عليه بالحضور فاستأذن الفرنساوية سرًا فاستأذنوا له فى المقابلة وكان سفيره فى ذلك عثمان بك البرديسى ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة إبراهيم بك وخلع عليهما ورجع مراد بك فخيم جهة العادلية وحضر حسن أغا نزله أمين ودخل مصر وأخلى افرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور وحضر أيضًا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجيء الفرنساوية إليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل إبراهيم أفندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنسائهم وأولادهم يظنون فروغ القضية والذى خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه وأرسل إبراهيم بك إلى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثيابًا وطرابيش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيأت نساء الأمراء والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى العالى ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح إلى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال والرهونات والحمير الفارهة وفى جحورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة. وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع إلى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور. ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من شهر رمضان استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم

فذهبوا أيضًا إلى سارى عسكر كلهبر واستأذنوه فأذن لهم أيضًا فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا إلى نصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وآكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعًا وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى وكذلك على الأمراء المصرية ورجعوا إلى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوط أسود ووصل نصوح باشا والأمراء إلى جهة الخانكاه ثم إلى المطرية.

وفى شهر ربيع الثانى من عام ١٢١٥هـ فيه حرروا دفاتر العشور وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلامًا يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر وجعلوا جامع أزبك الذى بالأزبكية سوقًا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها وأقاموا على ذلك أيامًا كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ويشترك الإثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة.

واستهل شهر شوال سنة ١٢١٥ هـ فيه بدا أمر الطاعون فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وفى ثامنه قال وكيل الديوان للمشايخ إن حضرة سارى عسكر بعث إلى كتابًا معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرنتينه ويرى رأيكم فى ذلك وهل توافقون على رأى الفرنساوى أم تخالفون فقالوا حتى تنظر ما هو المقصود فقال حضرة أرباب الديون يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببًا لانقطاع هذه العلة فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير فإن أجابوا فذاك وإلا فليزموا ولو قهرًا وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ومن الذى يتغافل عما يكون سببًا لقطع هذا الداء فإن رأينا قد انعقد على ذلك ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب ولذا نرى كثيرًا من الناس ولاسيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتينة الآن فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات فقيل له وما الذى تأمرون به أن يفعل فقال هو الحذر لا غير وهو الغاية والنتيجة وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتًا ألا يدخل فيه أحد ولا

يخرج منه أحد مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به وخدمة المريض وعلاجه وسيوضح لكم ذلك فيما بعد يعنى أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة وظل البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ثم يدبرون أمرًا وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية وفى ثالث عشره ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها. وفى رابع عشره قرئ فرمان من سارى عسكر بالديوان وألصقت منه نسخ فى مفارق الطرق والأسواق.

ونصه: بعد البسملة والحمدلة من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً إلى كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالاً بمحروسة مصر وبمملكة مصر الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم يظهرون فى وسط المدينة بينكم أخبارًا رديئة تزويرًا لتخويفكم وتخويف المملكة وكل ذلك كذب وافتراء فإنما نحن نخبركم جميعًا أن كلاً من الأهالى المذكورة من أى طائفة وملة كان الذى يثبت عليه بالإشهاد أو النشر من نفسه بينكم تلك الأخبار الرديئة المكذوبة تخويفًا لكم وإضلالاً بالناس ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر ويا أهالى مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات وكونوا مسترحين البال ومترفهين الحال إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة لحمايتكم وصيانتكم ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة تحرير فى شهر وافتور سنة تسع الموافق لحادى عشر شهر شوال انتهى. فعلم الناس من ذلك الفرمان ورود شئ وحصول شئ على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى وليس للناس ذكر ولا فكر إلا فى بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغة الفرنساوية التى تقدم ذكرها واشتهر أيضًا أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبى قير وفى ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شئ فقال لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس وهو أن

الفرنساوية كانت تحارب القرانات والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عدا الإنكليز فإنه الآن مضيق عليه وربما كان ذلك سببًا لرضاه بالدخول فى الصلح وقد خرج من فرانسا عمارة ربما توجهت على الهند وربما أنهم يقدمون إلى مصر وقد وصل لسارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخائر إلى الفرنساوية وأن يمكنهم من دخول اسكندرية وقد خرج سنة غلايين من فرانسا إلى بحر الهند فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس وبورود هذه الأخبار تعين خلوص مصر إلى جمهور الفرنساوية وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضدًا للفرنساوية وقد زالت الآن هذه الضدية ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية والذى أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ولو دامت المسالمة لما وقع شىء من هذا فقال بعض أهل الديوان سنة الملوك العفو والصفح وما مضى لإبعاد فارحموا واعفوا عما سلف فقال الوكيل قد وقع الامتحان ولم يبق إلا السلم والمسامحة.

وفيه قبضوا على القلق المعروف بعمر أغا وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرًا وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى وسجنا بالقلعة وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر فوشى بهم رجل قواس فقبضوا على الجميع وكان مصطفى جلبى المذكور سكن ببيته محمد أفندى ثانى قلفة فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه فألزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوع عن محمد أفندى بل استمر معهم فى الترسيم ووجدوا مكانًا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه وانتهبت الدار والحارة وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام وأطلق عمر القلق لظهور براءته ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت وانتقل محمد أفندى من تلك الدار وما صدق بخلاصة منها وبقى على جلبى ومصطفى جلبى فى الحبس وفى سابع

عشره استفيضت وفى ثامن عشره خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا إلى الجهة البحرية برًا وبحرًا. وفى عشرينه اجتمع أهل الديوان فيه على العادة فبدأ الوكيل يقول إنه كان يظن أنه يكون حرب ولكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت إلى اسكندرية وهى نحو مائة وعشرين مركبًا قد رجعت فقيل له وما هذه المراكب فقال مراكب فيها طائفة من الإنكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جدًا وباقيها صغار تحمل الذخيرة ثم قال إن حضرة سارى عسكر قد كان وجه إليكم فرمانًا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حربًا ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود فينبغى أن يتلى على مسامعكم ثم أمر رفائيل الترجمان بقراءته ونصه: من عبد اللّٰه جاك منو سر عسكر أمين عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً إلى جميع الكبير والصغير الأغنياء والفقراء المشايخ والعلماء وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم اللّٰه بمقام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشر شهر ونتوز سنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولا ينقسم ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة وتحته أن اللّٰه هو هادى الجنود ويعطى النصرة لمن يشاء والسيف الصقيل فى يد ملاكه يسابق دائمًا الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم أن الإنكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر فى كل المواضع فهم ظهروا فى السواحل وإن كان يتجرأوا يضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر والعثمانيين متحركين كهؤلاء الإنكليزية يعملون أيضًا بعض حركات فإن كان يقدموا ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر إنى أنا أخبركم إن كان تسلكوا فى طريق الخائفين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم فحينئذ لا خوف عليكم ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد وإضلالكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى تلك الساعة فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة وجرى دماء آفائكم ونسائكم وأولادكم فى كل مملكة

مصر وخصوصًا محروسة مصر وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ممضى خالص الفؤاد عبد اللّه جاك منو. وفى ذلك اليوم عملوا شنكًا وضربوا عدة مدافع من القلاع فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطرابًا شديدًا فسئل من الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسة إلى اسكندرية. وفى ذلك اليوم أيضًا وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبى قير شحت الخلال وارتفعت من الرقع على العادة وزادت أثمانها فتفاوضوا فى شأن ذلك وأنه لابد من الاعتناء من الحكام وزجر الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل ولما قرئ الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين العقلاء لا يسعون فى الفساد وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم فقال الوكيل ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين فإن البلاء يعم المفسد وغيره فقال بعضهم هذا ليس بجيد بل العقاب لا يكون إلا على المذنب قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وقال آخر من أهل المجلس ولا تزروا وزرة وزر أخرى فقال الوكيل المفسدون فيما تقدم وهاجوا الفتنة فعمت العقوبة والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فإنها لا تقرأ القرآن وقال آخر المخلص نيته تخلصه فقال الوكيل إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط والثانى أكبر نفعًا وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من سارى عسكر إلى وكيل الديوان فأرسل خلف الشيخ إسمعيل الزرقانى فاستدعاه وسلمه إليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم فيقرؤه وهو مبنى على جواب المناقشة المذكورة وصورته بعد البسملة والجلالة من عبد اللّه جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام اللّه تعالى فضائلهم وألهمهم الحكمة الواجبة لإجراء فرائضهم نرسل لحضراتكم يا مشايخ ويا علماء الكرام نداء

جديدًا خطابًا إلى جميع أهالى مملكة مصر وخصوصًا أهل محروسة مصر ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم إنما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنساوى فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخيرة تفهموا بناء على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق لأنه إن كان يصير أصغر الحركات فلابد ثقلها يقع على رؤوسكم وغير ذلك ورد لنا فى الحال آخبار من فرانسا أنه كملت المصالحة مع إمبراطور النمسا وأن قيصر الروسيا بيزو أقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام. ولما أصبح ثانى يوم اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى وحضر الأغا والوالى والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وأن لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وأنهم هم المأخوذون بذلك كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقل يشتغل بما يعنيه على أنه لم يبق فى الناس إلا رسوم هافتة وانفصلوا على ذلك هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة والتشديد فى أمر الكرنتينة وإزعاج الناس من ذلك وخوفهم من حصول الطاعون وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان كشفوا عليه فإن كان مريضًا بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتينة عندهم وانقطع خبره عن أهله إلا أن كان له أجل باق ويشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحًا وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلاً ولا يدرى خبره لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتينة ودفنوه بثيابه فى حفرة وردموا عليه التراب وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ويحرقون ثيابه التى تختص به ويقف على بابه حرس فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه وإن مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه فإن قرب منه أحد كرتنوه فى الحال وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره

بغسل أو حمل أو دفن فلا يخرجون إلا لخدمة أخرى مثلها بشريط لا مساس فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك والتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبى قير وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة. وفى تاسع عشره خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا إلى جهة الشرق وأشيع حضور عرضى العثمانية ووصولهم إلى العريش صحبة يوسف باشا الوزير.

وفيه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة من غير إهانة. وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه قبضوا أيضًا على حسن أغا المحتسب وأصعدوه إلى القلعة أيضًا بشخص يخدمه فحبسوه بالبرج الكبير فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه فقال لم يكن إلا الحذر من إثارة تلك الفتن فى البلد وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا إلى قائمقام وإلى سارى عسكر وتكلما فى شأنه فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه فقال إننا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ولا نعرف له ذنبًا يوجب حبسه لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس فقالا على لسان الترجمان الله يعلم ذنبه وسارى عسكر وهو أيضًا يعلم ذلك من نفسه ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة وفيه نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتينه وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التى على بدنه لا غير وكان أشيع فى الناس ما تقدم وزادوا على ذلك حرق الدار التى يموت فيها أيضًا وأن قصدهم أيضًا عمل كرنتينه على البلد بتمامها فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ووهم جسيم فنودى بذلك ليسكن روع الناس.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا إلى منزله فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى وترك بمصر قائمقام بليار وجملة من العسكر والكتبة وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد وكان فى العزم حبسهم رهينة فاستثار فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك وركب

من فوره مسافرًا ولم يرجع من هذه السفرة إلى مصر وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل فوريه فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبى قير طائفة من الإنكليز وصحبتهم طائفة من المالطية وأخرى نابلطية وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة.

وفى سابع عشرينه رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبتهم سارى عسكر الشرقية رينه فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم برًا وبحرًا أو أخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الصالحية وأرسلوا هجانة إلى العريش فلم يجدوا أحدًا فكروا راجعين وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقًا وأصل الخبر أن سارى عسكر رينه كاشف القليوبية والشرقية أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك إلى سارى عسكر منو ويقول له فى ضمن ذلك ريشير عليه بأن يتوجه صحبة جانب من العسكر ويحصن نواحى الاسكندرية خوفًا من ورود الإنكليز تلك الناحية وأن رينه يتكفل له بمن يرد إلى ناحية الشرق وأكد عليه فى ذلك فأجابه سارى عسكر بقوله إن الإنكليز لا يأتون من هذه الناحية وأنهم يأتون من ساحل الشام ويأمره الارتحال والذهاب إلى الصالحية يرابط فيها فتوانى فى الحركة وأرسل إليه ثانيًا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الاسكندرية وترددت بينهما المراسلات فى ذلك ومضت أيام فيما بين ذلك فورد الخبر للفرنساوية بورود مراك الإنكليز وترددها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها فكتب سارى عسكر منو يقول لرينه إنهم تراؤوا ليوهموا بأن قصدهم ورود الاسكندرية ثم غابوا وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ويستحثه على الرحلة والذهاب إلى الصالحية فلم يسعه إلا الامتثال والارتحال وكتب إليه كتابًا يقول فيه إنهم لا يريدون إلا ثغر الاسكندرية وإنما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم وأنه رحل امتثالاً للأمر ويشير عليه هو أيضًا بعدم تأخره عن الذهاب إلى الاسكندرية ويقبل إشارته فلم يستمع وتأخر عن ذلك ورحل رينه إلى جهة البركة ولم يستعجل الذهاب ثم انتقل إلى الزوامل ثم إلى بلبيس وفى كل يوم ووقت يرسل إليه سارى عسكر منو ويأمره بالذهاب إلى

الصالحية وهو يتلكأ فى الرحيل ثم أرسل له آخرًا يقول له إنه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك إلى القدوم ويحتم عليه فى الرحيل إلى الصالحية فعند ذلك جمع رينه سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك وسفه رأيه وأن هذا الخبر لا أصل له وأنا أعلم أننا لا نصل إلى الصالحية حتى يأتى الخبر بخلاف ذلك ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب إلى الاسكندرية فلا نستفيد إلا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا إلى القرين فى ثلاثة أيام وإذا بمراسلة سارى عسكر منو إلى رينه يخبره بأن الإنكليز وصلوا إلى أبى قير وطلعوا إلى البر وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية وظهروا عليهم ويستعجله فى الرجوع والذهاب إلى الاسكندرية فقال رينه هذا ما كنت أخمنه وأظنه وارتحل راجعًا وعدى على بر إنبابة بعساكره وتقدم سارى عسكر منو وسبقه إلى الاسكندرية.

وفى شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥هـ فيه حصل الاجتماع بالديوان وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخبارًا بالأمس منها أنه قد مات جماعة من كبراء الإنكليز وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون إلى بلادهم وأن العطش مضارهم وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات فأجيب بأن البلد مطمئنة والرعية ساكنة والغلال موجودة فقال لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة.

وفيه أشيع أن الإنكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها. وفى ذلك اليوم قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم وذلك من فعل عبد العال الأغا. وفيه أمر بليار قائمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومى وذلك لتطمئن الرعية. وفى سادسه قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر منو من جهة الإسكندرية وصورته بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد إلى حضرات كافة المشايخ العلماء الكرام المستشارين

بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم وما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدائم العساكر الفرنساوية والإنكليزية هما إلى هذا الآن حصيران قبلهما فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ولأجل انتظامها أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسله إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عساكره لأجل ما يتجانبوا ويتراووا ويخلو من بر مصر جميعًا وإلا لابد من سلطان الروسيات الجمعية الإقامة بالمجاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه إلى عساكره لتخلية بر مصر ولكامل من بالبر المذكور ولكن ذهب الإنكليزية كفًا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية وبتقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانهم فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر فانتظموا كما كنتم دائمًا بالخير واعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية والله تعالى يديم فضائلكم عن الإلهام بالخير والسلامات حرر فى الخامس والعشرين من شهر جرمينيال سنة تسعة الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشئه لوماكا الترجمان ثم قال الترجمان إن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم فدوموا على ذلك فأجيب السمع والطاعة ثم أن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال له موسى خالد كان الفرنساوية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد وقطع الطريق ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى وصادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال وكذلك صادر كثيرًا من أغنياء منوف وغيرها وأخذ أموالهم فقال الوكيل ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابًا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد يأمرونهم وفيه كتبوا جوابًا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جوابًا عن المكتوب المذكور آنفًا وفيه ذكر قائمقام بليار لبعض الرؤساء أنه إذا رجع سارى

عسكر منصورًا ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم.

وفى خامس عشرينه أبرزوا مكتوبًا وزعموا أنه حضر من سارى عسكرهم وقرئ بالديوانية: وصورته بعد الصدر خطابًا إلى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالاً أدام الله تعالى فضائلهم ورد لنا مكتوبكم وانشرح قلبى من كل ماشهدتم لنا فيه بأنه يثبت عقلكم السليم وصدقكم وتقييد قلوبكم فى طارق الدستور فدوموا مهتدين بهذه الملكة ولابد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا واطمئنان عليكم منها ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابارته وعلى الخصوص من طرفنا وكان ضد أوامرى أن الستويان فوريه الذى كنت وضعته قرب فضائلكم ترك ذلك الموضع وتوجه إلى إسكندرية وما تلك الفعلة إلا من نقص جسارته فهذى الوقعة فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان جيرار رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله وخصوصًا لأجل غيرته وجسارته فلذلك هو كسب اعتمادى فاعتمدوا إلى كل ما هو قائل بفضائلكم من جانبنا وبمنه وعونه تعالى عن قرب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة والسياسة بين غيرهم وكذلك نرجو من رب الأجناد بحرمة سيد العباد أن تشدوا قلوبكم توكلاً له لأن عوننا اسمه العظيم حرر فى ثلاثة عشر فلوريال سنة تسعة موافقًا لثمانية عشر ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر ممضى عبد الله جاك منو انتهى بألفاظه وحروفه. وفيه أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف وسافر إلى جهة الصعيد.

وفى ثامن عشرينه وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا إلى مدينة بلبيس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه. وفيه أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر أرسل كتابًا إلى الست نفيسة بالتعزية ورتب لها فى كل شهر مائة ألف نصف وأربعين وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها فمنها توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب

الفتوح والخروبى فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام والمنارة العظيمة ذات الهلالين واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقى ذلك كله خرابًا متصلاً واحدًا وبقى سور المدينة الأصلى ظاهرًا مكشوفًا فعمرود ورموا ما تشعث منه وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه فى العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظامًا وأبوابًا داخلة وخارجه وأخشابًا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلاً ونهارًا ثم سدوا باب الفتوح بالبناء وكذلك باب البرقية وباب المحروق وأنشأوا عدة قلاع فوق التلال البرقية ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير وناحية الصوة طولاً فمهدوا أعالى التلال وأصلحوا طرقها وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها وهدموا أبنية رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة وهدموا أعالى المدرسة النظامى ومنارتها وكانت فى غاية من الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى خارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهدًا بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضًا بعد أن هدموا منارتها أيضًا وكذلك هدموا مدرسة القانبية وجامع الجركسى وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها وسدوا الباب وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سهور باب القرافة بجامع الزمر وجعلوا

ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سورًا بذاتها ولم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطبى جهة مصر القديمة جعلوها بابًا ومسلكًا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل متقفص أيضًا وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقى المجرات التى كانت تنقل الماء إلى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقًا. وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الإسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد فشىء كثير جدًا وذلك كله فى زمن قليل.

وفى شهر صفر الخير سنة ١٢١٦ وفى يوم الاثنين ثالثه حصلت الجمعية بالديوان وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا وحضر مكتوب من بليار قائمقام خطابًا بالأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيه أن حضر إليه مكتوب من كبيرهم متوبًا بالإسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية. مضمونه أنه طيب بخير والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العربان إليهم وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية إلى بحر الخزر وأنها من قريب تصل الإسكندرية وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ودوموا على هدوئكم وسكونكم إلى آخر ما فيه من التمويهات وكل ذلك لسكون الناس وخوفًا من قيامهم فى هذه الحالة وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يومًا من انقطاع أخبر من فى إسكندرية.

وفى يوم الخميس عشرين من شهر صفر الخير سنة ١٢١٦هـ ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ونصها: «ثم أنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الإنكليز وعساكر العثمانية ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ما احد يقارشكم ورءوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه.

الشرط الثانى عشر: كل واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت الذى يريد ان يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الإرادة وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما احد يعارضهم.

الشرط الثالث عشر: لا أحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت يكون قلقًا من قبل نفسه ولا من قبل متاعه ـ جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوى بمدة إقامة الجمهور بمصر ولكن الواجب ان يطيعوا الشريعة ثم يا أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل انتم ناظرون لحد أخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم فيلزم انتم أيضا تسلكون فى الطريق المستقيمة وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يفعل كل شىء وعليه إمضاء بليار قائمقام، وفى يوم الجمعة عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر فقالوا لا فابرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها وهى تتضمن الاحد عشر شرطًا الباقية فقال إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ويتوجهوا على البر بمتاعهم إلى رشيد وينزلوا فى مراكب ويتوجهوا إلى بلادهم وهذا الرحيل ينبغى ان يسرع به وأقل ما يكون فى خمسين يومًا وان يساق الجيش من طريق مختصر وسر عسكر الإنكليز والمساعد يلزم أن يقوما لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب والمحل الذى يبدا منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والإنكليز والمساعد وكامل الامتعة والاثقال تتوجه من البحر ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحرأسة ولابد من كون المؤونة التى تترتب لهم كالمؤونة التى كانوا يعطونها هم لجيش الإنكليز ورؤسائهم وعلى رؤساء عساكر الإنكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع. والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم إلى فرانسا من جهة البحر المحيط. ولن يقدم كل من حضرة العثملى والإنكليز أربعة مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها فى المراكب وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرنسا وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلا مينة فرنسا والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون إليه نظرًا لكفاية عساكرهم والمدبرون والامناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من اوراقهم وكتبهم ولو التى شروها من مصر وكل من أهل الأقليم المصرى إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله وكذلك من داخل الفرنساوية من اى ملة كانت فلا معارضة له إلا أن يجرى على

أحواله السابقة. والجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثلمى واذا عوفوا توجهوا إلى فرنسا بالشروط المتقدم ذكرها وحكام العثملى يتعهدون من بمصر منهم ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين إلى طولون فيرسلون خبرًا إلى فرنسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم وكل جدالٍ وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلابد ان يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما فى الصلح ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح وعلى كل طائفة معين من العثملى والفرنساوى ان تسلم ما عندها من الاسرى ولابد من رهائن من كل طائفة واحد يكون عند الطائفة الاخرى حتى يتوصلوا إلى فرانسا ثم قال الوكيل ـ : ـ وقد علمنا بالشروط وما ندرى ماذا يكون فقيل له هذه شروط عليها علامة القبول وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام قال الوكيل انى ارجو ان يكون هذا الصلح الخصوصى مبدا للصلح العمومى.وفيه أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى وحسن أغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم فنزلوا إلى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فإنى كلمته ووصيته عليكم.

وفيه حضر الوزير ومن معه من العساكر إلى ناحية شبرا وكذلك الإنكليز وصحبتهم قبطان باشا إلى الجهة الغربية والعساكر تجاههم ونصبوا الجسر فيما بينهم أعلى البحر وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن وله درابزين من الجهتين أيضًا وهو عمل الإنكليز. وفى ليلة الاثنين رابع عشرين شهر صفر من عام ١٢١٦هـ نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه وذلك لنقل رمة كلهبر(كليبر) فلا يرتاع الناس من ذلك فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم إلى بلادهم. وفيه أرسلوا أوراقًا ورسلاً للاجتماع بالديوان وهو آخر الدواوين فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية واستوف الخازندار والوكيل

والترجمان فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابًا مختومًا وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى عسكر مينو بعث به إلى مشايخ الديوان ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورت: بعد البسملة والجلاة والصدر نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والإنصاف فى الموضع الذى أنتم مستمرون فيه وإن لم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم ينعم عليكم فى الدارين بعض خيراتكم وأخبرنا المقدام الجسور بونابارته المشهور عن كل ما فعلتم حاكمًا ونافعًا بوصايا لأجلكم سارة رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة وعرفنى أيضًا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم إليه فدمتم الآن بخير الهدى وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا لكن يسركم أن الجمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعدائه وبعون الله هادى كل شىء سيغلب كذلك العدا فى مصر، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار هذا الذى وضعناه قربكم لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة ونوجه إلى هممكم النصيحة إلى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد أن كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر الخ وذكر كثيرًا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان رفاييل ومضمونها: حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس فى ذكرها فائدة ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضًا استوف الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى. ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان وهى فى معنى الأولى. وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذى يقال له الصدر الأعظم. والسلام على القادمين معه أيضًا من أعيان دولتهم والأمراء المصرية وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح فعوقوا لبعد الديوان وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار. وكتب لهم قائمقام أوراقًا للحرسجية لأنهم مستمرون فى منع الناس من الدخول والخروج وأبواب البلد مغلقة وكان خروجهم من طريق بولاق فلما وصلوا إلى العرضى سلموا على إبراهيم بك وتوجه

معهم إلى الوزير فلما وصلوا إلى صيوان أمروهم برفع الطياسانات التى على آكتافهم وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده.

وفى شهر شوال من عام ١٢١٦هـ كتبت فرمانات والصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها بأن لا أحد يتعرض بأذية لغيره وكل من كان له دعوى أو شكية فليرفع قصته إلى الباشا وكل انسان يمشى فى زيه وقانونه القديم ويلازموا على الصلوات بالجماعة فى المساجد ويوقدوا قناديل ليلاً على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع ولا يمر احد من العسكر من بعد الغروب والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد يكون معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بالحظ والمصلحة ولا احد يخفى عنده احداً من عسكر العرضى والذى يبقى منهم بيده يعاقب وان القهاوى المحدثة جميعها تغلق ولا يفتح لا القهاوى القديمة الكبار ولا يبيت احد من العسكر فى قهوة ولا يبيعون المسكرات ولا يشترونها الا الكفرة سراً وامثال ذلك فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل.

وفى يوم الجمعة ثانى عشرين رجب سنة ١٢١٧هـ حضر رجل من طرف الدولة يقال له حجان وهو رجل عظيم من أرباب الاقلام وعلى يده فرمان فأرسل الباشا إلى شريف افندى الدفتردار والقاضى والمشايخ وجمعهم بعد صلاة الجمعة وقرئ عليهم ذلك الفرمان وهو خطاب إلى حضرة الباشا وملخصه اننا اخترناك لولاية مصر لكونك ربيت بالسراية ولما نعلمه منك من العقل والسياسة والشجاعة وارسلنا اليك عساكر كثيرة وامرناك بتقال الخائنين واخراج الاربعة انفار من المناصب فى غير اقليم مصر واكرامهم غاية الاكرام ان امتثلوا الاوامر السلطانية واطلقنا لك التصرف فى الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم وما عرفناه موجب تاخير أمرهم لهذا الوقت فإن كان لقلة العساكر ارسلنا اليك كذلك ان لم يمتثلوا وكل من أنضم إليهم كان مثلهم ومن شذ عنهم وطلب الأمان فهو مقبول وعليه الأمان إلى أخر ما ذكر من ذلك المعنى. وفى يوم السبت ثالث عشرينه كتبت أوراق بمعنى ذلك وألصقت بالطرقات.

واستهلت سنة تسعة عشر ومائتين وألف، وفى يوم الخميس٢٢ من محرم عمل الباشا الديوان وحضر المشايخ والوجاقلية وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع

ومضمونه: «إننا كنا صفحنا رضينا عن الأمراء المصرلية على موجب الشروط التى شرطناها عليهم بشفاعة على باشا والصدر الأعظم فخانوا العهود ونقضوا الشروط وطقوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا على باشا المولى عليهم وقتلوه ونهبوا أمواله ومتاعه فوجهنا عليهم العساكر فى ثمانين مركبًا بحرية وكذلك أحمد باشا الجزار بعساكر البرية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم له وقتلهم وإخراجهم فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول وصفحنا عنهم صفحًا كليًا وأطلعنا لهم السفر والإقامة متى شاؤوا وأينما أرادوا من غير حرج عليهم وليبا حضرة أحمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل والرئاسة إلى غير ذلك وعملوا شنكًا وحراقة وسواريخ بالأزبكية ثلاث ليال ومدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها».

وفى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢١ ورد سعاة من الإسكندرية وأخبروا بورود أربعة مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبتهم ططريات وبعض أشخاص من الإنكليز ومعهم مكاتبة خطابًا إلى الألفى وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية من الدولة بشفاعة الإنكليز فلما وصولا إليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة سر بقدومهم وعمل لهم شنكًا وضرب لهم مدافع كثيرة ثم شهلهم وأرسلهم إلى الأمراء القبليين وصحبتهم أحد صناجقة وهو أمين بك ومحمد كاشف تابع إبراهيم بك الكبير ثم أنه أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر إلى المشايخ وغيرهم بمصر وكذلك إلى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وبقى المشاهير فأحضر ابن شديد وابن شعير الأوراق التى أتتهم من الألفى إلى الباشا وفيها نعلمكم أن محمد على باشا ربما أرتحل إلى ناحية السويس فإن تحملوا أثقاله وإن فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذرًا ولما سمع الباشا ذلك قال إنه مجنون وكذاب. وفى يوم الثلاثاء رابع عشره ورد ساعى وصحبته مكتوب من حاكم الإسكندرية خطابًا إلى الدفتردار يخبره بوصول قبطان باشا إلى الثغر وفى أثره وصل باشا متولى على مصر واسمه موسى باشا وصحبتهم

مراكب بها عساكر من الصنف الذى يسمى النظام الجديد وكان ورود القبطان إلى الثغر ليلة الجمعة عاشره وطلعوا إلى البر بالإسكندرية يوم السبت حادى عشره فلما قرأ الدفتردار الورقة أرسل إلى السيد عمر النقيب فحضر إليه وركب صحبته للباشا واختليا معه ساعة ثم فارقاه ولما بلغ الألفى ورود هذه الدونانمة وحضرت إليه المبشرون وهو بالبحيرة امتلأ فرحًا وأرسل عدة مكاتبات إلى مصر صحبة السعاة فقبضوا على السعاة وحضروا بهم إلى الباشا فأخفاها ووصل غيرها إلى أربابها على غير يد السعاة وصورتها الأخبار بحضور لدونانمه صحبة قبطان باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر وانفصال محمد على باشا عن الولاية وأن مولانا السلطان عفا عن الأمراء المصريين وأن يكونوا كعادتهم فى إمارة مصر وأحكامها والباشا المتولى يستقر بالقلعة كعادته وأن محمد على باشا يخرج من مصر ويتوجه إلى ولايته التى تقلدها وهى ولاية سلانيك وأن حضرة قبطان باشا أرسل يستدعى إخواننا الأمراء من ناحية قبلى فالله يسهل بحضورهم فتكونون مطمئنين الخاطر وأعلموا إخوانكم من الأولداشات والرعية بأن يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء فى الطاعة وما بعد ذلك إلا الراحة والخير والسلام.

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢١ وفى يوم الخميس ثالث عشرينه حضر ديوان أفندى وعبد الله أغا بكتاش الترجمان عند السيد عمر ومعهما صورة عرض يكتب عن لسان المشايخ إلى الدولة فى شأن هذه الحادثة فتناجوا مع بعضهم حصة من النهار ثم ركبا وحضرا فى ثانى يوم عند الشيخ عبد اللّٰه الشرقاوى وأمروا المشايخ بتنظيم العرضحال وترصيعه ووضع أسمائهم وختومهم عليه ليرسله الباشا إلى الدولة فلم تسعهم المخالفة ونظموا صورته ثم بيضوه فى كاغد كبير.

وفى ليلة الاثنين ثالث عشرينه وصل شاكر أغا سلحدار الوزير إلى بولاق فتلقوه وأركبوه إلى بيت الباشا فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقًا وصلت صحبة السلحدار المذكور إحداها خطابًا للمشايخ وأخرى إلى شيخ السادات وثالثة إلى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهى من قبودن باشا وعليها الختم

الكبير وهى بالعربى وفرمان رابع باللغة التركية خطابًا للجميع ومضمون الكل الأخبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وأن يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للأوامر والاجتهاد فى المعاونة وتشهيل محمد على باشا فيما يحتاج إليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا والى جرجا من طريق دمياط بالإعزاز والإكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير حسب الأوامر السلطانية ثم أنهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وركبوا إلى الباشا فلما استقروا بالمجلس قال لهم وصلت إليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار قالوا نعم قال وما رأيكم فى ذلك قال الشيخ الشرقاوى ليس رأى والرأى ما تراه ونحن الجميع على رأيك فقال لهم فى غد أبعث إليكم صورة تكتبونها فى رد الجواب وأرسل إليهم من الغد صورة مضمونها أن الأوامر الشريفة وصلت إلينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال إلا أن أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج فيحصل لأهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها إليه وفى أثناء ذلك محمد على باشا آخذ فى إليه تمام والتشهيل وإظهار الحركة والخروج لمحاربة الألفى وبرزت العساكر إلى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام إلى البر الغربى وتقدم إلى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفًا بالجندية ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور فى ورقة الأمر بأن المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على أن أكثرهم لا يملك حمارًا يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه.

وفى أواخر شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨هـ وصل من الديار الرومية واصل وعلى يده مرسوم فقرأ بالمحكمة فى يوم الأحد ثامن عشرينه بحضرة كتخدا بك والقاضى والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الأمر للخطباء فى المساجد يوم الجمعة على المنابر بان يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان بن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان مغازى خادم الحرمين

الشريفين لأنه استحق ان ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج واخرجتهم منها لان المفتى أفتاهم بأنهم كفار لتفكيرهم المسلمين ويجعلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس وأن من قاتلهم يكون مغازيًا ومجاهدًا وشهيدًا إذا قتل ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا شنكًا واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام وذلك ونحوه من الخور.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤هـ وفى يوم السبت ثانى عشره حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقًا وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للباشا فكتب إليه مكتوبًا بالتهنئة وأرسله مع حفيده السيد صالح إلى الإسكندرية فتلقاه بالبشاشة وطفق يسأله عن جده فيقول له بخير ويدعو لكم فقال له هل فى نفسه شىء أو حاجة نقضيها له فقال لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم ثم انصرف إلى المكان الذى نزل به فأرسل إليه فى ثانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحى من مشافهة الباشا بذكره فلم يزل يلاطفه حتى قال لم يكن فى نفسه إلا الحج إلى بيت الله إن أذن له أفندينا بذلك فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك وأذن له بالذهب إلى مصر وأن يقيم بداره إلى أوان الحج إن شاء برًا وإن شاء بحرًا وقال إنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة إلا خوفًا من الفتنة والآن لم يبق شىء من ذلك فإنه أبى وبينى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف وكتب له جوابًا بالإجابة وصورته بحروفه "مظهر الشمائل سنيها حميد الشؤون وسميها سلالة بيت المجد الأكرم والدنا السيد عمر مكرم دام شأنه أما بعد فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف تهنئة بما أنعم الله علينا وفرحًا بمواهب تأييده لدينا فكان ذلك مزيدًا فى السرور ومستديمًا لحمد الشكور ومجلبة لثناكم وإعلانًا بنيل مناكم جزيتم حسن الثنا مع كمال الوقار ونيل المنى هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الإذن فى الحج إلى البيت الحرام وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام للرغبة فى ذلك والترجى لما هنالك وقد أذناكم فى هذا المرام تقربًا لذى الجلال والإكرام ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام فلا تدعوا الابتهال ولا الدعاء لنا بالقال والحال كما هو الظن فى

الطاهرين والمأمول من الأصفياء المقبولين والواصل لكم جواب منا خطابًا إلى كتخدائنا ولكم الأجلال والاحترام مع جزيل الثناء والسلام»، وأرسل إليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح وأرسل إلى كتخدا بك كتابًا وصل إليه قبل قدومه فأرسل الكتخدا ترجمانه إلى منزله ليبشرهم بذلك وأشيع خبر مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب حتى وصل فى اليوم المذكور إلى بولاق فركب من هناك وتوجه إلى زيارة الإمام الشافعى وطلع إلى القلعة وقابل الكتخدا وسلم عليه وهنئه الشعراء بقصائدهم وأعطاهم الجوائز واستمر ازدحام الناس أيامًا ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارًا واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به إلا بعض من يريده من الأفراد فانكف الكثير عن الترداد وذلك من حسن الرأى.

المحتويات

- مقدمة ٩
- المؤلف عبد الرحمن الجبرتى ١٣
- عائلة الجبرتى ١٦
- هدف تأليف الكتاب ومصادر الجبرتى ٣٥
- منهج الجبرتى في كتابة التاريخ ٣٨
- موضوعية الجبرتى ٣٩
- من نصائح الرشاد لمصالح العباد ٤١
- الجراكسة ٥٥
- الدولة العثمانية ونوابهم وأمرائهم المصرية ٥٩
- حوادث متفرقة من تاريخ الجبرتى ٦٧
- حوادث أهل الذمة عند الجبرتى ١٩٢
- الحج والمحمل وطريق الحج والحجاج ٢٠٥

● وفاء النيل.. ٢٢٣
● الوثائق الرسمية المُتضمنة فى كتاب الجبرتى.......................... ٢٤١
● فهرس المحتويات... ٢٩٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg

بدأ الجبرتى كتابة تاريخه بدايةً من القرن الثانى عشر الهجرى، بعد أن أجمل تاريخ مصر أيام الدولة الإسلامية فى لمحات موجزة، ثم يتبسط فى سرد الحوادث كلما اقترب من عصره.

وهو يستمر فى تدوين حوادث عصره حتى نهاية سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١م)، وهو يسمى كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار)، وقد نُقل إلى الفرنسية وطبع فى القاهرة سنة ١٨٨٨م هذا بالإضافة إلى الترجمة التى أعدها كاردان للقسم المتعلق بالحملة الفرنسية.

وقد قسم الجبرتى كتابه زمنيًا إلى ثلاثة أجزاء فى الفترة ما بين عامى ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م إلى عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م، فشمل الجزء الأول الفترة حتى عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٧ م، والثانى من عام ١٢١٣ هـ / ١٧٨٩ حتى عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م والثالث من عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م إلى عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م، وهو يتناول فى هذه الفترة الأخيرة عصر محمد على بشىء من الاختصار الشديد لأنه لم يكن من رجال الباشا ولم يكن متصلاً بالسلطة فى أى أشكالها آنذاك.

والجبرتى بذلك قد أرخ لثلاثة عصور متعاقبة أولها كان لمصر العثمانية ثم الحملة الفرنسية ثم عصر محمد على وبدايات حكمه لمصر.

والكتاب على هذا الوضع له قيمة اجتماعية كبيرة لأنه يعطى صورة مفصلة عن حياة الشرقيين وعاداتهم وأحداثهم وعلمائهم وغير ذلك فى فترة مهمة من تاريخ مصر لم تشهد الكثيرمن المؤلفات التى ترقى لهذا العمل النافع المفيد للباحثين والمثقفين على وجه العموم.

تصميم الغلاف : عمرو الكفراوى





الهيئة المصرية العامة للكتاب
٧,٢٥ جنيه



ISBN# 9789774202518
6 221149 006867